الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح
-ورقلة-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

اللسانيات والنص القرآني

ـالفاصلة القرآنية أنموذجاـ

دراسة نصا نية لمعيار "السبك والحبك"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة والأدب لعربي

تخصص: لسانيات النص

*إعداد الطالبة:
نعيمة سيد أحمد

*إشراف الأستاذ الدكتور:
أحمد بلخضر

السنة الجامعية 2020 – 2019م/1442-1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

"كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"

فصلت03

شكر وعرفان

الشكر أولا لله عز وجل ، فالحمد لله على توفيقه ،والصلاة والسلام على محمد نبيه ورسوله.

ثم الشكر لفضيلة الأستاذ :الدكتور–**بلخضر أحمد**– الذي تفضل مشكورا بقبول الإشراف على هذا البحث،واحتضن بذرته حتى استوى على سوقه.

كما أشكر كل من ساعد في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

*إلى والدي الكريمين.....اللهم ارحمهما كما رباني صغيرا.

*إلى رفيق الدرب..... زوجي أبو الأولاد.....مودة ورحمة.

*إلى البراعم ثمرات الفؤاد:كلثوم،عبد الرحمن،عبد الحليم، يوسف.....اللهم أنبتهم نباتا حسنا.

*إلى الفراشات ..أخواتي البنات.....حفظهن الله.

*إلى ينابيع الوفاء والعطاء.....أخواتي وصديقاتي.

*إلى من علمونا حروفا من ذهب ،وكلمات من درر.....أساتذتنا الكرام.

*إلى كل من يحمل قلما في خدمة القران الكريم.

مقدمة

مقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين، وبعد..

تعد اللغة أداة اتصال بين البشر لحقيق غرض التبليغ والتواصل ،ولذلك كانت محل دراسة وعناية وتحليل،من أجل كشف أسرارها وسبر أغوارها ومعرفة مكنوناتها،فحظيت بنصيب وافر من الاهتمام من قبل المتخصصين في هذا المجال منذ القدم ،وقد كانت الجملة في بداية هذا الدرس اللساني،بؤرة الاهتمام ومركز الدوران ، وعدّت الوحدة الأساسية للدراسة لكن الاهتمام الشديد باللغة والتطور الحاصل في جميع العلوم أحدث قفزة نوعية في هذا الجانب ونقل محورية البحث اللساني إلى درجة أعلى مما كان عليه،فتجاوز محورية الجملة في الدراسة لما شملته هذه الأخيرة من نقائص ،إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى"النص".

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بـ "لسانيات النص"هذا العلم الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها مما يكوّن وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وقد قدمت "اللسانيات النصية "الحديثة ظواهر نصية كثيرة تسهم بشكل مباشر في بناء النص وتماسكه، منها ما يختص بمعيار السبك (cohésion)، ومنها ما يختص بمعيار الحبك(cohérence).

ولتتبع تواجد هاذين المعيارين في بناء النص كان اختيارنا للنص القرآني مجالا عمليا لرصدهما ،وتبيين وظيفتهما البنائية ،وكانت الفاصلة هي المحور الأساس في توضيح هذه الوظيفة وتبيينها ،وعليه تشكّل عنوان هذه الدراسة على النحو الآتي:"اللسانيات والنص القرآني ،الفاصلة القرآنية أنموذجا ،دراسة نصا نية لمعياري السبك والحبك" .

امو يمكن إدراجه في هذا العنوان بهذه الصيغة أنه يحمل في جملة عناصره إشكالية رئيسة يجسدها السؤال الآتي : هل يمكن للفاصلة القرآنية أن تؤدي وظيفتي السبك والحبك بمفهومهما في الدرس اللساني الحديث ؟ وإذا كان ذلك ممكنا فكيف يتجلى ذلك تطبيقيا في النص القرآني؟

وكان اختيارنا للموضوع متكئا على عدة أسس منها:

اختصاص القران الكريم بمصطلح"الفاصلة"،دون سائر فنون الأدب العربي –شعرا ونثرا– ،وهو ما يشير ضمنا إلى أهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه الفاصلة القرآنية في بناء النص القرآني تماسكه من زاوية ،وفي بلاغته من زاوية أخرى ،فإذا كنا نرى أن القافية هي تاج الإبداع الشعري ومن ثم حظيت بالعديد من الدراسات اللغوية الحديثة التي تكشف عن دورها الفعال في بناء النص الشعري وتماسكه ،فإن الفاصلة القرآنية الجديرة بأن تدرس دراسة لغوية تهدف إلى إبراز الدور الذي يمكن أن تؤديه في بناء النص القرآني وتماسكه ووصل آياته بعضها ببعض وهو ما أسعى جاهدة إلى تحقيقه من خلال هذه الدراسة.

فانطلاقا من ماهية الفاصلة القرآنية والتي تمثّل " آخر كلمة في الاية "،يهدف هذا البحث بشكل رئيس ومباشر ،إلى دراسة الفاصلة القرآنية بالفهم السابق لمصطلح"الفاصلة"،دراسة جديدة في ضوء اتجاه جديد في الدراسات اللسانية الحديثة هو الاتجاه النصي ،أو"اللسانيات النصية" ،وذلك للكشف عن الدور الذي يمكن أن تؤديه الفاصلة القرآنية في بناء النص القرآني وتماسكه من خلال معيار السبك والحبك .

لقد لاحظ المفسرون كثيرا من وجوه الترابط في القران الكريم منها العطف، الإحالة، التكرار، وترتيب الخطاب، والعلاقات والمناسبة والتناسب.. الخ، أما معظم الذين تناولوا دراسة الفاصلة القرآنية من المفسرين،ومن أصحاب كتب إعجاز القران الكريم،فقد تكلموا عنها من زاوية تناسب الفواصل ،أو رعاية الفاصلة ، ومنهم السيوطي في إتقانه.

–لا يمكن أن ندعي أن هذه الدراسة هي الدراسة الأولى للفاصلة، فقد سبقتها عدة دراسات فمن كتب علوم القران ما ذكره العلامة السيوطي في كتابه علوم القران، ومن الدراسات الحديثة "الفاصلة القرآنية "للدكتور محمد الحسناوي، "الفواصل القرآنية دراسة بلاغية "لسيد خضر إلى غير ذلك..، غير أنّ هذه الدراسة تناولت الفاصلة في حلة حداثية وفي اتجاه لساني نصي وفق معيارين نصيين هما السبك والحبك وهذا ما لم نلفه في دراسات سابقة .

وتحقيقا لأهداف هذه الدراسة كان المنهج الوصفي هو المنهج الرئيس والمتبع لوصف دور الفاصلة في بناء النص القرآني وتماسكه، وفي الكشف عن ظواهر هذا التماسك، ثم كان التحليل اللساني لظواهر التماسك النصي التي تؤديها الفاصلة، وهو تحليل انبنى أساسا على ما قدمته المدارس اللسانية الحديثة فيما يتعلق بمعياري السبك والحبك، وكذلك ما قدمته كتب اللغة

والنحو والتفسير وكتب إعجاز القران الكريم وعلومه، للكشف عن طبيعة تناول هؤلاء العلماء للفاصلة القرآنية فيما يتعلق بجانب بناء النص القرآني وتماسكه.

وبناء على الأسس السابقة وتحقيقا للأهداف المرجوة اعتمدت هذه الدراسة على تقديم هذا البحث في ثلاثة فصول يسبقها مدخل تناول مفاهيم وروافد معرفية للنص واللسانيات النصية. **الفصل الأول** تمحور حول الفاصلة القرآنية مفهومها، أركانها، طرق معرفتها وأنواعها، ليأتي **الفصل الثاني** متضمنا معيار السبك وظواهره في الفاصلة القرآنية كظاهرة الإحالة الحذف،العطف، ثم الإبدال وتمثل في مجموعها ظواهر السبك النحوي ،ثم يأتي السبك المعجمي وثالثا السبك الصوتي،أما الفصل الثالث فالحديث فيه كان عن معيار الحبك وظواهره في الفاصلة القرآنية وفق ظاهرتي السياق أولا ثم ظاهرة المناسبة.

ويبقى أن نشير إلى ارتباط هذه الدراسة بأمرين يحتاج كل منهما إلى طول صبر وأناة:

الأول: ارتباط هذه الدراسة بلغة القران الكريم، وهو ارتباط يحتاج معه الباحث إلى اليقظة والدقة وعدم الغفلة والعودة إلى كثير من كتب النحو والتفسير وكتب علوم القران الكريم لمعالجة تأويل بعض الآيات المتناول دراستها في هذا البحث.

الثاني: ارتباط هذه الدراسة باتجاه جديد وحديث في التحليل اللغوي هو الاتجاه النصي وهو اتجاه على الرغم من جدته وثرائه، لم تتضح معالمه الأساسية بعد، ومن ثم كان الاجتهاد بالقدر المتاح من مفاتيح هذا التحليل بالاعتماد على المترجم من الكتب الأجنبية.

وأخيرا فإن البحث على هذا النحو يكون قد رصد بعض الظواهر التي تتعلق بمعيار "السبك والحبك" من المعايير النصية التي أشار إليها كل من" دي بوجراند ودريسلر "وأرجو أن أكون قد وفقت لمعالجة ظواهر هذا البحث معالجة علمية موضوعية.

ويبقى أن تتضام مع هذه الدراسة دراسات لغوية تطبيقية أخرى تعتمد معايير أخرى من معايير النصية تسهم في رسم معالم واضحة لهذا العلم وفي استقرار كثير من مصطلحاته الأساسية.

" وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "*هود88*

المـدخـــل

مـــفـــاهـــيـم مـــعـــرفـــيـــة

1- النص في الدراسات اللغوية/ العربية والغربية:

أ- العربيــة.

ب- الغربيــة.

2- اللســـــــــــــانيات النـــــــــصيــة:

أ- مفهومهـا.

ب- نشأتهـا وتطـورهـا.

تمثل المصطلحات مفاتيح العلوم، فهي مجمع حقائقهاالمعرفية وعنوان ما به ينماز كلّ واحد منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوصل به الإنسان إلى منطق العلم عبر ألفاظه الاصطلاحية، فإذا استبان أثر المصطلح في كلّ فنّ توضّح أن " السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو كالسياج العقلي الذي يرسي حرماته، رادعا إياه أن يلابس غيره، وحاضرا غيره أن يلتبس".[1]

من هذا المبدأ نحاول أن نقرب المفاهيم للنص واللسانيات النصية.

1- النص بين الدراسات اللغوية العربية والغربية:

إنّ محاولة البحث عن مفهوم النّص "هي سعي لاكتشاف العلاقات المركبة لعلاقة النّص بالثقافة من حيث تشكّله بها أولا، وعلاقته بها من حيث تشكيله لها ثانية." [2]

ومردّ هذا حسب الباحث نصر أبو زيد" إلى أن الحضارة العربية الإسلامية حضارة نص، وأنّ دراسة النّص سواء أكان نصّا أدبيا أم نص القرآن الكريم، هي بشكل أو بآخر دراسة للمنظومة الثقافية والنماذج النصّية التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية. "[3]

أ- العربية:

إنّ عملية استقراء المعجمات العربيّة للكشف عن معاني مادة " نصص" التي هي أصل اشتقاق المصطلح، ينتج عنها معان متعددة، أبرزها أربعة هي:

الرفع: قال صاحب العين: " نَصَصْتُ الحديث إلى فلان نَصًّا أي رفعته... والمنصة: التي تقعد عليها العروس، ونَصَصْتُ ناقتي: رفعتها في السير "[4]، ومن قول طرفة بن العبد:

ونصَّ الحديث إلى أهله *** فإنّ الوثيقة في نصّـِهِ" [5]

1- عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1، 2010، ص 43.
2- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النّص - دراسة في علوم القرآن-، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 5، 2000م، ص10-11.
3- المرجع نفسه، ص 18.
4- الفراهيدي: العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مادة (نصص) ج7/ 86
5- طرفة بن العبد : ديوzان ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ، لبنان، ط1، 2003 م، ص51.

التحريك: قال ابن منظور (ت 711هـ) : " النصنصة: تَحَرُّكُ البعير إذا نهض من الأرض، ونَصْنَصَ البعير : فحص بصدره في الأرض لَيبْرُكَ ". [1]

وقال الزبيدي: " نَصَّ الشيء يَنُصُّهُ نصًّا حرّكه، وكذلك نَصْنَصَهُ ... ومنه فلان ينصُّ أنفه غضبا، أي يحركها"[2]

نهاية الشيء: قال صاحب العين: " نصُّ كل شيء: منتهاه"[3]، و"النّص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها".

ومنه قيل: نَصَصْتُ الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كلّ ما عنده، وكذلك النَّصُ في السير إنّما هو أقصى ما تقدر عليه الدّابة"[4] .

الإظهار: يسمى المكان الذي ترتقيه العروسة (المنصّة) وسميت بذلك لأنها تظهر لمن يراها[5] ، قال الزبيدي : "نصّ الشيء : أظهره وكلّ ما أظهر فقد نُصَّ"[6] .

واشتقّ من هذا" قول الفقهاء: نصّ القرآن، ونصّ السّنة، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام. "[7]

هذه المعاني وغيرها التي دونها أصحاب المعجمات العربية، قال عنها أحمد بن فارس (ت **395هـ):** "إنّها ترجع إلى أصلٍ صحيح يدلُّ على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء".[8]

فلا ذكر في المعجمات العربية للدلالة (نصّ) على مدونة أو كتاب أو خطب، وكلّ ما هناك أنه أشتق من (نص) بمعنى الظهور، فقيل: نصّ القرآن، ونصّ السنّة، وقد يكون مردّ هذا إلى:" أنّ الثقافة الإسلامية هي ثقافة شفوية غير مكتوبة، فمعلوم أن التدوين للأدب تأخّر كثيرا، فالقرآن الكريم من أوائل النّصوص التي دونها العرب، أما أصحاب الحديث فقد تجاوزوا هذه

1- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم : لسان العرب، حققه وعلق عليه عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1430هـ -2009 م، مادة (نصص) ج110/7.

2- الزبيدي ،محمد مرتضى (ت 1205هـ)، تاج العروس بين جواهر القاموس: تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت، 2002م، مادة(نصص)ج18 /ص197.

3- الفراهيدي: العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مادة (نصص) ج86/7.

4- ابن منظور : لسان العرب، ماد (نصص) ج111/7.

5- الخليل : العين، مادة (نصص) 7ج/86.

6- الزبيدي : تاج العروس بين جواهر القاموس، مادة (نصص) ج197/18.

7- ابن منظور: لسان العرب، مادة (نصص) 111/7.

8- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1971 م ، ج356/5ص.

المعاني، وأثبتوا ما قرّ في ذهن مستعملي اللغة العربية من مفهوم النص، فمؤلفو المعجم الوسيط عرّفوا النّص بأنّه: "صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"[1]

كما سجّل خليل أحمد خليل هذا المفهوم للنّص، فهو:" كلام مفهوم المعنى وهو الكتابة الأصلية، المنسوخة على منوالها الفريد، وهو المدونة والكتاب في لغته الأولى غير المترجم، يقال: قرأت فلانا في نصّه، أي في أصل الموضوع." [2]

ويمكن الربط بين معنى (النّص) بعده "الصّيغة الأصلية لكلام منشئه، والمعنى اللغوي بأن النّص يرفع إلى منشئه مما يفسر العلاقة المتينة بين النّص وصاحبه ضمن الإطار التداولي. كما أنّ النّص له بداية ونهاية تفهمان من ظهوره ولا يمكن أن يُدرس نصٌ ما إلاّ إذا كانت له بداية ونهاية "[3].

ويتّضح مما سبق أن كلمة (نصّ) استعملت بدلالات عدّة، ثم تطورت إلى إسناد الكلام ورفعه إلى منشئه الأصلي.

ولعل الإمام الشافعي (**ت 204هـ**)أول من أشار إلى مفهوم النّص اصطلاحا عندما تكلّم على أوجه البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله تعالى: " إذ قال في أحدهما أنّ النّص هو: " ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يحتاج مع التنزيل فيه إلى غيره"[4] .

وذكر الشريف الجرجاني (**ت 816هـ**) في كتاب التعريفات (حدّ النّص) فقال:" النّص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي، كان نصّا في بيان محبته"[5].

والحق أنّ علماء الأصول يجمعون على أن النّص: هو كلام الشارع فيما إذا كان لا يحتمل إلا معنى واحدًا، وله دلالة صريحة في الحكم الفرعي، فالنّص هنا صريح واضح الدلالة على الحكم الشرعي، وبهذا يتميز النّص عند علماء الأصول من الظاهر، ومن المجمل لأنّ **الظاهر**:

1- إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزّيات: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص 926.
2- خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات اللغوية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص 136.
3- جمعان بن عبد الكريم: إشكاليات النّص، المداخلة أنموذجا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2009م، ص 25.
4- الشافعي محمد ابن إدريس: الرسالة، تحقيق: عبد اللطيف الهميم،و ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ- 2005م، ص77.
5- الجرجاني، السيد الشريف: التعريفات، تقديم أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق،،1986م، ص132.

هو كلام الشارع الذي يدل على أكثر من معنى واحد، ودلالته على جميع المعاني المتساوية.[1] يمكن أن يلخص المعنى المذكور آنفا بالقول: أن مفاهيم النص والظاهر والمجمل في – تراث الأصوليين– بوصفها كلام الشارع قد تقترب في تعريفاتها من المفهوم المعاصر للنّص.

تطوّر المفهوم الدلالي لكلمة (نص) في اللغة العربية، فأطلقت على الكتاب والسنّة إجمالا، ثم تطورت إلى إطلاقها على كلام الفقهاء، ثم شاع استعمال كلمة (نص) في أوائل النهضة العربية الحديثة في نهايات القرن التاسع عشر على قصيدة الشاعر وغيرها من النصوص، وإن أغلب الناس من الناطقين بالعربية – اليوم يفهمون– المعنى العام للنص" بأنه قول المؤلف الأصلي، الموثوق به يذكر بهذا اللفظ التمييز من الشروح والتفسير والإيضاح، فيقال: ذكر فلان ما نصه كذا وكذا، وقال أو كتب ما نصه كذا وكذا، أو هذا سمعته نصا وغيرها." [2]

وقد حملت المراجع العربية الحديثة المهتمة بشأن النّص عدة تعريفات يتجلى فيها الأثر الغربي، ما أضفى روحا ثقافية لسانية ونقدية جديدة، ومن هذه التعريفات تعريف (محمد مفتاح) الذي قال إن النص: "مدونة كلامية، وإنه حدث يقع في زمان ومكان معينين، يهدف إلى توصيل معلومات، ونقل تجارب إلى المتلقي"[3]

والحق أن النص ليس منبثقا عن عدم، وإنما يتولد من أحداث لغوية سابقة، ويمكن أن تتولد منه أحداث لغوية لاحقة. [4]

وعمد بعض الباحثين إلى محاولة عقد صلة بين المفهوم الغربي والعربي للنّص، وقد آثر **الدكتور (عبد المالك مرتاض)** أن يكون المقابل العربي "**Texte**" هو "النسيج" لما في دلالته اللغوية من معنى الترابط، ولعدم توفر هذا المعنى في مادة (نصص) [5]، وذلك لأنّ الأصل العربي في

1-ينظر السيد محمد كاظم الحكيم: المدخل إلى علم الأصول، دار الفقه للطباعة والنشر، إيران، ط 1، 1421 هـ، ص17

2- ينظر تون أ،فاندايك: علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مقدمة المترجم،دار القاهرة،مصر،ط2، 2005 ص 7.

3- محمد مفتاح/ تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،/ المغرب، ط2، 1986 م، ص 120.

4- ينظر محمد مفتاح:المرجع نفسه، ص 120.

5- ينظر جمال عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 227-.

مدلول الوضع اللغوي للنّص هو الرفع والإظهار، وبلوغ الغاية، ولم نجد نصوصا تفيد المعنى المتداول على عهدنا هذا.

ثمة اختلاف بين الاتجاهات اللسانية الحديثة في تعريف النّص، لذا صار وجود تعريف جامع مانع للنّص مسألة غير منطقية من جهة التصوّر اللغوي، "فالوصف اللغوي غير قائم في الواقع الخارجي، أي إنّ المادة الفعلية التي تقدمها تراكيب اللغة ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة للنّص." [1]

وتعود صعوبة تحديد النّص عند **د. منذر عيّاشي** إلى ذاتية النّص، فالنّص "دائم الإنتاج، لأنه مستحدث، لأنه دائما في ظهور وبيان ويستمر في الصّيرورة، لأنه متحرك وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النّصية، وهو إذا كان كذلك فإنّ وضع تعريف له يعتبر تحديدا يلقي الصيرورة فيه، ويعطل في النهاية فاعليته النصيّة." [2]

وقد أفرزت الاتجاهات اللسانية المتباينة كما هائلا من التعريفات لمصطلح النص، جعلت الباحثين يصنفونها وفق معايير مختلفة، فمنهم من صنّفها بحسب الاتجاهات النقدية التي أفرزتها، ومنهم من صنّفها بحسب صلتها بالبنى النّصية والسياقات النّصية إلى غير ذلك..

ومن التعريفات التي اعتنت بتركيب النّص ما ذكره **(د. الزّناد)**، فالنّص عنده "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد هو ما نطلق عليه مصطلح النّص"[3].

ويعرّف **سعد مصلوح** النّص بقوله: " أما النّص فليس إلا سلسلة من الجمل كلّ منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيلته"[4].

التعريفات التي تنظر إلى النّص على أنّه متوالية من الجمل،" هي تعريفات دائرية، أي أنها

1- ينظرسعيد حسن بحيري: علم اللغة النص ، المفاهيم والاتجاهات،مكتبة لبنان ناشرون،ط1، 1993 ص 101.
2- منذر عياشي : النّص ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 96، سنة 1992، ص 55.
3-أزهر الزنّاد: نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ،المركز الثقافي العربي ،ط 1، 1993،ص 12.
4-أحمد عفيفي: نحو النّص اتجاه جديد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص 24.

توضح النّص بالجملة والجملة بالنّص ومن ثمّ لا يمكن تطبيقها أو اعتمادها"[1] ، وذلك يعود إلى إمكانية وصف الجملة بأنها وحدات مستقلة، بمعنى أن ما يكوّن الجملة ضمن النّص ما يكون في غير موضع نص، ومن هذا القول القائل إذا انتهى من طعامه: (الحمد لله رب العالمين)، فهذه الجملة إذا قيلت مستقلة فهي نص، لكنها إذا قيلت ضمن (سورة الفاتحة) فإنها جملة[2].

وإلى هذا أشار **(دي بوجراند)**بقوله: " إننا لا نستطيع أن نتناول النّصوص من خلال وصفها بأنها وحدات أكبر من الجمل، أو بأنها جمل متوالية في سياق، ذلك بأن الخاصية الأولى للنصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال، ولربما يأتي أحد النصوص على صورة كلمة واحدة، أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء أو خليط من البيانات السطحية"[3] وهنا يظهر التركيز على الوظيفة الاتصالية للتحديد ماهية النص.

ب- الغربية:

صرحت المراجع بأن أصل كلمة "Text" في اللغة الإنجليزية، وكلمة "Texte "في اللغة الفرنسية، بل وفي كثير من اللغات الأوربية الأخرى، بما فيها بعض اللغات السلافية لها الجذر اللغوي نفسه والدلالة نفسها، وترجع إلى" الأصل اللاتيني "Textus" بمعنى "النسيج"، أو "الضفيرة من الشعر، ومنه تطلق كلمة "Textil" على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءا بمرحلة تحضير المواد، وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، وقد ترجمت كلمة "Text" و"Texte " إلى اللغة العربية بكلمة " نص "[4]، والأصل اللاتيني يميل إلى " النسيج" وهذه المادة توحي بدلالات منها: دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد والقصد، والكمال والاستواء[5].

ونجد في معجم (لاروس العالمي) أن كلمة "Text" أتت من فعل "Tescere" ومعناها "نسيج"، وهذا يعني أن النّص هو النسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار، وتوال في الكلمات[6].

1- المرجع نفسه، ص 22.

2- ينظر ،أحمد عفيفي:المرجع نفسه،ص22،بتصرف.

3- دي بوجراند: النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان،عالم الكتب القاهرة،ط 2 ،2008م ،ص 64.

4- محمد إسماعيل بصل: التراكم العلاماتي بين النّص المكتوب والنّص المنطوق، بحث منشور في مجلة المعرفة، ع 370، 1994م، ص 66.

5- عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006م، ص 17.

6- ينظر محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص 20.

وقد أشار (رولان بارت R. Barths) إلى أن كلمة Texte تدلّ على "النسيج"، وهذا النسيج يوصف بأنه نتاج وستار يختفي وراءه المعنى، وقد شبّه نسيج النص بأنه نسيج عنكبوت، لبراعة نسجه وتماسكه، بحيث يتعلق بعضه ببعض، وهنا تبرز خصيصة أساسية وجوهرية، وهي ترابط مكوناته وتشابكها على نحو يشكل وحدته الكلية [1].

وقريب من هذا التشبيه، تشبيه (أوجين نايدا Eugen Naida) للبنية الدلالية التي تدخل في علاقات متعددة ومتنوعة مع بنيات أخرى في النّص، والتي تبدو وكأنها شبكة عنكبوت لتشابك كثير من نقاطها. [2]

ويذهب "برينكرBrinker" في تحديده للنص إلى أنه تتابع مترابط من الجمل، واستنتج من ذلك أن الجملة هي جزء صغير من النّص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع علامة من علامات التنصيص، أي أن بنية النص بنية معقدة متشابكة، وأن ثمة علاقة بين الجزء أو الجملة، والكل أو النص من خلال إشارة الأول إلى الثاني. [3]

وعند "فاينرشH. Weinrich" النص تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، وتستلزم عناصره بعضها بعضا الكل، لأن النص كلّ تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والاستلزام، ويؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النّص، ويؤدي أيضا عزل عنصر من عناصره أو إسقاطه إلى عدم تحقق الفهم، ويفسّر هذا بوضوح من فعل مصطلحي"الوحدة الكلية" و"التماسك الدلالي للنّص". [4]

وذهب "هاليديHalidy" ورقية حسن" R. Hassen" إلى أنه إذا كانت الجملة وحدة نحوية فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع، أو مجرد مجموع جملي، أو جملة كبرى وإنما هو وحدة دلالية لها معنى في سياق معين، وهذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل، وهذا يفسّر علاقة النّص بالجملة، فالأخيرة مجسدة للوحدة الدلالية التي يشكلها النّص في موقف اتصالي ما، وقد تتجسد الوحدة الدلالية في جملة واحدة، كمقولة امرئ القيس: "اليوم خمر وغدا أمر"، وقد تتجسد

1- ينظر رولان بارث: لذة النّص، تر: فؤاد صفا وحسين سبحان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001م، ص62.

2- ينظر جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 70.

3- ينظر سعيد بحيري: علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ص 96.

4- المرجع نفسه، ص 99.

في أقل من جملة، كما هي الحال في التنبيهات والإشارات والعناوين والإعلانات التي تتكون غالبا من حرف واسم: للبيع أو: لا للتدخين، وما إلى ذلك.[1]

ومن التعريفات التي ترتكز على الوظيفة الاتصالية للنّص، تعريف "سميث S.J. Schmidt " للنص بأنه كل تكوين لغوي منطوق من خلال حدث اتصالي، محدد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها، أي يحقق قدرة إنجازية يقصد بها المتحدث ويدركها شركاؤه في الاتصال، ويتحقق في موقف اتصالي، إذ يتحول كم من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك، يؤدي بنجاح وظيفة اجتماعية اتصالية وينتظم على وفق قواعد أساسية ثابتة. [2]

وقريب منه تعريف " هارتمانP. Hartmann" الذي يرى أن النّص علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي، ومع ما يتسم به من عمومية إلا أنه يقدم خصيصة ارتباط النّص بموقف اتصالي من جهة وإمكان تعدد تفسير العلامة النّصية من جهة أخرى. [3]

وأخيرا فقد حدد "دي بوجراند R. Debeaugrande " و" دريسلر Dressler" سبعة معايير للنّصية Textuality تمثّل قواعد و أسس يقوم عليها المنطوق أو المكتوب ليكون نصّا[4]، وقد عرّفا النّص استنادا إلى هذه المعايير بأنه فعل اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير، وهي: الترابط اللفظي والتماسك المعنوي والقصدية والمقبولية والإعلامية والموقفية والتناص. [5]

إذا شغل تحديد النّص مساحة واسعة من عناية اللسانيين، وعلى الرغم من التباين في المفاهيم الفكرية التي ينطلقون منها، إلا أن هناك قاسما مشتركا بين كل هذه التعريفات، وهو التأكيد على خاصية ترابط النّص وضرورة النّظر إليه على أنه وحدة لغوية مترابطة الأجزاء شكلا ومضمونا، وليس سلسلة من الجمل فقط.

1- ينظرجميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية، ص 68. نقلا عن:
Cohesion in English : M. A. E. Halliday and R. Hassen , p 293-294.
2- ينظر سعيد بحيري: علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ص 99.
3- ينظر سعيد بحيري: المرجع نفسه، ص 49.
4-ينظر سعيد بحيري: المرجع نفسه، ص 128.
5- ينظر سعيد بحيري :المرجع نفسه ، ص 127.

2- لسانيات النّص:

أ-مفهـومهـــا:

تعددت التعريفات كل حسب منطلقه لتحديد مفهوم لسانيات النص ،ومنهما ويرى الباحث الأزهرالزّناد" أنّ لسانيات النّص هي من أقدم العلوم موضوعا وأحدثها شأنا، و ذلك لأن النّصوص تعمل منذ نشأ الاجتماع البشري، إذ لا يوجد كلام خارج ملفوظ منجز هو "نّص"، وتطورت علوم تدرسه (علوم الأدب، والنقد ،البلاغة، والتفسير...)، كانت وسيلة لغيرها من العلوم متشابكة معها، ثم استقل كل واحد منها بنفسه فاقتصر على موضوعه ... والتحق جزء مما كان يجب أن يكون موضوع علم أن يدرس النّص من حيث هو نّص باللسانيات "[1] .

وهي "فرع من فروع اللسانيات تعنى بدراسة النّص بعده الوحدة اللّغوية الكبرى، وتكشف وسائل تماسكه، واتساقه، وتبحث عن محتواه الإبلاغي التواصلي، وتعمل على تحديد الطرائق التي ينسج منها النّص، وكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها وتجاورها، من حيث هي وحدات لسانية "[2]، وهي "نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة، تمتد قدرتها الشخصية إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي، يبدأ من علاقات من بين الجمل ثم الفقرة، ثم النّص، أو الخطاب بتمامه" [3].

فيمكن أن يُعد من" لسانيات النّص عادة كلُّ بحث لغوي ينطلق من النّص، في شكل أو تخطيط مكتوب أو منطوق، بوصفه وحدة أساسية للغة إنسانية، أو يتجاوز على الأقل نحو الجملة إلى حد بعيد بحيث يعالج تتابعات جملية أو قطعاً نّصية أكبر بوصفها وحدات مستقلة بذاتها "[4]،مع هذا فلم ينبثق تحديد واضح و صريح لمفهوم لسانيات النّص، سواء عند الباحثين الغربيين أم العرب، وهذا يعود إلى السّمة الجوهرية الفارقة لها عن البحوث الأخرى، وهي تداخل معرفي، فقد تشعبت المنابع التي استقت منه مفاهيمها و تصوراتها ومناهجها[5].

1- الزّناد:نسيج النّص ،ص 18.

2- صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية في السور المكية ،دار القباء للطباعة والنشر و التوزيع،القاهرة ، ط1، 1421،هـ- 2000 م ، ج1/ 36 .

3- سعد مصلوح :العربية من نحو الجملة إلى نحو النّص ،ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت ،ص 407.

4-ينظر كريستن ادميستك:لسانيات النّص عرض تأسيسي،ترجمة د،سعيد حسن بحيري،مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ط1، 2009 م،ص 34.

5- ينظر سعيد بحيري: علم اللغة النّص ، المفاهيم و الاتجاهات ،ص28.

وكذلك اتخذت اتجاهات البحث فيها أشكالا متعددة، وذلك تبعا للأسس التي يستند إليها الباحثون النصيون، فهناك اتجاه يعتمد على اللسانيات الوصفية واتجاه آخر يعتمد على اللسانيات الوظيفية، كما أن هناك اتجاها يعتمد على النحو التوليدي التحويلي. [1]

ومادامت عملية تحديد المصطلح تمثل "أول مظهر من مظاهر اكتمال العلوم واستقلالها وتكامل رصيدها" [2]، فمن الضروري بما كان تحديد مصطلح معين لهذا العلم، فالعلماء النّصيون الغربيون لم يتفقوا على تحديد مصطلح لهذا العلم، بل استعملوا أكثر من مصطلح، فمنهم من عبر عنه بـ (لّسانيات النّص Textlinguisties)أو(نحو النّصtextgrammar)، و منه من أطلق عليه (علم النّصText science) مثل (هارفج)، في حين استعمل (دريسلر)(علم دلالة النّص SemanticsText) أما (سوينكسي) فيستعمل(نحو النّص، وعلم اللغة النصTextlinguisties) ونظرية النص(theeory of text).

وكذلك فعل الباحثون العرب الذّين بحثوا في لسانيات النّص، فقد اختلفوا في المصطلح الدال على هذا العلم ،فقد استعمل علي خليل محمد و سعيد حسن بحيري و إلهام أبو غزالة (**علم النص**)، واستعمل صبحي إبراهيم الفقي و فالح بن شيب مصطلح "**علم اللغة النصي**"، واستعمل صلاح فضل وجميل عبد المجيد "**علم النص**"، وهو نفسه الذي استعمله جوليا كرستيفا بينما استعمله إبراهيم خليل و أحمد عفيفي مصطلح "**نحو النصوص**" أما تمام حسان و محمد خطابي وبشير إبرير و نعمان بوقرة و معظم المغاربة يستعملون مصطلح "**لسانيات النّص**" كتعبير منهم على الدراسة العلمية اللغوية للنصوص، وهو يعتبر من أشهر مصطلحات هذا العلم .

ويمكن إيراد بعض الملحوظات على اختيار الباحثين المذكورين أحد المصطلحات من دون غيره، حتى يختار الباحث أحد المصطلحات للدلالة على هذا العلم:

---

[3]- ينظر أحمد محمد عبد الراضي :نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،ط1، 1429هـ ،2008 م،ص18.

[4]- صبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النّصي بين النظرية و التطبيق،ج1، ص 38.

-إطلاق مصطلح (نحو النّص) فيه تقييد، وتحجيم للعلم، فمجال نحو النّص يقتصر على الكشف عن الوسائل النّحوية المتحققة نّصياً. [1]

-مصطلح (علم النّص) أوسع المصطلحات موضوعا إذ أنه يدرس النّص من جوانب متعددة، بعضها لغوياً، و كثير منها غير لغوي .

واستنادا إلى ما تقدم يبدو، أن المصطلح الأقرب للدلالة على هذا العلم هو (لسانيات النّص)، كما ثبت في المعجمات اللغوية أن اللسانيات " هي دراسة اللّغة علميا، تندرج اللسانيات في عداد العلوم الإنسانية الصلبة، الساعية منذ القرن التاسع عشر إلى إنتاج علم صارم دقيق، وتهتم بتحديد العلائق وبوصف الوظائف" [2]، وفي المعجمات الاصطلاحية بأنها "العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف و الوقائع بعيدا عن النزعة التـعليميـة و الأحكام المعيارية ".[3]

ب- نشأتهـا وتطورهـا:

إن الحديث عن نشأة لسانيات النص يستدعي بالضرورة التعريج على اللغة ومن ثم الحديث عن ضرورة التحول من دراسة الجملة إلى دراسة النص بتتبع تاريخي لمراحل تبلور هذا العلم.

فقد حظيت اللغة بنصيب وافر من الدراسات، كونها من أهم وسائل الاتصال، إذ بها يعبر كل قوم عن أغراضهم، كما ذهب إلى ذلك ابن جني[4]، واعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره [5]

وكانت بذلك الجملة الوحدة اللغوية الكبرى للدراسة،حيث اجتهد الباحثون منذ (أفلاطون347 ق م) حتى عصرنا الحاضر على اختلاف منازعهم ومناهجهم في تحديد مفهوم الجملة، فقدموا لن عددا ضخما من التعريفات أربى على ثلاثمائة تعريف[6]، وهذا العدد الكبير في تعريفاتها يبرز لنا صعوبة تحديد مفهومها فأعاقهم بذلك عن التوصل على تعريف جامع

1- ينظر نعمان بوقرة:المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب دراسة معجمية،عالم الكتب الحديث،ط2010،2م ،ص129

2- خليل احمد خليل:معجم المصطلحات اللغوية،/ ص113 .

3- نعمان بوقرة :المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب دراسة معجمية،ص129.

4-ينظر ابن جني: الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424ه/2002م، ج1، ص 87.

5-ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص 88.

6- ينظرمحمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (دط)، 1408ه/1988م، ص 11.

مانع، وهذا ما هو ظاهر لدى نحاتنا، إذ نجدهم في دراساتهم يستعملون مصطلحات كثيرة ومتشابكة كمصطلح الجملة والكلام،فابن جني يعرف الكلام بأنه "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد بمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[1]،فهي "عبارة عن فكرة تامة"[2]، كما يقول (إيفنش Ifnech) ،أو "تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة"[3] كما يعبر عن ذلك (جاردنر Gardner) ،وهي: "الوحدة الكبرى للوصف اللغوي"[4]،كما يذهب إلى ذلك (جون ليونز J. Lyons) ، وفي تعريف آخر هي "نمط تركيبي ذو مكانات شكلية خاصة"[5].

فمما نلاحظه من التعريفات هذه أنها مختلفة عن بعضها في الحكم على جملية الجمل،فيعتمد بعضها على الجانب الشكلي المحض، وبعضها على الجانب الدلالي وثالث يعتمد المزج بين الدلالة والشكل.

غير أن معظم هذه التعريفات تؤكد من خلال مفهومها استقلالية الجملة، ويتأكد هذا في نحو الجملة، حيث يقتصر على دراستها منزوعة من سياقها[6]، وفي هذا الإطار يميز **(جون ليونز)** بين ما أطلق عليه بـ جملة – نظام و جملة – نصية ، فجملة – نظام (System sentence) عنده الشكل المجرد الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في نحو لغة ما[7]، وهذا يجعل من الجملة أكثر استقلالية ،وجملة نصية (Texte Sentence) وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام[8]، وهي تتسم بالتواصل– مع جملة أخرى، حيث يحتويها نص ما... وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل[9].

1- المرجع السابق، ص 51.
2- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 88.
3- المرجع نفسه، ص 88.
4- J.Lyons :Einfuhrung in die moderne linguistik (ubersetzt) vonw.undce.Abraham/ Munchen 1980.S ,176. نقلا عن : محمد احمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 14.
5- روبرت دي بوجراند: المرجع السابق، ص88.
6- ينظر أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 18.
7- ينظر الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص 14.
8- المرجع نفسه، ص 14.
9- ينظر أحمد عفيفي: المرجع السابق، ص 19.

وهذا التقسيم الثنائي هو الذي أدى بـ (جون ليونز J.Lyons) إلى تعريف الجملة كما سبق بأنها الوحدة الكبرى للوصف اللغوي، وربما هذا ما جعل علماء الخطاب أمثال (ج ب براون G.Brown) وج. يول يعتمدان النوع الثاني من تقسيم (ليونز) بقولهما:

"سنستعمل مصطلح (الجملة) عامة بمعنى (الجملة النصية)، لا بمعنى الجملة النظامية[1]، هذا في كتابهما تحليل الخطاب.

فالتعريفات السابقة للجملة التي جاء بها النحاة واللغويون العرب والدارسون اللغويون كلها تشترك في اعتبار الجملة محور الدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الأساسية المستقلة بذاتها المغنية عن غيرها.

وقد ظلت ردحا من الزمان باعتبارها موضوعا للدرس اللغوي فبينت مكوناتها ومختلف القواعد التي تحكمها، وعلى ذلك قامت النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية المختلفة والمتعاقبة، فالجملة بنية قارة في الكلام، وقرارها هذا جعل النظريات التي اشتغلت بوصفها وتقنينها، متينة متانة نسبية، ونسبيتها متأتية من طبيعة الكلام نفسه"[2]،ونتيجة بعض العيوب التي وقع فيها نحو الجملة " كالإصرار على استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، وإخضاع الجمل الطويلة المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب اللغوية البسيطة"[3]، بالإضافة إلى حدوث نوع من التطور العلمي في أوربا خلال القرن التاسع عشر، حيث نجد أن الباحثين قد اتجهوا في هذه الفترة إلى دراسة النص الأدبي وضبط قوانينه ضبطا موضوعيا علميا بعيدا عن الذاتية والانطباعية من أجل الوصول إلى نتائج أقرب ما تكون إلى الدقة.

وتطلب هذا الاتجاه الجديد من الدراسيين بأن يتجاوزوا حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة[4].

1- براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (دط)، 1417هـ /1997م ، ص 24.

2- أزهر الزناد: نسيج النص، ص 14.

3- فولفانج هانيه وديتر فيهيفجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر صالح فاتح الشايب، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (دط) 1997م، ص18.

4- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول لنشر، القاهرة، ط1، 1996م، ص47.

وهذا قادهم إلى "دكّ الحواجز التي أقيمت بين علم النحو وعلم البلاغة، بل وعلم النقد وعلم الشعر أيضا... إغناء للنظر وإقرار بأن كثيرا من مسائل التفكير في اللغة وقضايا التقعيد لاستعمالها لا يستقيم إلا بالاحتكام فيها إلى أحوال الكلام بمختلف مظاهره"[1]، فحدث بذلك تداخل معرفي بين أكثر من علم ؛قصد الخروج في النهاية بقواعد معرفية تتخذ من النص موضوعا لها دون إهمال الجملة.

وفي هذا الصدد يشير أكثر من باحث إلى أن بداية البحث في النص –بشكل عام– ترجع إلى رسالة "L. Nye" وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة 1912م، التي بحث فيها علامات نصية، وبوصفها إشارات وأشكال محددة للعلاقات[2].

وقد ظهر بعد هذه الفترة أيضا بعض النداءات من طرف لغويين عرب للانتقال من دراسة الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى النص بصفة عامة، حيث دعا "**أمين الخولي**" في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي إلى مجاوزة البحث البلاغي مستوى الجملة إلى الفقرة والنص، حيث قال: "وأما التحلية فبأشياء منها توسعة دائرة البحث، وبسط أفقه، فلا يقتصر على الجمل كما كان في القديم من عمل المدرسة الكلامية، التي لم تأت المدرسة الأدبية بعده بشيء ذي عناء، فإننا اليوم نمد البحث بعد الجملة إلى الفقرة الأدبية، ثم إلى القطعة الكلامية من الشعر أو النثر، ننظر إليها نظرة إلى كل تماسك وهيكل متواصل الأجزاء، نقدّر تناسقه وجمال أجزائه وحسن ائتلافه ونتحدث فيما لابد منه في هذه النظرات على شؤون فنية"[3]، وهي دعوة جد مهمة، إذ كانت حرية إذا وجدت من يتابعها من اللسانيين والبلاغيين أن تحدث ثورة في الدرس اللساني والبلاغي في العربية، تنقله من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، لكن هذه الثورة لم تحدث على أيد عربية بل حدثت وبدأ ثورانها واتجاهها في الغرب عن طريق (التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي، والتداولي"[4]، وذلك حين نشر "زليغ هاريس" بحث بعنوان

1- الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 05.
2- ينظر سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ، 1997م، ص 18-290.
3- جميل عبد الحميد: بلاغة النص، ص 13.
4- خول طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، (دط)، 2000م، ص 167.

(تحليل الخطاب Discour analysis) عام 1952، وفي هذا الصدد يقول هاريس Harris : "إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك، فحاول بذلك الوصول على وصف بنيوي للنصوص لا يقف عند حدود الجملة، ولكي يتحقق هذا الهدف رأى **هاريس** أنه لابد من تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية والوصفية والسلوكية وهما:

الأولى: قصر الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة.

الثانية: الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

فهو اعتمد في منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:

- علاقات توزيعية بين الجمل.
- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي"[1].

وبعد هذه الفترة تنبه بعض اللسانيين إلى المشكلة التي طرحها "هاريس" خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات التوزيعية بين الجمل ومشكلة الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي والتي في مجملها تنادي بضرورة مجاوزة محور الجملة في الدراسات اللسانية إلى النص.

وقد عرف هذا الاتجاه بـ "لسانيات النص" وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل، وبهذا أحدثت أكبر نقلة في اللسانيات، نقلة أبسط ما يقال عنها أنها كشفت عن ضيق شديد في الدراسات التي اعتمدت على الجملة، واعتبرتها الوحدة اللغوية الكبرى خاصة في الدراسات الأدبية، وهذا ليس نبذا للنموذج القديم وإحلال آخر جديد[2]، بل الانتقال من الدرس القديم للوصول إلى موضوعنا اللساني الحديث – لسانيات النص– فهذا الأخير تكملة واستمرار للأول.

ولقد أخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ **الستينات** تقريبا، وازدادت وضوحا خلال السبعينات من القرن الماضي، فقد استطاع **دي بوجراند** أن يستعرض المسار التاريخي للسانيات النص في هذه الفترة وقبلها، حيث قسمها إلى ثلاث مراحل يقول: "ففي **المرحلة الأولى** التي استمرت حتى آخر **الستينات** لا نجد غير إشارات تلمح على أنه ينبغي للنص أو الخطاب أن يكون أساسا للدراسات اللسانية، مثلا (أنجاردن 1939) و(هيامسليف 1943) و(هاريس 1952).. و(هارتمان

1- جميل عبد الحميد:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر (دط)،1998م،ص 65.
2- المرجع نفسه، ص66.

1964)" [1]، و" فيانرش 1966 الذي حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النص"[2]، وعدّ منهج تجزئة النص منهجا بديلا للمنهج المعروف والمستخدم باستمرار في كل مراحل الدراسة اللغوية في تحليل الجملة"[3].

لكن هذه الآراء لم تؤثر في مسيرة اللسانيات المألوفة لأن أصحاب المناهج المتداولة اتجهوا اتجاها معاكسا... ذلك أن الانهماك في النظر إلى الوحدات الصغرى والجمل المفردة، لم يتح الفرصة للاهتمام مباشرة بدراسة النص الكامل[4].

وفي **المرحلة الثانية 1968** تلاقت آراء طائفة من اللسانيين الذين استقل بعضهم عن بعض في الغالب حول فكرة "لسانيات ما وراء الجملة"[5]، منهم على سبيل المثال:

"**إيزنبرغ Isenperg** الذي اعتنى بالبحث في العوامل المتحكمة في اختبارات صاحب النص، وفي أبرزها تلك العوامل –في نظره– المجاورة التي تضم مجموعة من الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض كالضمائر وحروف التعريف... والاقتران بعلائق سببية أو غائية أو أي علاقات أخرى"[6].

و"هارفيج Harveg " الذي قدم نموذج استبدال تتحرك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية التداولية[7]، والتي تشكل بناء النص.

و–"فان دايك" الذي قدم عدة نماذج نصية، ونظرات مختلفة حول دراسة النص ووصفها وتفسيرها، وقد اعتمد في نماذجه على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية دلالية واتصالية تداولية إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية التداولية[8]، وقد حاول "فان دايك" مرارا تعديل نماذجه قصد استيعاب عدد أكبر من النصوص.

1- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 65.
2- ينظرسعيد حسن بحيري: علم لغة النص، ص 191.
3- ينظرالمرجع نفسه، ص 194.
4- ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 65.
5- المرجع نفسه، ص 65.
6- ينظر إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1426ه / 2007م، ص 187.
7- سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص 94.
8- المرجع نفسه، ص 94.

وفي العموم فقد تركز الانتباه في هذه المرحلة على موضوعات كان الكلام عنها ممكنا بواسطة مفردات من لسانيات الجملة، لكن دون الوصول إلى حلول مقنعة، وكان الاتجاه السائد كما يقول "دي بوجراند" : " هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية"[1]، ولم توضح لنا هذه المرحلة إلا جزء يسيرا من مجموعة المميزات المهمة للنص.

وكانت سنة **1972** بشيرا **بمرحلة جديدة** من البحث في اتجاه نظريات بديلة مما سبقها في حقل اللسانيات[2]، أكثر مما هي مراجعة للقديم.

وجاءت الدراسات الجديدة تنقد أسس الدراسات النحوية المبنية على الجملة، فأدت إلى مقترحات بأفكار جديدة جاء بها "بيتوفيPetovi"[3]، الذي قدم محاولات جدية وثرية، ولها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية[4]، والتي انتقل بها من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتماد النص، وكانت محاولاته قفزة هامة للتحول للسانيات النصية.

وفي هذه المرحلة ظهر أيضا "دريسلر 1973" و"شميدت 1973" و"هارتمان 1975" دون أن ننسى العمل الكبير الذي قام به "هاليداي Haliday ورقية حسن سنة 1973 والموسوم بـــ الاتساق في الإنجليزية "Cohesion in english" والذي يعد بحق أحد الدراسات المهمة والعظيمة التي حددت المعالم الأساسية للسانيات النص.

فهذه هي المراحل **الثلاث** الهامة حتى السبعينات من القرن الماضي التي ذكرها "دي بوجراند" لتطور لسانيات النص للوصول إلى تشكلها على الرغم من أن هذا العلم لم يكتمل بعد اكتمالا تتضح فيه معالمه الأساسية وتتوحد فيه مصطلحاته الرئيسية إذ لا تزال إلى حد الآن تتقاطع مصطلحاته مع مصطلحات علوم أخرى خصوصا منها اللغوية، وهذا ربما لكونه أحدث فروع علم اللغة والذي يتميز عنها من جهة النشأة والتطور، حيث إنه لم يرتبط كما يذهب إلى

1- ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 65-66.
2- المرجع السابق، ص 66.
3- ، روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 67.
4- سعيد البحيري: علم لغة النص، ص 95-96.

ذلك مؤرخو هذا العلم ببلد معين أو بمدرسة بعينها أو باتجاه محدد[1]، هذا على عكس معظم العلوم الأخرى التي تتسم بهذه الميزة في الغالب.

فهذا العلم يتقدم الآن يوما بعد يوم وصار يدرس في جميع أنحاء العالم، وهذا ما هو واضح في كليات الجامعات العالمية، وفي كل يوم تظهر لنا إسهامات جديدة تضاف إلى الدراسات السابقة، وظهر في العالم العربي كغيره من مناطق العالم باحثون ومهتمون بهذا المجال المعرفي الجديد أمثال صلاح فضل و"سعيد حسن البحيري" و" أحمد عفيفي" و"إبراهيم خليل"، و غيرهم كلهم يرون ضرورة تجاوز دراسة الجملة إلى النص دون إهمال الأولى التي تعد النواة الحقيقية للنص.

1- المرجع السابق، ص 01

الفصل الأول

الفاصلــة القرآنيـة

1- مفـــــــــــهومـــــــــــــها.

2- الفرق بين الفاصلـة والقافيـة والسجع.

3- أركانـــــــــــها وأهميـــــــــتها.

4- طـــــــــرق معـــــــرفـتـــــها.

5- أنـــــــــــــواعـــــــــها.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ونزل على قوم شغلهم البيان، حتى كان أعظم بضاعتهم، وتفعل الكلمة فيهم ما لا تفعل السيوف، وقد كانوا مجبولين بحكم البيئة والنشأة على حب البيان الرفيع المليء بالصور الإيقاعية المساعدة على تذكر المادة اللفظية، كالقوافي والأسجاع وكل ما يعطي نغما موسيقيا لفظيا، وكان على القرآن لكي يؤثر فيهم أن يعلو على بيانهم، وهكذا جاء القرآن ممثلا أرقى استعمال للغة من لغات البشر، وتشرفت العربية بهذا الشرف الرفيع.

وصور الإعجاز في القرآن لا تحصى، منها إعجازه اللغوي ومن مظاهر هذا الإعجاز استعماله للفواصل التي أغنى الله بها العرب عن ولعهم بالقوافي والأسجاع وعشقهم لموسيقى الألفاظ، فوجدوا خيرا من ذلك في القرآن فآمنوا به، وتحديدا للمفاهيم، نتساءل عن ماهية الفاصلة لغة واصطلاحا وعن أركانها وأنواعها .

1- مفهومها:

أ ـ لغـــة :

لمادة (فصّل) في اللغة العربية عدد من المعاني المتلاقية ترادفا أو تضادا منها: الفصل: بوْن ما بين الشيئين، والفصل من الجسد: موضع المفصل وبين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصّل النّظم وعِقْدٌ مُفَصَّلٌ، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، ومثله الفَصْل: القضاء بين الحق والباطل، وقربت منه، فَصَلَ من الناحية: أي خرج، ومنها التفصيل: التبيين، ومنها الفَصْل واحد الفصول أي القطع. [1]

ب-اصطلاحـا:

للفاصلة تعريفات عدة حسب اصطلاح كل علم:

***في علم العروض:** الفاصلة عند العروضيين نوعان صغرى وكبرى: فالصغرى ثلاث متحركات

1- الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، إشراف محمد عوض مرعب،علق عليها عمر سلامي،عبد الكريم حامد،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1421 هـ،2001م،، ج 12، ص 192 وما بعدها.

قبل ساكن نحو: ضَرَبَتْ والكبرى أربع حركات بعدها ساكن، نحو: ضَرَبَتَا [1]

***في علم النحو:** ضمير الفصل: " وهو حرف وضع على صورة الضمير، فيسمى ضميرا مجازا... يؤتى به للتوكيد أو إزالة الإبهام، وللفصل فيما يتوهم أنه صفة أو بدل وهو في الحقيقة خبر، نحو: إن الله هو الغفّار، فضمير الفصل "هو" يبيّن أن الغفار خبر وليس صفة إذ بغيره قد يتوهم أن يكون صفة"[2]

***في علم الحساب:** الفاصلة هي العلامة في حساب الكسور العشرة تكتب بين الكسر و العدد.[3]

***في علامات الترقيم:** الفاصلة (،) وتستعمل لفصل أجزاء الكلام عن بعض، فيقف القارئ عندها وقفة خفيفة، أي يسكت سكتة لطيفة، تشعر بأن جزءا من الكلام المتصل قد انتهى، ولتمييز أجزاء الكلام عن بعضه. [4]

هـ- في علوم القرآن: ذكر العلماء العديد من التعريفات للفاصلة منها،

--الرماني: عرّف الرماني الفاصلة بقوله: " الفواصل حروف مشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني "[5].

- الزركشي: عرّفها بقوله: " هي كلمة آخر الآية". [6]

- الدكتور مناع القطان: "نعني بالفاصلة الكلام المنفصل عما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، تقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عنده"[7]

- الدكتور فضل عباس: حيث قال: "يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللفظ الذي ختمت به الآية" [8]

ومن التعريفات السابقة يتبين أن الفاصلة القرآنية هي الحروف أو الكلمة أو الجملة التي ختمت بها آخر الآية القرآنية.

1- السيد أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 2، لبنان، 1415هـ/1945م، ص 9-10.
2-أحمد بن علي توفيق و يوسف جميل الزغبي: المعجم الوافي في النحو العربي ، دار الجيل، لبنان ،د ط، د ت، ص 347.
3-أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار المعارف ،مصر، ط 2، 1392هـ/1972م، ج 2، ص 691.
4-يوسف حسني عبد الجليل: علم كتابة اللغة العربية والإملاء، دار السلام، ط 1، مصر، 1422هـ/ 2006م، ص 141.
5-الرماني ، الخطابي، الجرجاني: ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني، تحقيق: الدكتور محمد زغلول سلام وآخرون، مصر، 1376 هـ ص 97.
6-بدر الدين محمد الزركشي،: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى النابي الحلبي، ط 1، 1959م، ج 1، ص 153.
7-مناع القطن: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 7، 1990، ص 131.
8-فضل حسن عباس: إعجازالقرآن الكريم، فهرس المكتبة الوطنية، عمان، 1991، ص 225.

أما عن سبب التسمية:

سمّى العلماء أواخر الآيات فواصل تمييزا للقرآن الكريم عن غيره من أنواع الكلام وهذه التسمية تجد مستندها من القرآن الكريم نفسه، فقد جاءت آيات كثيرة في الكتاب الكريم تحمل إشارة إلى هذه التسمية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98)﴾[الأنعام]، {آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ} [الأعراف:133]،﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[فصلت:3].

فهذه الآيات وغيرها من كتاب الله تحمل معنيين: [1]

الأول: التفصيل بمعنى التبيين، مفصلات بمعنى مبينات.

الثاني: تفصيل الآيات بالفواصل، بأن يكون بين كل آيتين فاصلة، أي مهلة وعلى هذا تكون الفاصلة هي نهاية الآية، وقد أخذ العلماء هذه التسمية لتكون علما على أواخر الآيات تنزيها للقرآن عن مصطلحات الفنون الأخرى، نقل السيوطي عن الجاحظ قال: "سمّى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل: سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كالقافية".[2]

2- الفرق بين الفاصلة والقافية والسجع:

لاشك أن الشعر و النثر فنان مختلفان، فالأول موزون مقفى والثاني منه مرسل ومسجوع، ولاشك أيضا أن القرآن مختلف عنهما تماما،فهو كتاب فريد من نوعه لا يشبه أي كلام آخر،ولذلك جاءت تسمياته مخالفة لتسميات غيره،فإذا كان آخر بيت الشعر يسمى قافية،فإن آخر الآية من القرآن يسمى فاصلة.

وقد بحث العلماء علاقة القرآن بغيره من فنون القول،وتناولوا وجود الشعر والسجع في القران أما الشعر فلم يجرؤ أحد على القول بوجوده في القرآن حتى وإن وجد فيه آيات على المثال الموزون[3]،وهذا لم يكن الوزن فيه مقصودا، وأما السجع فقد ثار حول وجوده في القرآن جدل كبير.

1-الأزهري: تهذيب اللغة، ،ص 194.
2-السيوطي ،جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الوقفية،بيروت،(دط)،1973،ص 143.
3- إبراهيم أنيس:موسيقى الشعر،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط7،مصر،1997م،ص327.

ولابد أن ننطلق في هذه المسألة من مسلمة وهي أن القرآن كلام الله تعالى،وكما أن الله تعالى لا يشبه شيئا من خلقه،قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فكذلك كلامه عز و جل لا يشبه كلامهم،وقد نفى القران عن نفسه مشابهة غيره فقال الله عز و جل:﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة41-43]،وهذا النص الكريم يقرر حقيقتين ،إحداهما نفي الشعر وقول الكهان الذي هو السجع عن القران الكريم،والثانية تثبت أن القران متميز و متفرد عن سائر الكلام فهو تنزيل من رب العالمين ،قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس 69].وبهذا يكون نفي الشعر عنه محسوما ومجمعا عليه:"ومما يتميز به القرآن يكون من الشعر،أيشعر،أن الحد الأدنى للشعر هو الكلام الموزون عروضيا،المقفى من حيث الشكل،وأن الشعر من وضع البشر،ثم هو خاضع لما يخضع له البشر من غلو في الانفعال والتصور، وليس في القرآن العزيز شيء من ذلك"[1].

وإذا كان نفي الشعر عن القرآن محسوما فليس كذلك السجع،إذ ثار حوله خلاف قديم ولا يزال مستمرا بين من يبحثون في بلاغة القرآن وإعجازه، وانقسم العلماء بين مثبت وناف، وممن **نفى** السجع عن القران، **الباقلاني، وعموم الأشاعرة، وابن خلدون** الذي يقول:"....و القرآن وإن كان من النثر إلا أنه خارج عن الوصفين ليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي بمقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها"[2] ومن الذين قالوا **بوجود السجع** في القرآن ،**ابن الأثير** صاحب كتاب المثل السائر ، **وأبو هلال العسكري، وابن سنان الخفاجي** ،وقد قدم كلا الفريقين أدلته وحججه"[3]،ومحاولة للانصاف بين الطرفين يقول الحسناوي: "إن القول بسجع القرآن حيف ولا نقول السجع عيب،وإن القول بالفاصلة لاشريك لها رد الأمور إلى نصيبها ونظرة

1- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار للنشر، عمان، ط 2، 1421ه، 2000م، ص130.
2- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، دط،لبنان،1427ه/2008م ص66.
3- منير سلطان:البديع تأصيل وتجديد،منشأة المعارف،دط، مصر ،1986م،ص27.

إلى ظاهرة قرآنية مطردة في القران كله،وفي ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر والكهان"[1]

وعلى هذا نقول:حتى وإن وجد في القرآن ما هو على شاكلة السجع،فالذي تستريح إليه النفس هو تسمية القرآن بتسمياته الخاصة،لأن القرآن متميز عن غيره في كل شيء ،فلا يقال قافية القرآن ولا سجع القرآن و أنما يقال فاصلة ،وبهذا تتمايز المصطلحات ، فالقافية للشعر،والسجع للنثر ومصطلح الفاصلة خاص القرآن لا يشاركه غيره فيه،مصطلح أصيل يستمد تسميته من القرآن نفسه ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [فصلت3].

3- أركـــــانـــها وأهـــميـتـــها:

أ- أركـــــانـــــهـــا:

للفاصلة كما للسجع والقافية عدد من الأركان تقوم عليها وتستند إليها هي:

1-رؤوس الآيات:

إن مصطلحي "الفاصلة" و"رؤوس الآيات" مغرقات في القدم حتى لا تكاد تتبين أيهما أسبق في الوضع فقد"سمّى الرّماني نهايات الآيات فواصل، ومن قبل سمّاها الفرّاء رؤوس الآيات، وتبعه في هذا الاسم الزجّاج في (معاني القرآن)، فقد وجدنا الفرّاء نفسه استخدم مصطلح "الفاصلة" إلى جوار رؤوس الآيات".[2]

فرؤوس الآيات إذا هي الفواصل التي هي بدورها نهايات الآيات، لكن الجدل حول السجع في القرآن أبرز مصطلح "الفاصلة".

2-الـــوزن:

المراد بالوزن في الفاصلة: الوزن العروضي، الذي يلحظ فيه مقابلة المتحرك بالمتحرك،بصرف النظر عن نوع الحركة والساكن بالساكن، من غير التفات إلى أصالة الأحرف وزيادتها احترازا من الوزن التصريفي، وهو مقابلة حركة بنوع حركتها كمقابلة ضمة

1- محمد الحسناوي: الفاصلة في القران،ص125.
2- المرجع نفسه، ص 138.

بمثلها،فالفاصلتان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2)﴾ قد جعلتا مما لم يختلف في الوزن مع تخالف وزنهما التصريفي. [1]

3-القرينة:

جمعها قرائن، سميت بذلك لمقارنة أختها، وهي قطعة من الكلام جعلت مزاوجة للأخرى،وتسمى فقرة، غير أن الفقرة أعمّ من القرينة لأنها مماثلة لقرينتها بحرف الروّي (مسجوعة) وغير مماثلة، والقرينة لا تكون إلا مماثلة، كما هو ظاهر كلامهم[2]. والقرينتان في النثر بمنزلة البيت من الشعر. [3]

4-**الـــروّي**:وهو الحرف الأخير من الفاصلة[4]، وذكره -هاهنا- من باب التوسع ليس غير،لأنه لا يطّرد إلا في الشعر[5]، وإليه تنسب القصيدة مأخوذة من الرِّواء بالكسر وهو الحبل، على أن بعضهم قد يسمي حرف الرّوي فاصلة. [6]

ب- أهـــميـــتـــها:

يتضح بجلاء دور الفاصلة في الإعجاز القرآني، وذلك بتنوع استعمالاتها، إذ لو حذفت لاختل المعنى في الآية، ولو سُكت عنها لاستطاع القارئ والسامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع الرفيع والذوق السليم، قال الزركشي: " وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان". [7]

فتبرز أهمية الفاصلة – عند الزركشي- في دور تحسين الكلام وإيصال الخطاب للسامع دون كلفة وعناء، وهذا ما يميز القرآن الكريم عن غيره من كلام البشر ويمكننا إجمال أهمية الفاصلة فيما يلي:

- دورها في كشف جماليات الأداء الصوتي الذي تتميز به تلاوة القرآن الكريم.

1- علي الجندي: صور البديع – فن الأسجاع- ،ج 1، ص 197.
2- المرجع نفسه ، ج1، ص 191.
3- المرجع نفسه،ج1، ص 191
4- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بمصر 1383 -1963م، ج2، ص280.
5- علي الجندي : صور البديع، ج1، ص 196.
6- المرجع نفسه، ج1، ص 196
7-الزركشي: البرهان في علوم القران، ج1، ص 54.

-الفاصلة بقيمتها الإيقاعية والموسيقية" تلعب دور المفتاح في اللحن الموسيقي، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقية، إلا لتقريب المثال فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السورة الواحدة بيسر وسهولة"[1]

-فائدة معرفة الفواصل لصحة الصلاة.

-فائدة معرفة الفواصل للحصول على الأجر الموعود به على قراءة عدد معين من الآيات أو تعلمها.

-//كثيرا ما تقرن وتربط العبد بأسماء ربه تبارك وتعالى، وصفاته (حكيم عليم، سميع بصير على كل شيء قدير) وهكذا.

-الفاصلة وجه من وجوه الإعجاز التي يقع بها إحكام بناء الآية شكلا ومضمونا مبنى ومعنى،فأما لفظا ومبنى فإن ذلك واضح في جودة القرآن وسبكه وحسن نظمه، فقد أخذ بمجامع قلوب أعدائه قبل أوليائه حتى قال قائلهم (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه)،وأما معنى ومضمونا فلارتباط المعاني في فواصل الآيات واقترانها، وهذا ما نلحظه في:

أ- لما سمع أعرابي قارئا يقرأ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:38] ،ختمها القارئ بـ {غفور رحيم}، فقال الأعرابي: مع أنه لم يسمع الآية من قبل: ليست التلاوة كذلك فتنبه القارئ، فقال: والله عزيز حكيم، فقال الأعرابي: بخ بخ عزّ فحكم فقطع.

ب- قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف: 51]، جاءت فاصلة الآية مفردة (عضدا) مع أن سياق الآية يتحدث عن الجمع، وذلك لتناسب الفواصل الآيات التي قبلها وهي (موعدا، أحدا، بدلا)،فهي

1- محمد الخفاجي:النسق القرآني –دراسة أسلوبية- رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 1423هـ/ 2003م، ص 86.

الألْيَن من حيث الالتحام مع سائر الفواصل، وكذلك من حيث المعنى لأن المضلين جميعا هم من الهوان والذل بموضع يستغني الله عن معونتهم فواحدهم فيه كجميعهم. [1]

4- طـرق معـرفتهــا:

لمعرفة الفاصلة في القرآن الكريم طريقان: توقيفي و قياسي.

أ- التـوقيفـــي:

وهو ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم– بتحديد رؤوس الآي في السور، ومما يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن أم سلمة –رضي الله عنها– لما سئلت عن قراءة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قالت: كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت : بسم الله الرحمن الرحيم إلى (الدين) تقف على كل آية.

ومما يدلّ أيضا ما رواه الإمام احمد من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: أقرأني رسول الله – صلى الله عليه وسلم– سورة من الثلاثين من الـ (حم) يعني الأحقاف، قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين.

وهذا يدلّ على أن إحصاء الآيات كان معهودا زمن النبي –صلى الله عليه وسلّم– كما جاء في الفاتحة أنها سبع آيات، والملك ثلاثين آية.

وعليه:

فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس فاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله مرة أخرى احتمل الوقف عليه أن يكون:

- لتعريف الفاصلة.
- لتعريف الوقف التام.
- للاستراحة.

واحتمل الوصل له أن يكون: فاصلة ووصلها. [2]

1- محمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها – رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1430هـ/ 2009م، ص 39-40.

2- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 290.

ب- قيـاســي:

يحدد السيوطي معنى القياس بقوله(وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص عليه بالمنصوص لمناسب). [1]

ويقول الزركشي: " ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه".[2]

وقد ذكر العلماء بعض الطرق لمعرفة الفواصل منها:

- مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا وقصرا:

وذلك مثل إجماع العلماء أن (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه:111]، ليست فاصلة، مع أنهم عدوها فاصلة في أول سورة آل عمران، والسبب عدم مساواتها لما قبلها ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ ولا لما بعدها.

- مشاكلة الفاصلة لآيات السورة في الحرف الأخير أو ما قبله:

مثاله قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً ﴾ [النساء: 133]، فالعلماء لم يعدوا (وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) فاصلة لعدم تشاكل طرفها مع طرف الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: 132]، وإنما عدوا قوله تعالى:﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً (133)﴾ فاصلة لتشاكل الطرفين.

- انقطاع الكلام:

وهو أن كل كلمة مشتملة على حرف المد وقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مد وصلح كل منهما، لأن يكون فاصلة، فالفاصلة هي الكلمة الثانية لما في {عليم حكيم} ، {عليم حليم}، وهكذا.

1- المصدر السابق، ص 291.
2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 98.

إن طريق معرفة رؤوس الآيات إنما هو نقل الصحابة – رضوان الله عليهم– لما سمعوه من الرسول – صلى الله عليه وسلم– لأنه قد ينتقض القول بالقياس في أحيان كثيرة مثلا:

- أن القياس في فواصل الآيات لا يخضع لقاعدة واحدة:

عدّ العلماء بعض الحروف المقطعة التي تختتم بها السور والآيات وفواصل، مثل (آلم،آلمص، كهيعص، عسق، حم، يس، طه، طسم)، ولم يعدّوا (آلمر، ص، ق، ن، طس) آيات ولو كان الأمر مبنيا على القياس لكان حكم المثلين واحد.

- أيضا عدّ العلماء بعض الآيات مع شدة تعلقها بما بعدها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً (21)﴾ [النبأ: 21]، متعلقة بقوله:﴿لِلْطَّاغِينَ مَآباً (22)﴾ [النبأ:22]، وقوله أيضا: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) ﴾ [العلق:9]، شديدة التعلّق بقوله ﴿عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾[العلق:10] ولو كان عدّ الآيات يعتمد على القياس لما عدّت هذه الآيات منها لتعلّقها في المعنى بما بعدها.

- الآيات الطوال لم تجئ إلا في السور الطوال، والآيات القصار لم تجئ إلا في السور القصار والكل على قدر متساو، ومثل هذا لا يقال به بالقياس، بل السماع والتوقيف. [1]

ولعلّ القول بالسّماع والتوقيف في معرفة فواصل الآيات هو الأصل، لورود الدليل أولا عليه، ولما يترتب على القول بمجرّد القياس والاجتهاد من افتقار الميزان الدقيق الذي يضبط الجميع ما لم يكن صاحب القياس عالما بفنون هذا العلم ومداخله وأصوله، ويمتلك أدوات القياس لإجراء الحكم وتنزيل الدليل.

1- محمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، ص 42-43.

5- أنـواعهــا:

يمكن بيان أنواع الفواصل في القرآن الكريم لعدد من الاعتبارات: [1]

أولا- باعتبار الوقف والإطلاق:

***الفاصلة المطلقة:** الوقوف فيها يكون بإطلاق الحركة ومدها مثل الوقوف على الألف المفتوح ما قبلها، فإذا وصلت صارت تنوينا بالنصب كما في (صحًّا، قدحًا)

- **الفاصلة الموقوف عليها:** مبنى الفاصلة جاء مرتكزا عليها في غالب القرآن، وذلك شاع فيها مقابلة المرفوع بالمجرور والعكس، وأشهرها ما كان على النون المردوفة بواو أو ياء (يعملون،تشربون،...)

ثانيا- باعتبار حرف الروي:

- **الفاصلة المتماثلة:** وتسمى "المتجانسة" أو ذات "المناسبة التامة"، وهي التي تماثلت حروف رويها مثل.

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ [الطور: 1-3]

وقوله أيضا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾[الانشقاق: 16-17].

هذا وقد استقلت الفواصل المتماثلة بأخذ عشر سورة من سور المفصّل هي: القمر المنافقون،الشمس، الأعلى، الليل، القدر، العصر، الفيل، الكوثر، الإخلاص والناس. [2]

- **الفواصل المتقاربة:** وتسمى ذات المناسبة غير التامة، وهي التي تقاربت حروف رويّها كتقارب الميم والنون في مثل ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)﴾[الفاتحة:3-4].
- **الفواصل المفردة:** وهي التي لم تتماثل حروف رويّها ولم تتقارب كفواصل سورة الضحى في ختامها﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:9-11]

2- ينظر محمد الخفاجي: النسق القرآني- دراسة أسلوبية- ، ص 89.
3- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص 147.

ثالثا-باعتبارالوزن:

المتوازي: وهو أن تتفق الفاصلتان الأخيرتان في الوزن والرويّ، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)﴾ [الغاشية: 13-14]، واتفقت الفاصلتان (مرفوعة) و(موضوعة) في وزنهما.

- **المطرف:** وهو أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقان في حرف الرويّ، كقوله تعالى:﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح: 13-14]، اختلفت الفاصلتان (وقارا) و(أطوارا) في الوزن، بينما اتفقتا في حرف الرويّ.
- **المتوازن:** وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن فقط، كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[الغاشية:15-16]، حيث اتفقت الفاصلتان في الوزن (مصفوفة) و(مبثوثة) واختلفتا في حروف الرويّ.
- **المرصّع:** أن تتفق الفاصلتان في الوزن والتقفية وتكون الفاصلة المتقدمة تقابل الفاصلة المتأخرة، كقوله تعالى:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:13-14] فالفاصلة الأولى والثانية (نعيم) و(جحيم) تتفقان وزنا وتقفية مع التقابل بينهما.
- **المتماثل:** وهو أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية، ويكون ما في الأولى مقابل لما في الثانية، كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات:117-118]، فـ (الكتاب) و(الصراط) يتوازان ، وكذا (المستبين) و(المستقيم) ، واختلفا في الحرف الأخير.

رابعا- بحسب طول الفقرة:

- **قصيرة موجزة:** مثل : (آلم ، الرحمن ، الحاقة).
- **متوسطة موجزة:** مثل:﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[النجم:1-2]

- **طويلة مفصحة:** مثل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنفال:43].

>

خامسا- بحسب القرينة:

- **قرائن متساوية في عدد الكلمات:** مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30)﴾[الواقعة: 27-30]
- **قرائن مختلفة الطول والقصر:** مثل قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة: 30-32]

الفصل الثـانــي

السبك وظـواهـره فـي الفـاصلـة القـرآنيـة

1_مفهومــه

2_أنواعـــه

أ_السبك النحوي وظواهره.

1_ظـــــــاهرة الإحالة.

2_ ظـــــاهرة الـحـذف.

3_ظـــــاهرة الـــعطف.

4_ظاهرة الإبدال (الإحلال)

ب_ السبك المعجمي وظواهره.

1-ظاهرة التضام.

2_ ظاهرة التكرار.

ج_السبك الصوتي وظواهره:

1-التنغيم

2-النسق الصوتي للفواصل.

3-الإيـــــقاع في الفواصل.

تـوطئــة:

تعرف بحوث اللسانيات النصية تقدما في مختلف أنحاء العالم، كما تعرف تنافسا وإسهامات عظيمة في مجال تحليل الخطاب بالولايات المتحدة خاصة بمعاهد الدراسات اللسانية، كما أن هناك دراسة لصياغة النصوص في أقسام علم لنفس في مؤسسات مثل جامعات فلوريدا، ستانفورد وكاليفورنيا.

ولعلّ أبرز المهتمين باللسانيات النصية في المدرسة الأنجلو أمريكية الباحث الأمريكي "**روبرت دي بوجراند،** Robert De Beaugrond" الأستاذ بجامعة فلوريدا ،الذي استطاع أن يقدم نظرية منسجمة في لسانيات النص، يمكن الإطلاع على بعض جوانبها في كتابه (النص والخطاب والإجراء، Text discourse and process) الذي صدر سنة 1980،وكان الغرض" من الكتاب النظر إلى النص من زوايا مختلفة بداية من رصف المفاهيم، إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة والقصص وهو الإنتاج النصي للأخرى قصد الاستفادة من هذا العلم أثناء الترجمة وتعلّم اللّغات. [1]

المهم أن المدرسة الأنجلوأمريكية تطورت في مجال علم النص، انطلاقا من اتجاهين:

-الاتجاه البنيوي. -الاتجاه التوليدي .

ثم ما لبث أن اتخذت منحى آخر، تأثرا بروح العصر وبثقافته السائدة لتصبح لسانيات النص علما متعدد الاختصاصات.

وفي هذا الصدد يقترح دي بوجراند مجموعة من المعايير النصية تجعل من النص نصا أو تفقده نصيته. [2] وتتمثل فيما يلي:

1/ **السبك** (Cohésion) : يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، فيتحقق لها الترابط الرصفي، ومن وسائل السبك التكرار، الإحالة الحذف، والروابط كأدوات العطف.

2/ **الحبك** (Cohérence): ويتطلب من الإجراءات ما تنشطه عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، وتشمل وسائل الالتحام العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص وغيرها.

1- ينظر روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان،ص6 (مقدمة المترجم).

2- المرجع نفسه، ص 103.

3/ القصدية (Intentionnality) : ويتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام.

4/ القبول (المقبولية) Acceptability: يتعلق بالمتلقي، وقبوله للنص أو عدم قبوله، ويقوم علم النص على مساعدة المتلقي لقبول موقف دلالي محدد، واستبعاد باقي الدلالات، لأنه يضم السياق كله لصحة القواعد النحوية، لذلك يكون القبول على مستوى الجملة، ثم يتعدى ذلك إلى مستوى

النص كله.

5/ رعاية الموقف (المقامية) Situationnelité: لابد من ربط النص بالمقام، فالنص يكون متأثرا بالموقف مراعيا له، قادرا على التأثير فيه، ومجموعة المعارف السابقة مفيدة في تحديد الموقف وتحليل الخطاب، لذلك تساعد الظروف التي يقال فيها النص على فهمه وتأويله.

6/ التناص(Intertextualité): يتضمن النص علاقات مع نصوص سابقة بسبب حركتي التأثير والتأثّر، ذلك أن أي نص لا ينطلق من فراغ، بل يتفاعل مع غيره من النصوص لإنتاج نص جديد، وقد اهتمت الدراسات الحديثة بالتناص، رغم أن الظاهرة قديمة قدم الآداب والفنون.

7/ الإعلامية (Informativité): لكل نص درجة معينة صغرى أو كبرى من الإعلامية، فلا يمكن أن يكون نصا دون محتوى ودلالة، لأن النّص يهدف إلى إيصال دلالات إلى المتلقي، من هنا ترتبط الإعلامية ببنية النص من خلال المنظور الوظيفي له.

ومن المعايير السابقة يتضح أن التماسك (السبك) والانسجام (الحبك) يرتبطان أكثر بالنص،فهما المعياران الرئيسيان الأقرب إلى طبيعته. [1]

وقد صنّف روبرت **دي بوجراند** هذه المعايير إلى :معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص،وهما معيارا (السبك والحبك) ،واثنان نفسيان وهما معيارا (التناص والمقامية)، وترك

1-ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص 109.

المعيارين المتصلين بمنتج النص ومتلقيه، وهما (القصدية والتقبلية) من دون أن يصنفهما، وترك أيضا (الإعلامية) لتقدير المنتج والمتلقي. [1]

واستند د. سعد مصلوح فيما يبدو إلى التصنيف السابق مع شيء من التحوير، فقد صنّف المعايير السبعة إلى: [2]

- ما يتصل بالنص في ذاته: وهما معيارا السبك والحبك.
- ما يتصل بمستعملي النص: منتجا ومتلقيا ، وهما معيارا القصدية والتقبلية.
- ما يتصل بالسياق المحيط بالنص: وهي المعايير الثلاث المتبقية الإعلامية، المقامية والتناص.

ومن المعايير السابقة يتضح أن " السبك والحبك" يرتبطان أكثر بالنص، فهما المعياران الرئيسيان الأقرب إلى طبيعته، وعلى هذا الأساس تمحورت هذه الدراسة من خلال ضبط المعيارين في الدراسات النصية الحديثة، ومحاولة تطبيقها على النص القرآني وبالتحديد على الفاصلة القرآنية، وإبراز مدى تماسكها وتجليات أهم آليات معياري السبك والحبك في ذلك.

إلا أن الباحثين العرب لم يتفقوا حول المصطلح العربي المقابل لـ (Cohésion و Cohérence)، فقد استعملوا مصطلحات متعددة بتعدد الدراسات النصية العربية، والجدول الآتي يوضح ذلك :

1- ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، ص 198.
2- المرجع السابق، ص 198.

المصطلح	ترجمته العربية	الباحث	المرجع
Cohésion	السبك	تمام حسان	النص والخطاب.
		أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي.
		جميل عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية.
		سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري
	الاتساق	محمد خطابي	لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب.
	الترابط	خولة الإبراهيمي	مبادئ في اللسانيات
	التماسك	الأزهر الزّناد	نسيج النص.
		صبحي إبراهيم الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق.
		فالح بن شبيب	مدخل إلى علم اللغة النّصي.
Cohésion	الحبك	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري
	الانسجام	صلاح فضل	بلاغة الخطاب وعلم النص
	التماسك	سعيد بحيري	علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات
	التناسق	فالح بن شبيب	مدخل إلى علم اللغة النصي
	الاتساق	تمام حسان	النص والخطاب والإجراء
	التقارن	إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم لغة النص

***جدول للمصطلحات المترجمة لـCohésion وCohésion ***

تعددت الترجمات للمصطلح الواحد، أما الاختيار في هذا البحث فقد وقع على مصطلحي (السبك والحبك) ترجمة لمصطلحي (Cohésion و Cohérence)، ذلك لوضوح دلالتهما في التراث

العربي، ولاستعمالهما لدى الروّاد من الباحثين العرب، أما عن ورودهما في التراث العربي فنذكر قول الجاحظ في أجود الشعر بأنه: " متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا، وسبك سبكا واحدا" [1]، فلنمس في دلالة (السبك) عند الجاحظ تماسك النص وتلاحمه على المستوى الشكلي، ويقول أسامة بن منقذ: " وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"[2]، ولهذا تكون هذه الترجمة هي الأكثر قبولا وشيوعا، وتتناسب مع ما كان متداولا في التراث النقدي عند العرب[3]، أما عن المصطلح العربي الآخر (الحبك) فلأن معناه اللغوي من ضمن دلالته يدل على إجادة النسج والعمل وتحسين أثر الصنعة والشدّ والإحكام يقول ابن منظور: " الحبك: الشدّ، واحتبك بإزاره شدّه إلى يديه... وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **والسّماء ذات الحُبُكِ**﴾ [الذاريات: 7]، الخلق الحسن... والمحبوك ما أجيد عمله، والمحبوك: المحكم الخلق، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه..." [4]، وهذا المعنى اللغوي يقترب وقد يتفق مع دلالة الأصل اللاتيني لـ (Text) الذي يحيل إلى (النسيج)، ودلالة المادتين ذات الأصل العربي، والأصل اللاتيني يحيلان إلى شدة التنظيم وبراعة الصنع، ويمكن لنا عندئذ أن نعتمد مصطلح (الحبك) ترجمة للمصطلح Cohérence ليدلّ على ترابط النص وتناسقه من حيث المضمون والدلالة، ونحسب أن اختيارنا السبك والحبك لن يوقعنا في الخلط الذي يتسبب عنه التشابه الكبير بين الترجمات العربية الأخرى لنفس المصطلحين الأجنبيين،وللتمييز بين المصطلحين نحاول تقريب المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية.

1- الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي بمصر و مكتبة المثنى ببغداد،ط2، 1380ه،-1960م، ج1، ص 67.

2- أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق: عبد علي مهنا،،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ط1 ،1407ه، 1987م، ص 236.

3- محمد العبد: حبك النص،منظورات من التراث العربي، بحث منشور في فصول (مجلة)،تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، العدد 69، ربيع 2002، ص 62.

4- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حبك)، ج10، ص 407.

1- مفهـوم السبك:

أ- لغـــة:

هو عملية إذابة الذهب أو الفضة ووضعها في قالب من حديد حتى تخرج متماسكة متلاصقة، وتسمى حينئذ سبيكة [1].

وقد استعمل المصطلح للدلالة على الكلام من باب المجاز، قال الزمخشري: " ومن المجاز هذا الكلام لا يثبت على السبك، وهو سبّاك للكلام"[2].

يلحظ مما تقدم وجود علاقة بين المعنى المعجمي والمعنى المجازي الذي انتقلت دلالة اللفظة إليه، ذلك إن المتكلم يقوم بجمع ألفاظه من شتات، فيجمعها في ذهنه فتخرج متماسكه، كذلك يخرج الكلام من فم المتكلم، إما حسن الكلام ،فيه سبك لإجادة المتكلم الصياغة ،أو رديء فتمجه الأذن.

ب- اصطلاحا :

يتحقق هذا المعيار عند "روبرت دي بوجراند" بوساطة الترابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمل والتراكيب والتكرار والإحالات والحذف والروابط، ويمثل (السبك) المعيار الأول من المعايير النصية التي وضعها **بوجراند و ديسلر**، وقد نال هذا المصطلح عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين، بتوضيح مفهومه، وأدواته، وإبراز عوامله وشروطه، فكان مفهومه "علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكوّنة للنّص يتعرض بعضها لقيود حين يندمج في بنية الجملة لأن الشرط النحوي لوجود الجملة يضمن بلا شك انسجام أجزاء النص لتكون نصّا بأية حال، لكنّ العلاقات الاتساقية هي ذاتها سواء أكانت عناصرها جملة واحدة أو

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، مادة (سبك)، ج5، ص 317.
2- أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت 538ه): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419ه/1998م، ج1، ص 435.

لا؟"[1]، أو هي "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كلّ جملة مكونة للنّص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى"[2].

ولا يمكن فهم **السبك** حسب **هاليداي** إلا عن طريق" فهم نظام اللغة، فهو نظام يضم ثلاثة مستويات هي: المستوى **الدلالي** (المعاني)، والمستوى **المعجمي** أو النحوي الشكلي ،والمستوى **الصوتي** أو الإملائي (العبارات أو الكلمات)، ويعبّر عن المعاني الأكثر عموما عن طريق النحو وعن المعاني الأكثر دقة عن طريق المفردات، والسّبك ليس علاقة شكلية محضة، بل هو علاقة دلالية ولكنّه يتحقق عن طريق النظام المعجمي النّحوي" [3]

والسبك كذلك هو "إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل"[4].

ويحدد **سعد مصلوح** السبك" بأنه يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص "Surface text" وتعنى بظاهر النص: الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي"[5].

وبيّن سعد مصلوح الدرجات التي يتحقق فيها **الاعتماد النحوي** بقوله "ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي:

1- شريف بلحوت: الإحالة دراسة نظرية(رسالة ماجستير)،كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر، 2006/2005م ،ص 83.
2- د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 44.
3- شريف بالحوت: الإحالة دراسة نظرية، رسالة ماجستير، ص 76.
4- د. جميل عبد الحميد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 78.
5- سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، بحث منشور في فصول (مجلة) تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، المجلد 10، العددان 1-2، 1991م، ص 154.

1- الاعتماد في الجملة.

2- الاعتماد فيما بين الجمل.

3- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

4- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

5- الاعتماد في جملة النص".[1]

ويوضح **صلاح فضل:** " أن التماسك (السبك)، يمثل خصيصة نحوية للخطاب، تعتمد على علاقة كل جملة بالجملة الأخرى، وهو ينشأ غالبا عن طريق الأدوات التي تظهر في النص مباشرة، كأدوات العطف والوصل والترقيم، وأسماء الإشارة وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة وغيرها"[2].

أما عن الدراسات في التراث العربي فقد فهم مفسروا النص القرآني أكثر من غيرهم أن القاعدة النحوية لا تقف عند الجملة، بل تتجاوزها إلى التركيب، وما تؤديه من عمل في كشف المعنى، من هنا يبرز أثر العلاقة التي رسمها المفسرون بين النص القرآني وبين القاعدة النحوية وتتجلى مظاهر السبك عند المفسرين بصورة تظهر الجهد النصي لديهم، من ذلك تعدد المحال إليه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: 45]، يشير **الزمخشري** إلى أن " الضمير للصلاة أو للاستعانة، ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ [البقرة:122] إلى {اسْتَعِينُوا} "[3]، فالضمير (ها) هنا إما لأن يعود إلى الصلاة وهي أقرب من الاستعانة، وإما إلى الاستعانة وفي الحالتين هناك تطابق بين الضمير (ها) وبين المحال عليه إفرادا وتأنيثا، وإما إلى جملة أمور تستغرق خمس آيات وهي (ذكر النعمة، والوفاء بالعهد، ورهبة الله، والإيمان ، ورسالة محمد صلى الله عليه

1- المرجع السابق، ص 154.

2- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص 17.

3- الزمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان،ط2، 1421ه،2001م،ج1، ص 162.

وسلم، ومن هذا التحليل يظهر أن الضمير يقوم بوظيفتين، استحضار عنصر متقدم في خطاب سابق، واستحضار مجموع خطاب سابق في خطاب لاحق[1].

كما تحدث الجاحظ عن التماسك والتحام الأجزاء، بحيث أورد في البيان والتبيين أبياتا شعرية وذيّلها بتعليقات تظهر مدى اهتمام الجاحظ بالتماسك في النص الشعري، ومنها قوله:

" وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء، ولينة العطف سهلة،وتراها متباينة، ومتناظرة ومستكرهة، تشق على اللسان وتكده والأخرى سهلة لينة، خفيفة على اللسان، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"[2]،دون أن ننسى مسألة هامة، وهي ربطه الكلام بالنسيج، كأن مثله مثل ارتباط النص الغربي بالنسيج، حيث يقول: "ووضعوا كلامهم، في أشعارهم فشبهوها بالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك"[3].

ويشير في كتابه إلى أوصاف أخرى للكلام، فيقول: " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء في صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير "[4].

يُبيّن لنا الجاحظ من خلال آرائه النقدية هذه وجهوده من أجل إظهار تلاحم الأجزاء وجودة السبك، وتشبيه الكلام الجيد بالنسيج، أنه يجالس جنبا إلى جنب مع كبار البلاغيين الذين قاموا بإرساء قواعد لسانيات النص والذي تعد البلاغة السابقة التاريخية له.

ومن مظاهر السبك عند النّحاة ما ورد عند "**ابن السراج**" في كلامه عن الروابط، إذ فصّل الكلام فيها تفصيلا أشار فيه إلى مسألة الرّبط بالحرف، فقال: " اعلم أن الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع، إما أن يدخل على الاسم وحده مثل: الرّجل أو الفعل ،أو ليربط اسما باسم (جاءني

1- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 173.
2- الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، ص 89.
3- الجاحظ:البيان والتبيين، ج1، ص89.
4- المرجع نفسه، ج1، ص 100.

زيد وعمرو)، أو فعلا بفعل، أو فعلا باسم، أو على كلام تام، أو ليربط جملة بجملة أو يكون زائدا... وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك: (إن يقم زيد يقعد عمرو)، وكان أصل الكلام (يقوم زيد يقعد عمرو)، فيقوم زيد ليس متصلا بيقعد عمرو، ولا منه في شيء، فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا"[1]، وكما هو معلوم فالوصل أو الربط هو إحدى الوسائل أو الظواهر التي حددها كل من هاليداي ورقية حسن في كتابهما (Cohésion in English) فكان السبق التاريخي لعلماء النحو العربي.

2- أنــواعــه:

ذكر **هاليداي ورقية حسن** في كتابهما "Cohésion in English" أن جزءا من السبك يتحقق عبر النحو، وجزءا آخر عبر المفردات، وعليه فقد أشارا إلى أن السبك ينقسم إلى قسمين هما:

السبك النحوي "Grammatical Cohésion" و"**السبك المعجمي** "Lexical Cohésion"، وأضاف بعض الباحثين قسما ثالثا هو **السبك الصوتي**، الذي أفاده من توقف "روبرت دي بوجراند" أمام مصطلح "التنغيم" الذي عدّه من المحاور الصوتية الرئيسية لمصطلح السبك"[2].

توقف "**روبرت دي بوجراند** " وزميله " **دريسلر**" في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص،Introduction to textlinguistics) في سنة 1983م، أمام مصطلح " التنغيم" وعدّاه وسيلة من الوسائل الصوتية الرئيسية التي توظف مع وسائل أخرى ليتحقق مفهوم السبك النصي، وباستثناء ذلك لم يتكلم علماء لغة النص المتخصصون على عناصر صوتية أخرى ، وقد أفردت البلاغة العربية للسجع والجناس قسما خاصا ضمن علم البديع، ولا يخفى علينا ما يتوفر في عناصر البديع من بعد موسيقي وصوتي يسهم في عملية تماسك النص، وعناصر البديع كلها مقصورة على اللغة العربية[3].

1- محمد بن سهل ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق/ د. عبد الحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417ه/1992م، ج1، ص 43.

2- ينظر حسام أحمد فرج: نظرية علم النص ،رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1428ه/2007م، ص 23.

3- ينظر المرجع السابق،(بتصرف)، ص 117.

أما عن ظواهر وأدوات السبك فقد حدداها كما يلي:

أ- **الاتساق (السبك)النحوي**: ويضم:

1-الإحالة أو المرجعية . 2-الاستبدال .

3-الحذف . 4-الربط أو العطف

ب – الاتساق-السبك-المعجمي: ويضم التكرار والتضام .

جـ-**السبك الصوتي**:ويضم ميغنتلا وظواهره من خلال الإيقاع والنسق الصوتي للفواصل.

يمكن تمثيل السبك وظواهره بالمخطط التالي:

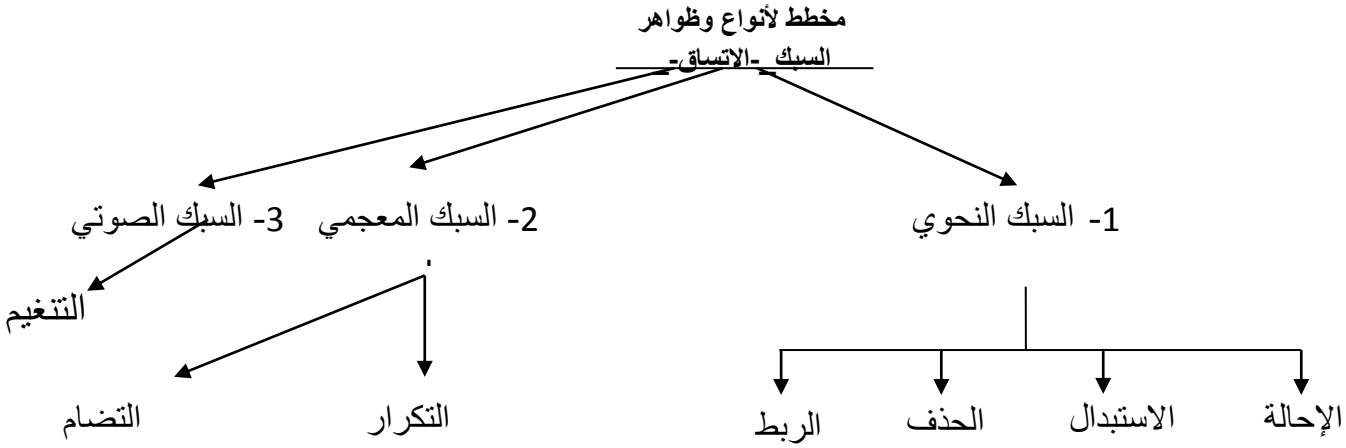

أ-السبك النحـوي وظـــواهـــره:

يمثل السبك بعدا مهما في دراسة النص القرآني، لأنه يرصد ترابطه الشكلي ، لذلك كان هدف هذه الدراسة في هذا الجزء هو استخراج الأدوات والظواهر التي ساهمت في سبك الفاصلة القرآنية للوقوف على كيفية الترابط النصي، وطبيعة النظام اللغوي للوصول إلى القيمة الدلالية للفاصلة في الآية أو السورة القرآنية، لأن أي عمل لا يقتصر على الجانب الدلالي فقط، وإنما بالتعاضد والتكامل بين الشكل والدلالة، وهو الأمر الذي تسعى هذه الدراسة لرصده من خلال أدوات أو مظاهر الترابط النصي في الفاصلة القرآنية التي تعتبر معايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على سبك نص ما، مع العلم أن كل ظاهرة أو آلية من آليات السبك تنطلق من فكرة مختلفة عن

الأخرى في علاقتها مع النص، لكن تتفق جميعها في القيام بدور لغوي يعد الأساس لتكوين النص.وتتجلى ظواهره في الفاصلة القرآنية على النحو التالي:

1- ظاهـرة الإحالــة:

أ- مفهـومهـا:

تعتبر الإحالة مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يثبت مدى سبك نصه، وهي من أهم الأدوات، إذ "تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة".[1]

ويقول "جون لويتر" في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة: "إنها العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها"[2]، إذ أن الأسماء تحيل إلى المسميات.

وتطلق تسمية العناصر الإحالية، حسب الأزهر الزناد "على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص".[3]

ويتصل "النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محيل ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذا داخل النص، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي، وسياق النص"[4].

كما تطرق ميرفيMurphy للإحالة واعتبرها " تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو

1- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 17.
2- ج. ب. بروان، ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، د.ط، 1417 ه/ 1997م، ص 36.
3- الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 118.
4- فتحي رزق الله الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 45.

ضمنا في النص الذي يتبعه أو الذي يليه"[1]، وذلك أن العنصر المحال يعتمد على عنصر آخر محال إليه ، بحيث لا يمكن فهم الأول إلا بالعودة إلى مايحال إليه ، وذلك لأن العناصر المحالة لا تملك دلالة مستقلة عن غيرها، بل هي تابعة في دلالتها إلى عناصر أخرى.

ولذلك اعتبرت الإحالة" علاقة بين العبارات Objets والأحداث Events والمواقف Situations في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات إنها ذات إحالة مشتركة.."[2]

وقد استعمل الباحثان "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" مصطلح الإحالة استعمالا خاصا، وهو أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة،[3] وهي أهم وسائل الاتساق الحالية.

ب- أنواعها:

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: إحالة مقامية وإحالة نصية، وهذه الأخيرة بدورها تتفرع إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية، والرسم التالي يوضح نوعا الإحالة:

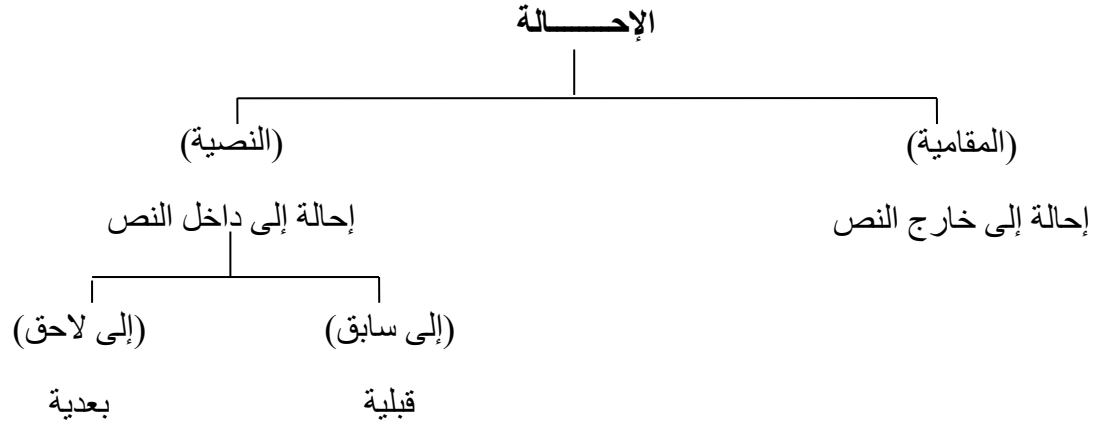

مخطط يبين أنواع الإحالة

1- ريما سعد سعادة الجرف: مهارات التعرف على الترابط في النص، مجلة رسالة الخليج العربي، ع 07، د. ت، ص82.
2- ينظر المرجع السابق، ص 320-321.
3- ينظر محمد خطابي : لسانيات النص، ص17.

يتضح من هذا الشكل أن الإحالة تنقسم إلى قسمين: إما إحالة خارج النص أو إحالة داخل النص، ورغم الاختلاف بينهما إلا أنهما يشتركان في وجود عنصر محال إليه في مكان آخر، وهذا ما سيظهر من خلال تحديد مفهوم كل نوع.

1-الإحالـة المقاميـة(خارج النص):

وتسمى أيضا إحالة **خارج** النص، أو الإحالة إلى **غير مذكور** كما يسميها **الدكتور تمام حسان** ترجمة لمصطلح دي بوجراند ExphoricRéférence، وهي ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب. [1]

وبذلك فإن هذا النوع من الإحالة يمكن أن يحدث نوعا من التفاعل بين النص والخطاب والموقف السياقي.

ويعرفها "**الأزهر الزناد**" بقوله: "هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحل عليه المتكلم"[2]، بحيث تكون الإشارة إلى خارج النص.

ولا يتم هذا النوع من الإحالة إلا بمعرفة **الأحداث وسياق الحال**، والمواقف التي تحيط بالنص أو الخطاب، حتى يمكن معرفة الشيء المحال إليه، ولهذا يجعلنا نبرز الأهمية الكبرى لمعرفة **مناسبات النزول** في دراستنا **للنص القرآني** إذ كثيرا ما يصعب علينا تحديد عودة الضمير بسبب عدم معرفة سبب النزول.

1- ينظر دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 332.
2- الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 119.

2-الإحالة النصية أو داخل النص (أو داخل اللغة).

للإحالة النصية دور هام في خلق ترابط كثير من جزئيات النص، ذلك أنها تحيلنا إلى ملفوظ آخر داخل النص، ومن ثم فهي تعتبر مساهمة فعلية حقيقية في اتساق النص، فوجودها يبعد تشتت النص، فهي رابط يقوي أواصر العناصر المتباعدة، إذ هي بمثابة صدى لوجه، بحيث لا يفهم هذا الوجه إلا بالعودة إلى مصدر الصدى.

وفي هذا النوع من الإحالة" لابد على المتلقي من العودة إلى العناصر المحال إليها، فهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية، وتنقسم بدورها إلى قسمين[1]:

أ-الإحالة القبلية:

وهي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة، وهي" استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة[2]،وتعود على مفسر سبق التلفظ به[3]، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد الضمير.

وقد لاقى هذا النوع من الإحالة اهتماما كبيرا عند النحاة العرب، "وذلك عندما اشترطوا رجوع الضمير المطابق للاسم إذا كان بين الجملتين رابط[4]، واشترطوا أيضا عودة الضمير على مرجع واحد سابق له لأن هذا هو الأقرب في الكلام، "وذلك لأن الضمائر كلها لا تخلوا من إبهام وغموض سواء للمتكلم أو المخاطب أو للغائب وعليه فلا بد لها من شيء يزيل إبهامها ويفسر غموضها[5].

1- المرجع، السابق، ص 118.
2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص 38.
3- احمد عفيفي: نحو النص، ص 117.
4- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص 281.
5- عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د.ت)، ص 119.

وتشمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل لنص قصد التأكيد، وهو الإحالة التكرارية ، وتمثل الإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام[1]، وأمثلة في القرآن الكريم كثيرة جدا، سوف نبين منها ما هو موجود في الفاصلة القرآنية.

ب- الإحالة البعدية:

***أو الإحالة على لاحق:** وهو استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة[2]، بحيث تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص لاحقا عليها[3]، وأبرز أبواب النحو العربي توضيحا لها "ضمير الشأن "[4]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:01].

فالضمير "هو" وهو ضمير الشأن يحيل إلى لفظ الجلالة (الله)، ومثال الجمل العبارات،الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة، كما في أسماء السور والجمل الأولى منها، بل أحيانا الكلمة الأولى منها[5]، وهذا ما سنوضحه لاحقا.

وتتفرع وسائل السبك الإحالية، كما أسلفنا الإشارة إليها إلى:الضمائر،الأسماء الموصولة ،أسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، وسنتناولها حسب ذكرها:

***الضمائر:** تقوم الضمائر في نظر علماء لسانيات النص بدور فعال مع عناصر الإحالة الأخرى،في سبك النص لذا كانت لها أهمية بالغة في أبحاثهم.

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن،... إلخ.

وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي كتابك، كتابنا،إلخ.[6]

1- ينظر الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 119.
2- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج1، ص 40.
3- احمد عفيفي: نحو النص، ص 117.
4- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ص 40.
5- المرجع نفسه، ص 40.
6- محمد خطابي : لسانيات النص، ص18.

الأسماء الموصولة:الاسم الموصول هو " ما دلّ على معيّن بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمى هذه الجملة: صلة الموصول"[1]، وصلة الموصول دائما جملة، إما اسمية وإما فعلية، ويتصل بها ضمير يسمى العائد، نحو: "جاء الذي قام أبوه"، ويشترط أن يكون مطابقا للموصول في النوع والعدد، وتنقسم الموصولات إلى قسمين: مختصة وعامة[2]، ويمكن تمثيلها بـ:

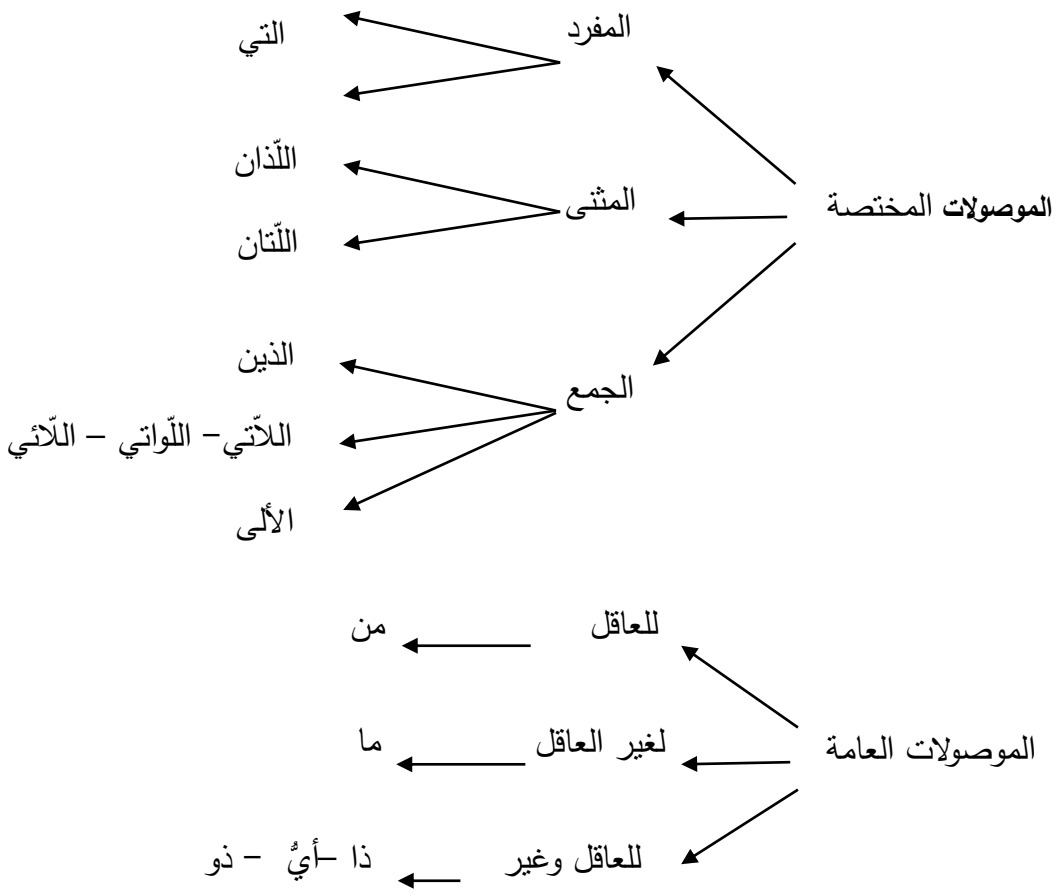

مخطط للأسماء الموصولة

1- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431ه/2010م، ص 124.
2- المرجع نفسه، ص 125.

يعد الاسم الموصول أداة واضحة من أدوات الإحالة التي تعمل على تماسك النص وترابطه،وذلك" لكونه يحدد دور المشاركين في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وتتحقق إشاريته إذا ما دل مع صلته على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعدد ذكره في النص،وينطبق هذا على الموصولات المشتركة عادة، بينما يكون الاسم الموصول المختص إحاليا إذا ما عاد على محال إليه سابق له عادة" [1]

ولا تختلف الأسماء الموصولة عن غيرها من أدوات الاتساق الإحالية كونها تقوم بعملية التعويض، "وهي لا تحمل أي دلالة خاصة، ومفهومها لا يتضح إلا من خلال ما تحيل إليه، وهي تقوم بعملية الربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يلحقها وهي صلة الموصول التي تصنع ربطا مفهوميا يجمع بين ما يسبق الاسم الموصول ما يأتي بعده، ويشير النحويون إلى أن صلة الموصول ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي قبل أن يذكر الاسم الموصول" [2]

ج-علاقتها بالفاصلة القرآنية:

تتجلى الإحالة بأنواعها في الآيات القرآنية أين تظهر علاقتها بالفاصلة بربطها بما يسبقها أويلحقها.

1- الإحالة الضميرية:

تؤدي الضمائر وظيفة اتساقية، إذ تقوم بربط أجزاء النص، وتصل بين أقسامه وقد ترد على عدة أنواع منها:

✓ **<u>الهاء الدالة على المؤنث،</u>** الواردة في فواصل سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة: 1-2]، فالضمير "ها" في (زلزالها وأثقالها) يحيل إحالة سابقة على الأرض.

وكذا في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾[النازعات:42-43-44]. فالهاء الدالة على المؤنث في كل من (مرساها

1-ينظر نادية رمضان النجار: علم لغة النص والأسلوب بين النظرية والتطبيق، مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية، د.ط، 2013، ص 39.

2- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، كتاب المؤتمر الثالث للعربيةو الدراسات النحوية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2005.، ص77.

ذكراها، منتهاها) تحيل إلى لفظ الساعة، السابق ذكره في النص، في الآية (42)، ومن ثم فهي إحالة داخلية سابقة، وتعود كلها إلى نواة النص.

وبما أنها تعود إلى مرجع واحد فهي مرتبطة به شكلا ودلالة، وكذلك تربط الآيات بالآية الأولى من هذا المقطع، محققة التماسك الشكلي في اتفاق الضمائر، والدلالي في الإسناد،والتماسك، المعنوي بين الآيات.

-**الضمير المتصل "الواو"** الواردة في الفواصل التالية (يضحكون، يتغامزون، الضالون، يفعلون يضحكون، ينظرون،...)، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ،وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ،وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ،وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ، فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ،عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ،هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المطففين: 29-36].

تكلمت الآيات حول جانب من الرذائل التي كان يفعلها المشركون مع المؤمنين، فقد كانوا في حياتهم يتهكمون على المؤمنين، ويسخرون منهم ولا يكتفون بالغمز واللمز، عندما يرون المؤمنين،بل يجعلونهم عند عودتهم إلى أهليهم مادة تفكههم وضحكهم.

فالكافرون هو العنصر الرئيس في هذه الآيات، وبالتالي نجد أن الضمائر التي تحيل إلى الكافرين أكثر من الضمائر التي تحيل إلى المؤمنين، لإبراز شناعة الجرم الذي اقترفه أولئك المجرمون، وهذا يوصلنا إلى حقيقة مؤداها أن توزيع الضمائر بهذه الطريقة المنظمة، ساهم في تحقيق السبك الشكلي بين الآيات وكذا التماسك الداخلي من خلال الإحالة الداخلية السابقة.

✓ **الضمير الغائب المستتر (هي)** مثل (كوّرت، انكدرت، سيّرت، عطّلت، حشرت، سجّرت زوّجت، سئلت، قتلت، نشرت،...) كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ،وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ،وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ،بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ،وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ،وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: 1-14].

فهذه أربعة عشر ضميرا والتي دلت عليها الأفعال المتمثلة في فاصلة كل آية، فأحالت هذه الضمائر كل منها إلى مرجع خاص، مما يعني أن السبك الذي حدث في هذه الآيات سبك داخلي على مستوى الآية المفردة، وهذا التعدد في المرجعية يبرز قوة النظم في القرآن، ذلك أن النظرة الكلية إلى النص القرآني ومعرفة الغرض الرئيس الذي تتحدث عنه السورة يظهر الوحدة الدلالية في القرآن، وهذا من مميزات النص القرآني، فالآيات كلها تتحدث عن موضوع واحد، وهو إثبات البعث، وهذا الموضوع يستدعي أهوالا تتقدمه، وتعقبه، فلما كثرت الأهوال أو المرجعيات ناسبها أن تكثر الإحالات.

فالضمائر حققت السبك على مستوى الآية المفردة، كما أنها ساهمت في تحقيق مقصدية السورة على المستوى الدلالي.

الضمير المستتر المخاطب "أنت" في قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: 9-11].

فالخطاب موجه للرسول –صلى اله عليه وسلم– ولم يذكر اسما صريحا فيها، فمن المعروف أن هذه السورة الكريمة "الضحى" نزلت بعدما" شاع في مكة أن رب محمد –صلى الله عليه وسلم– قد قلاه وأن الوحي لم ينزل عليه، فنزلت السورة ترفع عنه الحزن والضيق، كما أنها تذكره بنعمته تعالى عليه. "[1]

بناء عليه فالإحالة خارجية ذات مرجعية خارجية. اعتمد في معرفة مرجعيتها على السياقين اللغوي والاجتماعي.

2- الإحالة الإشارية:

في قوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا**

1-ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن،دار الشروق،القاهرة،بيروت،ط10، 1401ه ، ج2 ، ص 3925.

وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:233]،اسم الإشارة (ذلك) الوارد في آخر الآية عائد على (الإرضاع) والمقصود "هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء، ويلزمهم إرضاعه على قدر مواريثهم منه"[1]، وهو إحالة داخلية قبلية، فكان لاسم الإشارة دور في اختزال معنى ما سبق تفاديا لتكراره وربطه بما بعده.

وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 157] اشتملت هذه الآية الكريمة على أسمى إشارة دالة على الجمع البعيد (أولئك)، وأشير بهما إلى مذكور سابق (155-156) من ذكر لحال الصابرين على قضاء الله وقدره، حيث تحقق التماسك والسبك بين ثلاث آيات، والمشار إليه "هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة، وأن الحكم الذي يرد بعد اسم الإشارة مترتّب على تلك الأوصاف"[2]،و"جاءت بلفظ الإشارة للبعيد للدلالة على علوّ مرتبتهم، ومنزلتهم ومقامهم"[3] جزاء لهم.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة27]، حيث أحال الله بالإشاري (أولئك) إلى ما سبق من صفات الذين اتبعوا سبيل الشيطان لتكون لهم العاقبة أنهم الخاسرون،ومما سبق يمكن أن نمثل للإشاري (أولئك) كالتالي:

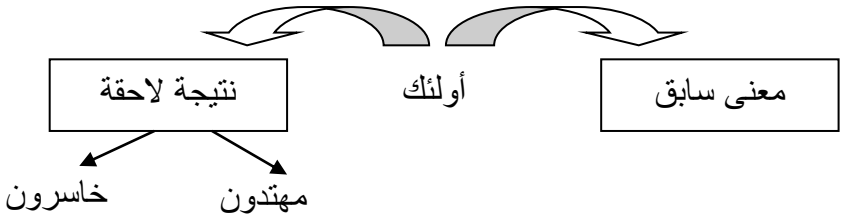

مخطط للإحالة الإشارية وعلاقها بالفاصلة

1- ابن عطية الأندلسي: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422ه/2001م، ج1، ص 312.
2- طاهر بن عاشور : التحرير والتنوير،دار سحنون للنشر والتوزيع،تونس،1997 م،(دط)،ج2، ص 57.
3- محمد صالح بن عثيمين: تفسير القرآن الكريم، الفاتحة، البقرة، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1423ه، ج2، ص182.

3- الإحالة الموصولية:

تعتمد الأسماء الموصولية صلة ورابطا بين ما تدلّ عليه وعنصر آخر من عناصر الجملة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ [الكهف: 30]، أي: عملهم [1]، فكانت الإحالة داخلية بعدية بين "من" الاسم الموصول وعملا (الفاصلة).

وفي قوله تعالى:﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: 77]، اشتملت الآية الكريمة على اسمين موصولين عامين محالين إحالة داخلية بعدية، فقد "أحيل بالموصول الأول إلى جملة "يسرون"، أما الموصول الثاني فأحيل به إلى جملة "يعلنون"، والعائد في الصلتين محذوف وتقديره "ما يسرونه وما يعلنونه"[2]، وبهذا تحقق السبك بين الفاصلة والاسم الموصول (ما).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: 152]، حيث أحالت "التي" على معنى لاحق "هي أحسن" فالإحالة بعدية، وقد وردت الإحالة مكونة من إحالتين، فالأولى في إحالة "هي" والثانية إحالة على "أحسن"، وأما الثانية قد حققت الأولى فأصبحت بذلك الإحالة مجتمعة مؤكدة مبينة الحكم الذي أراده الله تعالى.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]، فإن الموصولين أحالا إلى مذكورين سابقين، تم تفسيرهما من خلال نص، أما الأول فهو انبعاث ظل الغمام وإنزال المن والسلوى، وأما الثاني فهو قول بني إسرائيل لنبي الله موسى عليه السلام بأن يدعوا ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير لهم.

4- الإحالة المقارنة:

كل عملية مقارنة تتضمن شيئين على الأقل يشتركان في سمة مشتركة بينهما، ويمكن التمييز بين نوعين من المقارنة.

1- ينظر. تمام حسان: الخلاصة النحوية، عالم لكتب، 2000م، ص 93.

2- محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، ط3، 1416ه/1995م، ج1، ص170.

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك، ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل إليه المتكلم.

وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيا ويحتمل أن يكون داخليا. فإذا كان داخليا فإما أن يكون المرجع متقدما أو متأخرا.

ويمكن تمثيل ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: 118].

فقد ربطت كلمة **أكبر** (التي هي لفظ من ألفاظ المقارنة) الجملة الثانية بالأولى، لأنه لا يكون الشيء أكبر إلا بالموازنة بشيء آخر، ولا يعرف ذلك الشيء إلا بالرجوع إلى ما سبق في الآية **{البغضاء من أفواههم}** ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ [طه:127]، أحال اسم التفضيل "أشدّ" و"أبقى" في هذا المقام إحالة قبلية إلى عذاب وهو تحذير من الله جلّ وعلا لعباده من كون أن عذاب الآخرة أشدّ وأبقى من عذاب الدنيا الذي أورثه لعباده المعرضين عن ذكره، وشتّان بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وعليه فللمقارنة دور في سبك النص القرآني من خلال الترابط الشكلي والترابط الدلالي بين الفاصلة ووسيلة المقارنة.

2- ظـــــــــاهرة الحـــــذف:

إن ضرورة تعبير الإنسان عن حاجاته وعن الأحداث المحيطة به، جعله يقع في صعوبة ذكر كل هذه الحاجات والأحداث، لأن ذكر كل شيء يتطلب طول الزمان لاستماع المتلقي إليه،على ما في هذه الإطالة من الملل وذكر ما لا يستحق ذكره، ولذلك يلجأ المتكلم إلى الحذف،وهذا الأخير ظاهرة لغوية اختصت به جميع اللغات الإنسانية دون استثناء، بحيث يقوم المتكلمون بحذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو بعض ما يستحق حذفه ويفهم من خلال المقام أو المقال، ولذلك أخذت العناية من قبل أصحاب الاهتمام من لغويين وغيرهم، فبينوا حقيقة هذه الظاهرة، لكن السؤال المطروح الذي يبقى يدور في الأذهان: ما دور هذه الظاهرة في سبك القرآن؟ وهل يمكن لشيء محذوف ان يربط بين الكلام؟ ويكون له دور في تماسك النصوص؟.

أ- مفهـومهـــا:

يدور المعنى اللغوي لمادة (ح.ذ.ف) حول القطع من الطرف خاصة، والطرح والإسقاط، جاء في لسان العرب: حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، وقال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه ، ومنه حذفت من شعري ... أي أخذت. [1]

أما **اصطلاحا:** فقد ذكر كريستال Crystal في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح "Ellipses " وهو حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى[2] ، فالمحذوف من الجملة الثانية يدل عليه دليل في الجملة الأولى، فيؤكد كريستال هنا على وجود دليل لقيام الحذف، أما "**دي بوجراند**" فيذهب إلى أنه: " استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي[3]، والاكتفاء هنا إشارة إلى أن الحذف لا يعد نقصان في النص، ويذهب الباحثان

1- ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 774.

2 Crystal : the Cambridge Encyclopedia, p 199.ينظر-

3- دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 340.

"هاليداي" و"رقية حسن" إلى أن: "الحذف علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهنا يعني أن الحذف عادة قبلية"[1].

ويكثر الحذف في النصوص دون الجمل المنفصلة، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بناء يقوم على التماسك والاتساق، وهذان العاملان يساعدان منشئ النص على الاختصار، وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة. [2]

ولذلك اهتم النحاة والبلاغيون وأهل التفسير بهذه الظاهرة قديما وحديثا، ولقد اعتبرها **الجرجاني** طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر، يقول في تعليل ما ذهب إليه "الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة... وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن..." [3] ورأيه هذا ينم عن رأي مصيب وبصيرة نافذة بهذه الظاهرة.

ب – أنماطهـــا:

أما عن أنماط الحذف المختلفة، فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة والصوت ثم الحرف ثم الحركة والعبارة وكذلك الجملة، وهي أنماط لا تخرج عن تقسيمات علماء النحو العربي، يقول ابن جني (ت 392هـ): "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك وإلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[4]، فشرط الحذف عنده توفر الدليل.

وأما ابن هشام فقد افرد قسما خاصا تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وقدم فيه أنماط الحذف مفصلة، وقد اتبع في ذلك ما اقترحه ابن جني وهذا ملخصه:

1- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 21.
2- ينظر صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص 253.
3- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد : دلائل الإعجاز في علم المعاني،تعليق محمود محمد شاكر،مكتبةالخانجي بالقاهرة،ط5، 1424ه،2004 م،ص 117.
4- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص ،تحقيق علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العام،ط4 ، 1990م،ج2، ص 140.

* **حذف الاسم:** كما في حذف الاسم المضاف، والمضاف إليهن واسمين مضافين، وثلاثة متضايفات، والموصول الاسمين، والصلة، والموصوف والصفة والمعطوف والمعطوف عليه،والمبدل منه والمؤكد، والمبتدأ أو الخبر.

***حذف الفعل:** هو على ضربين: الأول أن تحذفه والفاعل فيه، والثاني أن تحذف الفعل وحده.

* **حذف الحرف:** وهو على نوعين: الأول حرف زائد على الكلمة مما يجيء بمعنى كحذف حرف العطف، والحال وما النافية للجنس، وما المصدرية، وحرف النداء... إلخ، والنوع الثاني: حذف حرف من نفس الكلمة.

* **حذف الجملة:** كما في حذف جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.

* **حذف الكلام بجملته،** حذف أكثر من جملة. [1]

أما "هاليداي" و"رقية حسن" فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي:

- ✓ **الحذف الاسمي:** ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: أي سيارة ستركب؟ هذه هي الأفضل: أي هذه **السيارة؟.**
- ✓ **الحذف الفعلي:** ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل: هل كنت تسبح؟ نعم فعلت.
- ✓ **الحذف داخل شبه جملة،** مثلا: كم ثمنه؟ واحد دينار. [2]

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة، فإن الحذف يقوم بدور سبكي، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة، لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلّا ما دلّ عليه دليل من السياق.

أما عن المواضع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكراها "**هاليداي**" و"**رقية حسن**" جملة الاستفهام، لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي، وسبب ذلك أن جملة الاستفهام تشمل على

1- ينظر ابن جني، الخصائص، ج2، ص 140-158.
2- ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، ص 22.

دليل الحذف، وذكرا أنواعا أخرى للحذف واعتبراها مهمة في التحليل النصي هو حذف بعض الأحداث دون البعض في التسلسل الزمني للقصة... والحذف السببي مثل قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ [البقرة:60]، أي: فضرب فانفجرت، ومنها حذف الزمان والمكان وغيرها من الحذف القصصي.

وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قياما بمهمة التماسك النصي هي(حذف الاسم – حذف الفعل – حذف العبارة – حذف الجملة – حذف أكثر من جملة). [1]

ولقد أدرك علماء العرب القدامى دور الحذف في تحقيق التماسك النصي، فهذا **السيوطي** يطلق مصطلح **(الاحتباك)** ويقصد به: " أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره من الأول"[2] .

وكلمة الاحتباك مأخوذة من "الحبك" والذي يعني عند السيوطي: "الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج، وشده وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه من مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من الخلل بطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل"[3]

من خلال ما جاء به السيوطي تتبين لنا تلك النظرة القديمة للحذف عند علماء العرب، ويبرز من خلالها بعد النظر واتساعه لهذه الظاهرة عندهم، وكيف أنهم ربطوا العلاقة بين الحذف والتماسك النصي، كما جاء به علماء لسانيات النص في الوقت الحالي.

1- ينظرصبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النصي، ج 2، ص 196.
2- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 182.
3- المرجع السابق، ص 183.

ج- الحذف في الفاصلة القرآنية:

1- حذف الحرف:

ويعد حرف "الياء" أبرزها، و"هذه الياء تقع في الأسماء والأفعال على حد سواء، وعددها في فواصل القرآن الكريم ما يقارب من نحو **أربعة وتسعين** موضعا خلافا لمن ذكرها ستة وثمانين موضعا." [1]

وهذه الياءات المحذوفة تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون أصليا ومن مواضعها في القرآن الكريم ﴿**المتعال**﴾ [الرعد: 9]، ﴿**التّلاق**﴾ [غافر: 15]، و﴿**التّناد**﴾ [غافر: 32]، ﴿**يسر**﴾ [الفجر: 4]، و﴿**بالواد**﴾ [الفجر: 9]، ومعظم الباقي ياء المتكلم.

وعلة الحذف في كتب القراءات تدور على شيئين اثنين:

الأول: أن هذه لغة للعرب مشهورة تحذف فيها هذه الحروف في أمثال هذه المواضع.

الثاني: أن الحذف سبب عدم وجودها مكتوبة في خط المصحف الإمام. [2]

وأما المفسرون فعلة الحذف عندهم جهتان أخريان:

الأولى: أن الحذف بسبب وقوع هذه الآيات في الفواصل.

الثانية: أن الحذف بسبب الاكتفاء عن هذه الياءات بالكسرة.

نجد هذه التعليلات في أغلب التفاسير كتفسير الزمخشري والرازي وابن عاشور وغيرهم، أما البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" فإنه حاول أن يجد تحليلا معنويا للحذف ومنها نذكر:

- قال البقاعي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ [ص: 8]، "وإطباق أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسما وقراءة، إشارة إلى أنه العذاب الأدنى المذهب لحمية الجاهلية

1- ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية،بيروت،(دت)،ج2، ص 180.
2- ينظر مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها،تحقيق محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،ط4، 1987م،ج1، ص 331.

وإثبات يعقوب وحده لها في الحالتين إشارة إلى أنه العذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب".[1]

– وفي قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: 05]، " وحذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه بأدنى نسبة كافٍ في المراد وإن كان المعذّب جميع العباد"[2]

– وفي قوله تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:17]، "وحذف الياء منه ومن ﴿ نَكِيرِ ﴾ [الملك: 18]، إشارة إلى أنه وإن كان خارجا عن الطرق ليس منتهى مقدوره، بل لديه مزيد عناية له لا بوجه ولا تحديد. [3]

– وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر: 4]، " وأثبت الياء في **(يسري)** ابن كثير ويعقوب، وحذفها الباقون... وأما من جهة ما وقع فيه السري فللإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى فالحذف إشارة إلى القصير، والإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع من تمام سراه، وما وقع للسارين فيه... وانقسم الليل إلى ذي طول وقصر، والساري فيه إلى ذي حضر وسفر، فدلت المفاوتة في ذلك جميع أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار، واحد قهار"[4].

– وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ [الرعد: 11]، قال سعيد الدبل: "وانظر لما حذفت الياء من لفظة (وال)؟ فليس ذلك لمجرد تناسق الفاصلة وإنما في ذلك تعبير عن إنزال العذاب وسرعته وعدم القدرة على رده والإفلات منه"[5].

ونلفي العديد من الآيات حذفت الياء في فاصلتها منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ [الحجر: 68-69]، حذفت الياء في موضعين **(تَفْضَحُون ،تُخْزُون)**، وفي قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: 56].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات: 99].

1- البقاعي : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر: نظم الدررفي تناسب الاياتوالسور،تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1415ه، 1995م،(دط) ، ج 16، ص 337.

2- المصدر نفسه، ج17، ص 10.

3- المصدر السابق، ج 2، ص 250.

4- المصدر نفسه، ص 22-23.

5-محمد سعد الدبل: النظم القرآني في سورة الرعد، دار النصر ،مصر،1981م،ص 88.

إلى غير ذلك من الآيات التي أسهم الحذف في سبكها من خلال مراعاة الإيقاع الصوتي من جهة وتناسبا مع معنى الآية ودلالتها من جهة أخرى.

2- حذف الكلمــة:

ونلفي فيه العديد من الأنواع حسب الكلمة المحذوفة في الفاصلة القرآنية، وذلك لدواع دلالية وإيقاعية ساهمت في سبك الآيات والسور القرآنية.

أ- حذف الفاعـــل:

وأمثلته في الفواصل واقعة في الأفعال التي بنيت للمفعول، وكثير ما يظهر هذا فيما يتعلق بأهوال القيامة والبعث والنشور ونحوها من الأمور، وحذف الفاعل لا يقتصر على الفواصل فحسب، بل يحذف في أماكن أخرى وذلك لدواع منها:

أولا- كون الفاعل معلوما لا يحتاج إلى التنصيص عليه ولا بيانه، نحو:

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: 3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[التكوير: 5]،وقول﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير: 11]، فمن المعلوم بداهة أنه لا يفعل هذا إلا من خلقها، إذ لا يقدر عليه سواه.

- الإخبار بوقوع الفعل، وهو واضح في الأمثلة السابقة.

- توجيه النفي للحدث نفسه، وتصوير هوله وغرابته.

- من أغراض الحذف بيان العناية بالمتحدث عنهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 272]، وقوله: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: 169].

خامسا- التقليل من شأن المتحدث عنهم واستصغارهم، وهذا واقع في بعض الأفعال المبنية للمفعول، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ

الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 86]، وقوله أيضا: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: 162].

ب- حذف المفعول:

يندر حذف المفعول في الفاصلة، وحين يقع فاصلة يكثر حذفه، وفي بلاغة حذف المفعول يقول عبد **القاهر الجرجاني:** " اعلم أن أغراض حذف المفعول في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غيرأن يتعرضوا لذكر المفعولين.... ومثال ذلك قول الناس: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهي، ويضر وينفع... والمعنى في جميع ذلك إثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت: صار إليه الحل والعقد، وصار بحيث يكون منه حل وعقد..." [1].

وعلى هذا الأساس الذي قرره بعد استقراء متأن لمواضع حذف المفعول ينظر في حذفه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]، فيرى أن المعنى (هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم) [2].

وقد يحذف المفعول للمواساة والتخفيف، كما في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: 3]، ذكر مفعول **ودع** وحذف مفعول **قلى**، وذلك يحدث إيقاعا في الفاصلة لا ريب، لأن السورة أكثرها بالألف المقصورة، ولكن لذلك نكتة أخرى هي: "تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك، لما في القلى من حسّ الطرد والإبعاد وشدة البغض، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك"[3]، ولذلك لم يحذف مفعول ودع وحذف مفعول قلى، هذا مع ما أحدثه الحذف من إيقاع في الفاصلة فتحقق سبك الآيات ورصفها.

1- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 112.
2- المصدر السابق، ص 112.
3- عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف،ط1، 1973م، ص 269.

وقد يحذف المفعول كذلك لترك مجال للمخاطب يتصور فيه ألوانا عدة ممكنة في ذلك المقام كانت ستختصر بالذكر في لون واحد، ولذا يكون ترك الذكر أفصح من الذكر كما قال عبدالقاهر،ومنه ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾ [الليل: 5]، **لم يذكر مفعولي أعطى واتقى** ليشمل العطاء والتقوى كل ما يمكن دخوله تحت هذين المعنيين من إعطاء المال أو الطعام أو كل عون واتقاء الله تعالى أو اتقاء المحارم والشبهات... ولو ذكر المفعول لاقتصر على لون واحد من العطاء أو التقوى، ومع هذا كله تحقق بحذف المفعول إيجاز وجمال وإيقاع في الفاصلة لم يكن ليتحقق بذكر المفعول، ومثال ذلك ﴿**إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾ [طه: 3]، أي يخشى العذاب أو النار أو يخشى الله تعالى، ومثل ذلك في سورة طه أيضا: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** ﴾ [طه: 46]، أي أسمع كل شيء وأرى كل شيء، ولو ذكر المفعول لاقتصر الذهن على المسموع والمرئي المذكورين.

﴿**لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى** ﴾ [طه: 52]، أي لا ينسى مطلقا، فليس من صفاته النسيان، فالمراد إثبات الفعل في ذاته من غير إيقاع مفعول به ذلك أن المفعول غير موجود أساسا.

ج- حذف متعلق "أفعل" التفضيل:

إذا استعمل أفعل التفضيل مفردا نكرة مذكرا وجب مجيء من الجارّة بعده متبوعة بالمفضل عليه، وهي صورة قياسية ولكن ثمة مواضع يحذف فيها الجار والمجرور إرادة إطلاق معنى التفضيل دون إشعار بوجود مفضل عليه، ومنه قولنا : الله اكبر، ذلك أن المفضل عليه هاهنا كل ما سوى الله تعالى، والأفضل حذفه للإشعار بطلاقة معنى التفضيل وعدم التقيد بمفضل عليه،وهذا المعنى من الحذف يقع في الفواصل ليحقق الأمرين معا، الإيقاع والدلالة.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ [طه: 7]، ﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه: 73]، ﴿**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى** ﴾ [طه: 127]، ﴿**وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ [طه: 131].

إن حذف متعلق أفعل التفضيل في المواضع السابقة يفيد إطلاق المعنى في اسم التفضيل إلى ما يليق بعلم الله تعالى بكل شيء علما أم سرّا أم أخفى من السرّ، وذلك في الموضع

الأول،أما في الموضعين الثاني والرابع ففيهما التفضيل المطلق في معنى البقاء لله تعالى ولرزقه سبحانه، وفي الموضع الثالث بيان شدة عذاب الآخرة وبقائه، وهو ما لا يقارن به شيء من عذاب الدنيا ولو كثر وطال، ولذا ناسب ذلك حذف المتعلق في هذا كله، هذا مع ما أحدث من إيقاع جميل في الفواصل.

د- حذف تمييـز العـدد:

وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:30]، والفواصل في هذه السورة أكثرها رائية، وهي في موضع الآية (سقر، لا تذر، للبشر، تسعة عشر، للبشر) ولذا حذف التمييز وهو (ملكا) لإيقاع الفاصلة أولا، ثم إن في حذفه بلاغة جميلة، وهي الإشعار بشيء من الإبهام في شأن هؤلاء الحراس والخزنة لتذهب النفس في تصور قوتهم كل مذهب.

3- ظـاهـرة العطف:

لعل التصور القائم على أن النص "عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص"[1]، يعطي إشارة واضحة على أهمية العطف في سبك النص وتماسكه.

أ- مفهومهـا:

1- لغـة:وردت كلمة العطف في عدة معاجم لغوية نذكر منها قول ابن فارس: " العين والطاء والفاء أصل واحد صحيح يدل على انثناء "[2].

ويقول **ابن منظور**: "عطف عليه يعطف عطفا رجع عليه بما يكره... وشاة عاطفة بيّنة العطوف والعطف: تثني عنقها لغير علة... يقال: عطف فلان إلى ناحية كذا يعطف عطفا إذا مال إليه وانعطف نحوه"[3].

ومما تقدم يظهر أن المجال الدلالي الذي يدور فيه (العطف) هو الثني والميل والرجوع.

1- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 23.

2- ابن فارس أبو الحسن احمد: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1399ه/1979م، ج3، ص 351.

3- ابن منظور: لسان العرب، مادة (عطف)، 9/ ص 298-299.

2- اصطلاحـــا:

والعطف في الاصطلاح هو تابع و"التوابع خمسة:التأكيد والبدل ،والوصف والبيان ،والعطف بالحرف، وإنّما سميت توابع لأنها تتبع ما قبلها في إعرابه على اختلاف مواقعه،ولكل منها حكم يختص به"[1] ،أما أنواع العطف فتقع في قسمين هما:

الأول- عطف البيان: قال ابن السرّاج: "اعلم أن عطف البيان كالنعت والتأكيد في إعرابهما وتقديرهما، وهو مبين لما تجريه عليه كما يبينان، وإنما سمي عطف البيان ولم يقل أنه نعت لأنه اسم غير مشتق من فعل، ولا ضرب من ضروب الصفات فعدل النحويون عن تسميته نعتا"(2)، وقد اصطلح النحاة عليه بأنه: " التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله"(3)، و"سمي بعطف البيان لانّ اللفظ الثاني يشبه أن يكون مرادفا للأول ،وذلك لأنّ الذات المدلول عليها باللفظين واحدة ،وإنما يؤتى بالثاني لزيادة البيان نحو: كان أمير المؤمنين عمر عادلا ف(عمر) عطف بيان "[4]،هو يؤدي ما أدّاه النعت من توضيح المنعوت فهو مثله وله حكمه.

الثاني- عطف النّسق: النّسق لغة هو "ما كان نظام واحد عام في الأشياء"(5)، وورد في لسان العرب " والعرب تقول لطَوار الحبل إذا امتد ،مستويا: خذ على هذا النّسق أي على هذا الطّوار"(6).وحروف النسق:حروف العطف ،ويقال هذا نسق على هذا :عطف عليه"[7]

وبالنظر إلى قسمي العطف يلحظ الباحث أن عطف النّسق هو الذي يؤدي وظيفة سبك النّص باستعمال الحرف الرابط ، فهو ربط الأول بالثاني بوساطة الأداة،إذ "يُنجز النّص عند التلفظ به ويتخذ حيزا يكون به كائنا مستقلا بنفسه، فيدل بذلك في الزمان والمكان وهو من حيث هو علامات دالة كائن مركب من جمل، لا يدرك بالفكر إلا منظما مرتبا، والترتيب الأول هو خطية

1- أبو محمد القاسم الحريري البصري:شرح ملحة الإعراب،مكتبة صيدا بيروت ،دط،2001،ص249.

2- ابن سراج أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو، تح: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417 هـ/ 1996م، ج2، ص 45.

3- محمد سمير اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405ه/1985م، ص29.

4-أبو عبد شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي:شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك ،تح عبد الحميد الجاسم الفياض الكبيسي:دار الكتب العلمية،بيروت ،ط1987م2.

5- الخليل: العين، مادة (نسق)، ج5، ص 81.

6- ابن منظور: لسان العرب، مادة (نسق)، ج10، ص 424.

7-المجمع اللغوي بالقاهرة :المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ،حامد عبد القادر ،أحمد حسن الزيات ومحمد علي النجار ،المكتبة الإسلامية،استانبول ص918.

النص، إذ تردّ جملة في تتابع [1]، هذا التتابع يتسم بسمة التسلسل الخطي، أي: إن الجمل داخل النص متسلسلة مرتبطة فيما بينها بإحدى أدوات الربط.

ويعد العطف علاقة اتساع واقتصاد، فهو علاقة اتساع من جهة تكوينه علاقات نصية جديدة، إذ يرتبط العنصر اللغوي بغيره فيكون علاقة اتساع، كذلك ترتبط الجملة بغيرها فتكون علاقة اتساع، وكذلك يعد علاقة اقتصاد، إذ إن بنيته تتكون من اشتراك التركيب الثاني مع سابقه في الحكم فيعوض حرف العطف عن تكرار الحكم المسند للعنصر اللغوي[2].

فحروف العطف ذات علاقات دلالية مختلفة، قد تكون هذه العلاقات صريحة أو ضمنية[3]، ووظيفة هذه الحروف داخل النص هي تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة[4]، فالمبدأ الذي يحكم العطف هو تناظر الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية[5]، وهي وسيلة لتفسير كيف توجد العلاقة الدلالية في سطح النص[6].

كما نلفي "**هاليداي**" و"رقية حسن" في كتابهما "الاتساق في الإنجليزية يعتبر العطف الوسيلة الرابعة من وسائل السبك، وهي: (الإحالة، الإبدال، الحذف، العطف، التماسك المعجمي).

ولقد جعل "**دفيد كريستال**" العطف أول وسيلة من وسائل التماسك النصي،... إلى جانب وسائل أخرى مثل الإحالة بأنواعها والتكرار والعلاقات المعجمية، والمقارنة[7].

²وقد تنبه "**محمد الشاوش**" في كتابه "أصول تحليل الخطاب" إلى دور العطف في تحقيق التماسك النصي، واعتبره أحد مظاهر الربط بين الجمل، وأفرد له جزءا كبيرا من كتابه، شارف على المائة صفحة[8].

1- الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص 42.
2- ينظرعمر أبو خرصة: نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1425ه/2004م، ص 184.
3- ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق، ص 61.
4- ينظر فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، ص 83.
5- ينظر محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 263.
6- ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق، ص 110.
7- David Crystal, the Cambridge encyclopedia of language, p 119.
8- ينظرمحمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب ـ،المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001م،ج1، ص 401-498.

ب- حروفهـا:

لم يتفق النّحاة على عدد حروف العطف منذ سيبويه، مرورا بالكوفيين، وقد عدّها المبرّد عشرة، وسار عليه النّحاة من بعده، وهي: [1]

- **الواو:** ومعناها الإشراك، ولا تفيد الترتيب، نحو: جاء زيد وعمرو.
- **الفاء:** وتفيد الترتيب نحو: دخلت مكة فالمدينة.
- **ثم:** تفيد الترتيب مع التراخي، نحو: جاءني زيد ثم عمرو.
- **أو:** للدلالة على أحد الشيئين أو الأشياء، نحو: جاء زيد أو عمرو.
- **لا:** وهي نقع لإخراج الثاني مما دخل فيه الأول، نحو: ضربا زيدا لا عمرو.
- **إمّا:** وتفيد الشك في الخبر والتخيير، نحو: أضرب إما زيدا وإما خالدا.
- **بل:** وتفيد الإضراب عن الأول والإثبات للثاني، نحو: قرأت مجلة بل كتابا.
- **لكن:** وتفيد الاستدراك بعد النفي، نحو: ما رأيت رجلا لكن امرأة.
- **أم:** وتفيد الدلالة على أحد الشيئين، وهي نوعان: متصلة نحو: أزيد عندك أم عمرو، ومنقطعة نحو: تكون بين جملتين مستقلتين، نحو قوله تعالى: ﴿ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الطور: 39].
- **حتى:** وتفيد مطلق الجمع، نحو: جاء القوم حتى زيدٌ.

ج- أثرها في سبك الفاصلة:

1- السبك بالواو:

تعتبر "الواو" قرينة لفظية تؤدي وظيفة الربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وذهب سيبويه إلى أنها تدلّ على مطلق الجمع[2]، وذهب المالقيُ إلى أن (الواو) حينما تعطف جملة على جملة،لا يلزم التشريك في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام خاصة، ليعلم أن الكلامين فأكثر

1- المصدر نفسه، ج4، ص 381.

2- ينظرسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 ه/ 1988م، ج4، ص 216.

في زمان واحد أو في قصد واحد[1]، في حين يرى "فان دايك" أن (الواو) هي الرّابط الوحيد الذي يجوز أن يعبّر عن مختلف أنواع الربط [2].

وعليه فللواو دلالات عدة في الربط منها:**مطلق الجمع:** كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:284]، وعاطفة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ [الليل: 3]، وعليه كان للواو دور في سبك الآيات من خلال ربط الفاصلة مع غيرها من المفردات وإن كان مطلق الجمع.

***عطف العام على الخاص والعكس:**

يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب: 33].

عطف (طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم) على (إقام الصلاة وإيتاء الزكاة)، قال **الزمخشري:** أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة، ثم جاء به عاما في جميع الطاعات، لأن هاتين الطاعتين البدينة والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق العناية جرتاه على ما ورائهما"[3].

***الترتيب بتقديم الأفضل:**

في قوله تعالى: ﴿مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: 69]، يقول البيضاوي: "من يطع الله والرسول فإن الله يعدهم بمرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا"[4]، فقدم من هو أشرف وأفضل فكان النبيون والصديقون والشهداء والصالحون على الترتيب، وهذا ما أبزره "الواو" بعطف سبكي بين هذه الترتيبات.وفي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾[آل عمران: 14]، يقول العلوي: "لأن الله تعالى لما صدّر الآية بذكر الحب، وكأن المحبوب مختلف المراتب،فاقتضت الحكمة الإلهية تقديم المهم فالأهم من المحبوبات ،فقدم النساء على البنين لما

1-ينظر مصطفى حميدة: أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1999م، ص52.
2-ينظر فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، ص90.
3- الزمخشري: الكشاف، ص 855.
اتنعاتنع4- البيضاوي ناصر الدين أبو الخير: تفسير البيضاوي، دار الفكر، د.ت، ص145.

يظهر فيهن من قوة الشهوة ونزوع الطبع، وإيثارهن على كل محبوب، وقدم البنين على الأموال لتمكنهم من النفوس، واختلاط محبتهم بالأفئدة، وهكذا القول في سائر المحبوبات، فالنساء أقعد في البيوت، والبنون أقعد في المحبة من الأموال، والذهب أكثر تمكنا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام، والمواشي أدخل من الحرث"[1].

***التقابل والضدية:**

في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾-البقرة-258، تم ربط بين (أحيي وأميت)، والذي سوغ الربط بالواو هنا هو التضاد بين المسند في الجملتين مما أدى إلى سبك جلي في النص.

كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: 38]، فجملة (وما نعلن) معطوفة على جملة (ما نخفي) ويلاحظ التضاد بينهما.

ب- السبك بـ "الفاء":

والفاء للترتيب باتصال *** وثمّ للترتيب بانفصال

تشترك **الفاء وثم** في الدلالة على الترتيب، إلا أن ترتيب الفاء يكون مع اتصال، وهو الذي يعبر عنه بالتعقيب، وترتيب ثم معه انفصال وهو المعبر عنه بالمهلة.

فما معنى **الترتيب** بالفاء:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117]، قال أبو جعفر: "وإذا كان الأمر في قوله جل ثناؤه ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾هو ما وصفنا من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود المأمور بالوجود فبيّن ذلك أن الذي هو أولى بقوله تعالى **{فيكون}** الرفع على العطف على قوله: **{يقول}**، لأن القول والكون حالهما واحد، وهو نظير قول القائل: "تاب فلان فاهتدى" و"اهتدى فلان فتاب" لأنه لا يكون تائبا إلا وهو مهتد، ولا مهتديا إلا

[1]- يحي بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1423ه/2002م، ج2، ص 63.

وهو تائب، فكذلك أن يكون الله أمر شيئا بالوجود إلا وهو موجود، ولا هو موجود إلا وهو أمره بالوجود" [1].

ودلالة "الفاء" على "التفاوت الرتبي" من المعاني المجازية التي يستعار فيها الترتيب الزماني للدلالة على التدرج في الفضل والشرف، وهو ما درج عليه المفسرون تبعا للزمخشري، لكن الشيخ الطاهر بن عاشور أضاف وجها آخر عن هذا المعنى، وهو أن تكون مجازا مرسلا، فقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26] "والفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل التدرج في الرتب بين مفاعيل (أن يضرب)، ولا تفيد أن ضرب المثل يكون بالبعوضة، وما يتدرج في مراتب القوة، زائد عليها درجة تلي درجة، فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد..." [2].

وقد تجاذب الترقي في هذه الآية وجهان، وهما على ما قال الرازي: "أحدهما أن يكون المراد فما هو أعظم منها في الجثة، كالذباب، العنكبوت، الحمار والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله تعالى بكل هذه الأشياء، والثاني أراد بما فوقها في الصغر، أي بما هو أصغر منها والمحققون مالوا إلى هذا القول لوجوه، أحدها أن المقصد من هذا التمثيل تحقير الأوثان، وكلما كان المشبه به أشد حقارة، كان المقصود في هذا الباب أكمل حصولا، وثانيها أن الغرض ههنا بيان أن الله تعالى لا يمتنع عن التمثيل بالشيء الحقير، وفي مثل هذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا أشد حقارة من الأول. "[3].

هذه الدلالات في "الفاء" تصعّدا وتحدرا، دليل على ثراء معانيها المجازية ودليل على دورها في سبك آيات القرآن الكريم وخاصة مع دورها في فاصلة الآية، فهي تعطي معنى الترتب في الأحداث والصفات.

1- أبو جعفر الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تح: محمد احمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه/2000م، ج2، ص549.

2- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ج1، 1984، ص 363.

3- الرازي أبو بكر فخرا لدين: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1421ه،2000م،ط1، ج2 ،148ص .

***التعقيب:**

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6]، حاول أن تقطع المعطوف عن المعطوف عليه، وقل: إنك كادح إلى ربك كدحا فستجد أن المعنى قد تغيّر وصار تأكيد الكدح مقطوعا عن الزمن، وحاول ثانية أن تضع الواو موضع الفاء فتقول "وملاقيه" فإنك ستضيف إلى تأكيد الكدح خبرا آخر بوقوع الجزاء عليه، ويكونان خبرين مستقلين، ثم حاول أخيرا أن تضع حرف المهلة بدلا من الفاء لتقول "ثم ملاقيه" فسوف ترى أنك وضعت فاصلا زمنيا يقطع الكدح عن لقاء الله ومجازاته، على النحو الذي أراده الله من بيان الحكمة في خلق الإنسان ليعمر الأرض بكفاح دائم متصل، لا ينقطع إلا بانقطاع آخر أنفاسه يكدح مستيقظا، ويكدح ذهنه باستعراض همومه نائما، ويتواصل العمل والكفاح إلى أن ينتقل المرء من دار العمل إلى دار الجزاء، وذلك هو إشعاع حرف التعقيب في موقعه هذا من القرآن المجيد فأضفى عليه جودة في السبك بين آياته.

ج- السبك بـــ "ثم":

رأينا أن " ثم" تفيد الترتيب مع التراخي سواء في الرتبة أو الزمان، أي أن بين الثاني والأول مهلة من الزمان، وهذه المهلة أشد تراخيا من المهلة الموجودة في الفاء، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم:40]، فبين كل من الخلق والرزق والمماة والحياة يوم الحشر مهلة من الزمن معتبرة فيها من التراخي ما أفاده حرف الرابط "ثم".

أما عن التراخي في الرتبة ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه:82]، ففسّر الاهتداء بالثبات على التوبة والإيمان، وفسّر التراخي في "ثم" بالتباين بين منزلة الفعل والاستقامة عليه، قال الزمخشري: " الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

﴿ اسْتَقَامُوا ﴾ [فصلت: 30] ... واعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه،لأنها أعلى منها وأفضل"[1].

ولذلك تم إيثار حرف العطف "ثم" على الواو ليبرز التراخي الرتبي، وبالتالي إحكام الربط لفظا ودلالة.

4– ظاهرة الإبدال (الإحلال) " Substitution".

أ– مفهومهـا:

يعد الإبدال صورة من صور التماسك النصي، التي تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، بتعويض عنصر في النص، بعنصر آخر على أساس التقابل والاختلاف ويعني ذلك أن الإبدال عملية تتم داخل النص، بين عنصرين، العنصر الأول هو العنصر الأصلي، والثاني هو العنصر المستبدل به لأداء وظائف متعددة، ترتبط بالمقام وبدلالة النص وبلاغة الخطاب، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم[2]، وبناء عليه فإن التماسك الذي ينتج عن عملية الاستبدال، يقوم على محورين أساسيين:

الأول: التكرار، إذ أن العنصر المستبدل به، هو في حقيقته تكرار للعنصر الأصلي، وامتداد له ولكن اللفظ في ظاهر النص ،وكما يبدو مختلف.

ثانيا: المرجعية، وقد تكون مرجعية سابقة أو لاحقة، وفي الحالتين تسهم في تحقيق التماسك النصي [3].

والإبدال شأنه شأن الإحالة في أنه علاقة اتساق، إلا أنه يختلف عنها في أنه يتم في المستوى المعجمي، بين كلمات أو عبارات بينما للإحالة علاقة معنوية، تقع في المستوى الدلالي.

1- الزمخشري: الكشاف، ج2، ص 584.
2- محمد الخطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ، ص19.
3- عفيفي احمد: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص124.

ويستحيل فهم ما تعنيه عناصر مستبدلة إلا بالعودة إلى ما هي متعلقة به قبليا، بالبحث عن الاسم، أو الفعل أو القول الذي يسد هذه الثغرة، وهذه الحقيقة تؤكد مساهمة الاستبدال في تماسك النص[1]، فالإبدال في أساسه أي ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص، يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول والمعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص [2].

كما أشار **محمد خطابي** إلى أن ثمة فرقا بين الإحالة والإبدال هو أن العلاقة بين عنصري الإحالة المحيل والمحال إليه، هي علاقة تطابق، والعلاقة بين عنصري الإبدال – المستبدَل والمستبدِل علاقة تقابل، تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد، ويسوق مثلا لتوضيح علاقة التقابل،والمقصود من الاستبعاد، الجملة الآتية:

My axe is too blunt. I must got a sharper one

ومعنى الجملة التي تتكون من جملتين في الواقع: (فأسي غير حادة جدا، يجب أن أحصل على واحدة أكثر حدّة)، ويتجلى التقابل فيهما بين الوصفين (Blunt غير حاد) و(Sharperأكثر حدة) فالوصفان مختلفان، وعن هذا الاختلاف ينتج التقابل، مما أدى إلى إعادة التحديد –أي تحديد الفأس– أي استبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله مع ملاحظة أن الشيء المستبدل (الفأس الحادة) في الجملة الثانية يرتبط بعلاقة التقابل مع المستبدل منه (الفأس غير الحادة) في الجملة الأولى، وبناء عليه يتضح أن العلاقة الاستبدالية لا تقوم على التطابق، وإنما على التقابل والاختلاف، وفي المقابل نجد في الدرس العربي ما يشابه ذلك، إذ بنو قواعد محددة استخلصوها من تتبع النظام العام والشائع في الكلام، ومن قواعدهم تلك ضرورة تطابق العناصر المكونة للجملة من تذكير وتأنيث وجمع وإفراد... إلخ، ولكن جاء ما يخالف ذلك، حسب ما يقول السيد خضر: " هذا اللون لم يجمعه البلاغيون أو النحاة تحت مبحث واحد، وإنما سموا كل حالة بسمها كقولهم: استعمال فاعل مكان مفعول، أو مفعول مكان فاعل، أو الاستغناء بكذا عن كذا، أو إجراء

1- دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 300.
2- محمد الخطابي: لسانيات النص، ص 20.

غير العاقل مجرى العاقل... إلخ، وهكذا الإحلال ليس خروجا عن قواعد اللغة، بل إنه جاء في كل حالة مراعيا للسياق والدلالة المرادة"[1].

وقد كان لهذه الظاهرة حضورا وتنوعا في الفاصلة القرآنية، فكيف أسهمت في سبك النص القرآني؟

ب- أنماطها وأثرها في الفاصلة:

وهذه جملة من صور (الإحلال، الإبدال) في الفاصلة القرآنية حسب ما أورده "السيد خضر" نذكر منها:

1- إحلال صيغة فاعل محل صيغة مفعول:

ومن شواهده ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق:6]، قالوا: إن دافقا هنا بمعنى مدفوق[2]. واللفظ بهذه الصيغة وافق رنة الفواصل بعده (الترائب، لقادر، السرائر) لوجود حرف المد قبل آخر حرفين من الفاصلة في الكلمات الأربع هذا مع عسر الحرف قبل الأخير في كل منها، مما يحقق إيقاعا جميلا، ولو جاء اللفظ على (مدفوق) لذهب ذلك الجمال، هذا كله يسوغ العدول عن مفعول إلى فاعل وبين دور الإحلال في سبك الفاصلة.

كما يذكر الزمخشري في ذلك: "ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دَفَقَ،كاللابن والتامر، أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه"[3]، والأول – أي الوصف– أنسب في هذا السياق، إذ هو موافق لطبيعة هذا الماء الذي لا يخرج إلا دفقا، حيث تلازمه صفة الدفق لا تنفك عنه.

أ-قال تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾[الحاقة: 20-21]، قالوا: راضية : منسوبة على الرضا كالدارع والنابل..." [4]، ذلك أنهم لم يتصوروا أن تكون العيشة نفسها

1- السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، مكتبة الآداب ، 1430ه/2009م، ط2 ،ص 110.
2- الثعالبي عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسرّ العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص 330.
3- الزمخشري: الكشاف ، ج4، ص 735.
4- المرجع نفسه، ج3، ص 203.

راضية، إذ لا يتصور منها رضا أو سخط، وإنما تكون مرضية عنها أو بها، واللفظ جاء أولا موافقا للإيقاع، حيث الفواصل في هذا الموضع (حسابية، راضية، عالية، دانية) ولو جاء بلفظ (مرضية) لانكسر الإيقاع كما هو معلوم، ولكن دلالة اللفظ تصور العيشة بأنها راضية، أي الرضا منسوب إليها هي كأنه خصيصة فيها لا في من تكون له، وذلك زيادة في إكرام أصحاب هذه العيشة والله اعلم.

2 - إحلال صيغة مفعول محل فاعل:

وجعل منه الثعالبي ما يأتي:

✓ ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ، جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ [مريم:60-61]، أي (آتيا) [1]، ولكن لا نجد غضاضة في جعل الوصف كما هو، وذلك أبلغ تصديقا بدلالة الآية، أي وصف الوعد نفسه بأنه على ظاهره، ثم إنه يحقق إيقاعا في الفواصل بصيغة المفعول لا يحققه بصيغة الفاعل، والفواصل في هذا الموضع (غيّا، شيئا، مأتيا، عشيا، تقيا) فأكثرها بياء مشددة بعدها ألف مد، حتى المهموزة منها متقاربة صوتيا مع الباقيات، وهذا الإيقاع لا يوفره اسم الفاعل (آتيا).

✓ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ [الإسراء: 45]، أي ساترا[2]، والفواصل في هذا الموضع (غفورا، مستورا، نفورا، مسحورا) فلفظ المفعول يحقق التوافق الإيقاعي في الفواصل، ولو كان اللفظ (ساترا) لذهب ذلك الإيقاع المتحقق بثلاثة أحرف مكررة في هذه الفواصل جميعا، أولها الواو، وهي لا تعاقب الألف في مد الفاصلة كما ذكرنا من قبل إلا نادرا، ويقول الزمخشري: "حجابا مستورا: ذا ستر: كقولهم: سيل مفعم ذو إفعام، وقيل مستور، يجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره.. " [3].

1- الثعالبي: فقه اللغة وسرّ العربية، ص 331.
2- المرجع نفسه، ص 331.
3- الزمخشري: الكشاف، ج3، ص 670.

فالله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بكراهية الكفار للقرآن ولسماعه، ويخبره بأنه عصمه حين يقرأه من هؤلاء، فجلاله له حجاب مستورا، وهو إذا أبلغ في الدلالة من فاعل، لأنه إذا كان الحجاب نفسه مستورا كان ما وراءه أشد سترا.

3 - إحلال المفرد محل المثنى:

وذلك كأن يكون الخطاب لمثنى فينص على أحدهما دون آخر، ومنه:

✓ ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه: 117]، الخطاب لآدم وحواء في بداية الآية، ولكنه ختم بخطاب آدم وحده، وفواصل السورة أكثرها بالألف المقصورة، وهي حرف العلة هنا، والفواصل هي: (أبى، فتشقى، تعرى، تضحى) ولو قال (فتشقيا) مجزوما بعد الفاء لذهب الإيقاع الجميل، كما أن أصل العمل والقوامة والسعي في هذه الحياة إنما هو للرجال، والمرأة لرعاية الأسرة وعمل البيت، ولذا جعل الشقاء بمعنى الكدّ والتعب والسعي في الأرض لآدم دون حواء.

✓ ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: 49]، والخطاب في هذا الموضع وما سبقه موجه إلى موسى وهارون ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: 42-43]، ولكن فرعون اختص موسى وحده بالنداء في نهاية الآية مع أنه ابتدأ الخطاب المثنى في (ربكما) وقد تحقق إيقاع الفاصلة بذلك كما هو معلوم، غير أن موسى لا شك كان حامل العصا وصاحب اليد التي يضعها في جيبه فتخرج بيضاء... وإنما كان هارون معه ردءا مصدقا، فناسب أن يوجه الخطاب إذن إلى موسى.

4- إحلال المثنى محل المفرد:

وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: 46]، جعله الزركشي من باب (تثنية ما أصله أن يفرد...) ونقل عن الفراء أنه من باب (مذهب العرب في تثنية البقعة الواحدة وجمعها، كما قال: ديار لها بالرقمتين، وقوله: بطن المكتين وأشير بذلك إلى نواحيها ...

وإنما ثناها لأجل الفاصلة رعاية التي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن، والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام"[1].

ولكن ذكر الفاصلة بلفظ الجنة مفردة أو مجوعة يذهب بالإيقاع والجنة ترد في القرآن مفردة لأنها حقيقة جنة واحدة، وجاءت مجموعة لأنها درجات ودرجات، فكأن الجمع فيها للتكثير لحقيقة العدد.

5- إحلال الجمع محل المثنى:

ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، ولو جرى اللفظ على قياس البشر، لقالوا: طائعتين، ولكن ذلك يذهب بالمد المتحقق في الفواصل فيذهب الإيقاع والفواصل هنا (السائلين، طائعين، العليم) فالمد موجود فيها جميعا، والميم تعاقب النون، فتحقق الإيقاع بلفظ الجمع (طائعين)، الذي وقع حالا لمثنى، قال الزمخشري: "فإن قلت: هلاّ قيل: طائعتين، قلت: لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره، قيل: طائعين في موضع طائعات، نحو: ساجدين"[2].

ويمكن اعتبار ما فيها من مخلوقات كثيرة متنوعة، فكأنه روعي فيهما الجمع لكثرة المخلوقات فيهما.

6- إحلال المفرد محل الجمع:

ومنه ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[الفرقان: 74]، حيث استغنى بالمفرد (إماما) عن الجمع[3]، وأراد أئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس... و "أراد: واجعلنا إماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا"[4].

1- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 95.
2- الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 190.
3- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص 128.
4- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 95.

قالوا ومثله ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ [الكهف: 51]، ذكر الزركشي عن ابن سيدة: عضدا أي أعضادا، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآي بالإفراد[1]، والفواصل في الأول (كراما،عميانا إماما) من سورة الفرقان.

ولو جاءت الفاصلة جمعا لذهب ذلك الإيقاع، ولم يتحقق السبك الصوتي، ولكن اللفظ المفرد كأنما يشير إلى اتحاد نهج أتباع الحق فكأنهم شخص واحد لاتحاد المنهج والسلوك... والفواصل في الموضع الثاني(بدلا، عضدا، موبقا) ولو قيل: أعضادا لصعبت في النطق ولذهب الإيقاع لوجود المدّ فيها وخلو الفواصل منه.

7- إحلال صيغة العاقل محل صيغة لغير العاقل:

✓ ومنه: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف:4]، وفيه نكتة يقول فيها الزمخشري: " فإن قلت: فلما أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين؟ قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطي حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة"[2].

✓ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[الأنبياء: 33]، حيث "أخبر عن غير العاقل بصيغة العاقل في (يسبحون) وقياسه (يسبح) ليكون الخبر على الإفراد كما تقول محمد وعلي وخالد كل واقف، ومع ذلك يضفي على الجماد صفة العقل لتحركه في أفلاكه بنظام عجيب بديع لا يحيد عنه لحظة ولا يتخلف ولا يتقدم ولا يتأخر، بل هو في ذلك أضبط وأدق من كثير من العقلاء "[3]،ولكن الإيقاع يتحقق بالفاصلة النونية المسبوقة بالواو.

1- الزمخشري: الكشاف، ج3، ص 296.
2- الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 452.
3- الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج4،ص223.

8- إحلال المؤنث محل المذكر:

قال تعالى: ﴿ كَلاَّ بَل لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ ، كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ، فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[المدثر: 53-55]،حيث أخبر عن القرآن بأنه تذكرة وجعله الزركشي من باب "تأنيث ما أصله أن يذكر وإنما عدل إليها للفاصلة"[1]، والفواصل بالهاء، ولذا ناسب ذلك لفظ (تذكرة) فاصلة.

ومنه كذلك ﴿ بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: 14]، حيث جاء الخبر المؤنث (بصيرة) للمبتدأ المذكر (الإنسان) والفواصل في ذلك الموضع هاء، فحقق الإيقاع معها أما وجوهه النحوية والدلالية فيقول عنها ابن الأنبا ري: " فيه ثلاثة أوجه:

الأول- أن تكون الهاء فيه للمبالغة، كعلاّمة ونسّابة وراوية.

الثاني- أن يحمل الإنسان على النفس، فلذلك أنّث بصيرة.

الثالث- أن يكون أنّث بصيرة لأن التقدير فيه: بل الإنسان على نفسه عين بصيرة، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه"[2].

9- إحلال المذكر محل المؤنث:

ومنه قوله تعالى عن مريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم: 12]، حيث جعلها من **القانتين** بدلا من **القانتات**، حيث الفواصل قبلها نونية (الداخلين، الظالمين، القانتين)، وهي نهاية السورة، ولو جاءت الفاصلة (القانتات) لذهب الإيقاع، هذا مع ما للفظ المذكر هنا من إيحاء خاص، وهو إدخالها مع الرجال لتشبهها بهم في الطاعة وكثرة العبادة والقنوت، فهي كاملة الدين والعقل مثل كثير من الرجال، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري " كما من الرّجال كثير ولم يكمل من

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 96.
2- ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400ه/ 1980م، ج2، ص 477.

النّساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثّريد على سائر الطّعام"[1].

ب-السبك المعجمي وظواهره:

القسم الثاني من السبك هو المعجمي ،والسبك هنا يحدث حينما تؤدي المفردات المعجمية أثرها في سبك النص ،وينقسم حسب ظواهره إلى :

1-التكرار 2-التضام.

1- ظاهرة التكرار:

التكرار أحد الظواهر اللغوية التي اتسمت بها جميع اللغات، وخصوصا منها العربية، فاعتنى به أهل اللغة قديما وحديثا، فكان محل اهتمام النحويين والبلاغيين، فتحدثوا عن حقيقة التكرار وأنواعه وأغراضه البلاغية، على نحو ما عدّه "الجرجاني" من معاني النحو "التي تبث في الكلام الانسجام والاتساق والتناسق"، فأين يكمن دوره في سبك النص القرآني والفاصلة خاصة؟

أ- مفهومها:

لغـة الناظر إلى معجم لسان العرب في مادة "كرّر" نجد أنها تدور حول عدة معاني، حيث يذكر ابن منظور عدة محاور أساسية لها ومنها الكرّ: الرجوع، وكرّر الشيء وكركره: أعاده مرة بعد مرة،... ويقال: كرّرت عليه الحديث وكركرته إذا ردّدته عليه،... والكرّك الرجوع على الشيء،ومنه التكرار... والكرّة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء، والكرّ: حبل نقاد به السفن في الماء، وقيل الكرّ: الحبل الغليظ... والكرّ ما ضم ظلفتي الرّحل وجمع بينهما... الكركرة: تصريف الريح السحاب إذا جمعته بعد تمزق... وكركره عن الشيء: دفعه ورده وحبسه..."[2].

من خلال هذه التعاريف اللغوية يتبين لنا أن مادة (كرّر) تحوي عدة معاني منها:

- الرجوع، وهذا له علاقة بالإحالة على مذكور سابق داخل النص أو إحالة على سابق.

1- رواه الشيخان ولفظه للبخاري وأحمد والترمذي وابن ماجة، انظر: صحيح الجامع، 12رقم 8 ح (4578).
2- ابن منظور:لسان العرب،مادة (كرر).

- إعادة الشيء أكثر من مرة، وكذلك: البعث والحبل الغليظ المشدود خيوطه بعضها ببعض.
- وكذلك ضم ظلفتي الرجل، والضم احد معاني التماسك.
- وتصريف الريح السحاب إذا أجمعته بعد تفرق، فهذا يعني ضم الشيء وجعله في وحدة كليةوالدراسة النصية تدرس النصوص بصفتها وحدة كلية.

أما من الناحية الاصطلاحية، فيعرفه البلاغيون العرب وعلى رأسهم ابن الأثير على أنه "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[1].

ويحدده السجلماسي بقوله: "هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعدا[2].

ولقد أشار السجلماسي أيضا إلى وظيفة التكرار في الربط بين الأجزاء واصطلح على تسمية هذا النوع من التكرار بـ "البناء" وسنلحظ ما في هذا المصطلح من دلالة الربط والتلاحم، قال: " البناء: هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا، خشية تناسي الأول لطول العهد في القول"[3].

أما الزركشي فيعرفه بأنه الترديد والإعادة، وذكر أن من أسباب هذه من أساليب الفصاحة "تعلق بعض ببعض"[4].

أما من منظور لسانيات النص، فيعرف محمد خطابي التكرار على أنه: "شكل من أشكال الإتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"[5].

1- ابن الأثير ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي بدوي طبانة، نهضة مصر، د.ط، د.ت، ج3، ص 03.
2- جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 84.
3- المرجع نفسه ص 92.
4- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 09.
5- محمد الخطابي: لسانيات النص، ص 24.

ب- أنواع التكرار:

تتنوع صور الروابط التكرارية، إذ يمكن ذكر نوعين:

- **التكرار المحض** (التكرار الكلي) وهو نوعان:
  - التكرار مع وحدة المرجع (أي يكون المسمى واحدا).
  - التكرار مع اختلاف المرجع (أي المسمى متعدد).
- **التكرار الجزئي:** ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة [1].

وهناك من يذكر أربعة أنواع:

- التكرار التام أو المحض: تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد.
- التكرار الجزئي: وذلك بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي.
- تكرار المعنى واللفظ مختلف: ويشمل الترادف وشبه الترادف، والصياغة أو العبارة الموازية.
- التوازي: وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصر جديدة[2].

وتصنيف آخر للأنواع فيه:

- تكرار الحروف والكلمات والعبارات والجمل والفقرات أحيانا.
- تكرار القصص[3].

فإلى أي مدى تتجلى هذه الأنواع في الفاصلة القرآنية وما دورها في سبك النص القرآني؟

ج- أثر التكرار في سبك الفاصلة القرآنية:

يظهر ذلك من خلال الأنواع التالية:

1- تكرار حركة الفاصلة:

يمثل هذا النوع تكرار حركة واحدة في روي الفواصل وإن اختلفت الحروف في أواخر الكلمات (الفتح، الجن، الطلاق، الإنسان)، كالذي نرى في سورة الكهف، قال تعالى في بدايتها: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ

1- احمد عفيفي: نحو النص، ص 106-107.
2- جميل عبد المجيد: علم النص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، ع2، مج 32، أكتوبر – ديسمبر 2003، ص 146.
3- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 2، ص 22.

لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ، قَيِّماً لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾[الكهف: 1-5].

هذه الحركة وهي –الفتح– تلتزم في فواصل هذه السور جميعا، و"التزام" الحركة الواحدة كالفتح مع اختلاف الحروف أمر ذو بال في موسيقى التقفية، لأن المألوف في الشعر العربي والسجع التزام الحركة وحرف الروي معا"[1].

ولو رحنا نتأمل الإيقاع الموسيقي لفواصل سورة الكهف لرأينا أمرا عجبا يأخذ بالألباب والأسماع جميعا، فما السرّ؟

لم تكن حروف الروي من مخرج واحد، بل جاءت على التوزيع التالي:

- واحد وأربعون رويا ذلقيا هي: (الراء) أربعة وعشرون، (اللام) اثنا عشر، (النون) خمسة.
- سبعة وعشرون نطعيا: (الدال) خمسة وعشرون، (الطاء) اثنان .
- خمسة وعشرون شفويا: (الباء) تسعة عشرة، (الميم) أربعة، (الفاء) اثنان.
- ستة حروف حلقية: (العين) خمسة، (الهمزة) واحد.
- ستة حروف لهوية: (القاف) وحدها ستة.
- حرفان أسليان: هما (الجيم)، (الصاد).
- حرفان شجريان: هما (الجيم) و(الضاد).

إذن اجتمع الروي سبعة مخارج من عشرة في العربية، ولمخارج التي لم ترد هي: الجوفية الهوائية) وهي أحرف المد ثلاثة: الألف، الواو الساكنة المضموم ما قبلها والباء الساكنة المكسور

1- علي الجندي: صور البديع، فن الأسجاع، دار الفكر العربي، القاهرة، 1370ه/ 1951 م، ص 33-48.

مت قبلها، و(اللثوية) وهي ثلاثة: الظاء والذال والثاء، و(الخيشومية) وهي: النون الساكنة،والتنوين"[1].

ما زال السؤال عن السر في الإيقاع قائما.

وعن هذا يجيب **محمد الحسناوي** بقوله: "لعل السرّ إذا تجاوزنا دور القرائن والموسيقى الناشئة عن غير الفواصل يرجع إلى عنصرين هما: حركة الفتح أولا، والوزن العروضي في الفاصلة ثانيا"[2].

فلدى مراجعة الوزن العروضي للفواصل في سورة الكهف يتبين عليه وزن التفعيلة (فاعلن) بجوازاتها على الفواصل، وهذا نوع من التكرار له دور في سبك وإحكام تماسك الآيات وانتظامها وفق وزن واحد ليحقق إيقاعا متجانسا.

كما نلفي سورة مريم تنطوي على اثنين وتسعين فاصلة على (الفتح) من تسع وتسعين، وهي على التوزيع المتسلسل التالي:

-**[1-33] المقطع الأول** يقصّ نبأ زكريا ويحي ومريم وعيسى عليهم السلام: روّيه الياء المتحركة بالفتح.

-**[34-40] المقطع الثاني** يعلّق على المقطع الأول: رويّه النون أو الميم الساكنتان.

-**[41-74] المقطع الثالث** نبأ إبراهيم وموسى وإدريس عليهم السلام: رويّه الباء المتحركة بالفتح.

-**[75-99] المقطع الأخير** تعليق على السورة كلها ووعيد: رويّه على الدال المفتوحة ما عدا آيتين على الزّاي المفتوحة هما (84-99).

1- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، طبعة جامعة دمشق، 1379ه/ 1960م، ص 324.
2- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان، ط2، 1421 ه/ 2000م، ص 271.

والملاحظ أن حركة الفتح في الفواصل:

الأولى– قدرتها الإيقاعية على تغطية اختلاف حروف الرويّ في المخارج والصفات.

الثانية– وفرتها التي تأتي بعد وفرة الوقف على السكون، على حين تندر حركات الكسر والضم[1].

ويرى الدكتور **إبراهيم أنيس** أن حركة الفتح وألف المد المتفرّعة عنها أوضح كل الحركات في السمع، فقد تناوبت واو المد وياء المد مكان إحداهما الأخرى، ولم يحسّ الشعراء في هذا بأيّ غرابة،ن وألف المد هي الوحيدة بين الحركات التي إذا جاءت قبل الرويّ التزمت في كل الآبيات لأنها أوضح ... في السمع"[2]، وهذا حكم سديد تدعمه الفواصل كما رأينا.

2- تكرار حرف الرويّ في الفاصلة:

تكرار حرف الروي في الفاصلة القرآنية على نسق واحد يحدث تلك المسحة الجمالية، فالمتدبر للقرآن الكريم يرى ذلك التناغم الإيقاعي الجميل، حيث نجد فاصلة تنتهي بالياء، وأخرى بالنون وأخرى بالراء، وهكذا يجد القارئ نفسه أمام تموجات صوتية رائعة.

ومن الملاحظ أيضا أنه في القرآن الكريم حروف كثر استعمالاتها في رؤوس الفواصل،وأكثر الحروف استعمالا في فواصل القرآن هو حرف (النون)، ثم يليه حرف (الميم) وهما من حروف الترنم، في حين أننا لا نجد حرف (الخاء) فاصلة أبدا في القرآن الكريم، وهذا نظرا لصعوبة الوقف عليه.

إن تنوع الإيقاع في حروف الفواصل مرتبط تماما بتنوع جو السورة والموضوع الذي تتناوله فنجد أن جرس الألفاظ وفواصلها فيه رخاء ولطف مع آيات الوعد والتبشير، وأما المواضيع التي تقتضي الشدّة والعنف، فتجيء فيها الفواصل مشددة في الغالب، ومن الفواصل التي وردت متماثلة حروف الروي على نسق واحد في سورة كاملة كما هو الحال في بعض سور المفصل[3]، وأطولها

1- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص 273.
2- إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ، المكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1965م، ص 265.
3- قال العلماء: القرآن العزيز أربعة أقسام: الطول، المئون، المثاني، والمفصل،... والمفصل: ما يلي المثاني من قصار السور.... والصحيح عند أهل الأثر أن أول المفصل سورة (ق) ،ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 233.

سورة (القمر) التي التزمت حرف الراء الساكنة، وعلى الروي نفسه جاءت سورة (القدر) و(العصر) و(الكوثر).

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾

والتزمت الألف المقصورة رويّا في سورتين: إحداهما (الأعلى) التي تعدّ تسع عشرة آية،والثانية (الليل) التي تضم إحدى وعشرين آية، بينما التزمت ثلاث سور رويّا آخر، فمثلا التزمت سورة (الشمس) الفاصلة "ها" وسورة (الإخلاص) التزمت الدّال، وسورة (الناس) التزمت السين [1].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ

مَلِكِ النَّاسِ

إِلَهِ النَّاسِ

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذا بالنسبة إلى التزام حرف الرويّ في الفاصلة في السورة الواحدة، أما التزامه في أبعاض السور فهو كثير ويطلق عليه الفواصل المتماثلة، كقوله تعالى:

﴿ وَالطُّورِ ،وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ،فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ،وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:1-4]

1- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، ص 275.

يسمو التكرار في حروف الفواصل إلى أن تلتزم حرفا أو أكثر قبل حرف الرويّ، وهو ما سمّاه العروضيون "لزوم ما لا يلزم"[1]، على حين يسميه البلاغيون في النثر "الالتزام"، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: 9-10]، التزمت الهاء قبل الراء ومثله ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الانشراح: 1-4] التزمت فيها الراء قبل الكاف.

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ﴾[التكوير: 15-16} التزمت فيها النون المشددة قبل السين، ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ،وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾**[الانشقاق: 17-18]**.

ومثال التزام حرفين: ﴿ وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) ﴾، و﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم: 2-3]، ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ [القيامة: 26-28].

ومثال التزام ثلاثة أحرف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾**[الأعراف: 201-202]**.

3- تكرار الكلمة (الألفاظ):

ويزخر القرآن الكريم بالألفاظ المكررة التي تأتي على وجه التأكيد، فضلا عما تتضمنه من نكت بلاغية، كالتهويل، والترغيب، والتصوير، والتحسيم...، فصفة التكرار اللفظي في القرآن بلغت حد الإعجاز ومن تجلياته قوله تعالى:﴿ الْحَاقَّةُ ، مَا الْحَاقَّةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: 1-3] إن هذه اللفظة تلقي بظلالها على أجواء السورة كلها حاملة معها كل معاني الجد والحق والكلام لفصل الذي لا مرية فيه، بجرسها المدوي ومعناها المؤثر ، "... والألفاظ في السورة بجرسها وبمعانيها وباجتماعها في التركيب، وبدلالة التركيب كله، ... تشترك في إطلاق هذا الجو وتصويره، فهو يبدأ فيلقيها كلمة مفردة لا خبر لها في ظاهر اللفظ **(الحاقة)**... ثم يتبعها باستفهام

1- أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، المكتبة التجارية الكبرى، 1386ه/ 1966م، ط16، ص140.

حافل بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم **(ما الحاقة؟)** ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام بالتجهيل، وإخراج المسألة عن حدود العلم والإدراك ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ ... ثم يسكت فلا يجيب على هذا السؤال، ويدعك واقفا أمام هذا الأمر المستهول المستعظم الذي لا تدريه، ولا يتأتى لك أن تدريه لأنه أعظم من أن يحيط به العلم والإدراك" [1].

إنه نفس التكرار الذي نجده في آية أخرى، قال تعالى: ﴿ **أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى** ﴾ [القيامة: 34-35]، وفي سورة المدثر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** (18) **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (19) **ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** (20) ﴾، إنها إيقاعات مميزة في رسم ملامح شخصية مستكبرة، ونفس خبيثة مراوغة، تعرف الحق وتعرض عنه.

وهناك نوع آخر من التكرار يتمثل في تكرار الأفعال مع المزج بين أزمنة هذه الأفعال كمثل قوله تعالى: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [التوبة: 80]، فتكرّار الفعل (غفر) كان بصيغة المزيد لتأكيد المعنى المراد مع جرس جميل.

إذا فهذه الألفاظ المكررة بإيقاعاتها الجميلة، وصورها وظلالها الوافرة، وجرس فواصلها التي تهز النفي هزّا، مما أسهم في سبك هذا الكلام الرباني الرفيع.

4- تكرار الجمل:

كما سبق وان أشرنا فإن التكرار صورة من صور الإعجاز القرآني، ومظهر من مظاهر جودة السبك وإحكامه، إذ يساوق المعنى الذي جعل من أجله وفق إيقاعات مميزة، فنلفي التزم بعض الآية ﴿ **وهم لا يحزنون**﴾ ست مرات في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿ **أإله مع الله** ﴾ أربع مرات في سورة **النمل [60-64]**، وفيها دعوة للتأمل والتدبر في هذا الخالق الذي أتقن كل شيء، فجملة (أإله مع الله) تعد الركيزة وقطب الرحى الذي

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 6 ، ص 3677.

يدور حولها معنى الآية ككل، وفيها بيان لمدى قدرة المولى عز وجل على الخلق والإبداع والتدبير، والتسيير.

وابرز سورة يتجلى فيها التكرار بوضوح هي **(سورة الرحمن)** "بهذا الإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد، يجلجل في طباق الوجود ،ويخاطب كل موجود ويتلفت على رنته كل كائن، وهو يملئ فضاء السموات والأرض، ويبلغ إلى كل سمع وكل قلب..." [1]، فنجد هذه الآية الكريمة ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ قد تكررت في سورة إحدى وثلاثين مرة، والغرض من الاستفهام في هذه الآية التقريع والتوبيخ ومعناه: " فبأي نعم الله يا معشر الإنس والجن تكذبان؟ قال أبو حيان: والتكرار في هذه الفواصل للتأكيد والتنبيه والتحريك"[2]، فقد ذكر المولى عز وجل في هذه السورة نعمه على خلقه من الجن والإنس، وفق تسلسل منطقي عجيب أسهم في سبك السورة مع تكرار هذه الآية.

وفي سورة (القمر) تتكرر في هذه الآية الكريمة ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾[القمر: 16] عقب كل حادث مروع لهؤلاء المكذبين عبر التاريخ، وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، جراء جبروتهم وعلوّهم واستكبارهم عن آيات الله، فهذا التكرار الجميل يصور لنا أن جزاء الإعراض والطغيان في الأرض بغير حق يكون مآله العذاب في الدنيا والآخرة، حيث يؤكد المولى عز وجل هذا المعنى بإيقاع سريع حسب ما هو عليه عرض الأحداث "يعكسه التماسك بين الحروف والتجاذب بين الكلمات، والتساوق في النغم المنبعث منها، فلا خلخلة ولا اضطراب ولا ثقل"[3] فهدف هذا التكرار واضح وهو التأثير في النفوس، فتكرار قوله تعالى: ﴿ **فكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ ثلاث مرات، وقوله تعالى: ﴿ **فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴾ [القمر:37]، مرتين، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17]، أربع مرات، لأن تجديد الأسماع وشحذ الهمم يحتاج لمثل هذا التكرار.

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 6 ، ص 3446.
2-الصابوني محمد علي: صفوة التفاسير، دار الجميل، بيروت، ط 1، 2001م، ج3، ص 280.
3- محمود السيد حسن: من روائع الإعجاز في القصص القرآني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط 2، 2003م، ص 140-141.

ومثل هذا النوع من التكرار هو ما يسميه النقاد في الشعر بـ (اللازمة)، وهو ظاهرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: 15]، ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة، وهو لازمة الإيقاع منها، وهو انسب تعقيب لملامحها الحادة، ومشاهدها العنيفة وإيقاعها الشديد"[1]، وقد يحدث في الآيات المكررة أن تحل لفظة مكان أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: 79]، المكررة في سورة (الصافات) يتغير فيها اسم النبي من (نوح) إلى (إبراهيم) إلى (موسى وهارون) إلى (آل ياسين) عليهم السلام، وهذا التكرار لقصد موافقة السياق من قصة إلى أخرى في جو بلاغي مثير، فيه التلطف والإيناس مع هؤلاء الأنبياء والأخيار.

ومنه قوله تعلى: ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ [القيامة: 34-35]، وقد جعل ابن عطية هذا الوارد في النص الكريم من قبيل التكرار لأجل التأكيد[2]، كما قال بأن هذا من قبيل الإغلاظ في الوعيد والشدة في التهديد، قال البقاعي: " ويمكن تنزيل الكلمات الأربع على حالاته الأربع: الحياة ثم الموت، ثم البعث، ثم دخول النار، فيكون المعنى لك المركون الآن وفي الموت والبعث ودخول النار"[3].

ووقع في سورة النبأ قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ:4-5]، وقريب من هذا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: 3-4].وعن ما جاء في سورة النبأ ذهب صاحب الدرة إلى " أن الأول وعيد بما يرونه في الدنيا عند فراقها من مقرّبهم والثاني وعيد بما يلقونه في الآخرة من عذاب ربهم، وإذا لم بالثاني ما أريد بالأول لم يكن تكرارا وقيل: الأول توعد بالقيامة وهولها، والآخر توعد بما بعدها من النار وحرّها"[4].

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 6 ، ص 3789.
2- عبد الرزاق علي موسى: المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط2، 1990، ج1،ص 180.
3- البقاعي: نظم الدرر، ج 21، ص 144.
4- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 4، 1981م، ص 516.

أما عن سورة التكاثر فيقول الدكتور فتحي عامر: " إن التأكيد في الآية الأولى وراءه الارتداع عن الظن الباطل في الفوز بالتكاثر، والتخويف من ذوق عذاب النار: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، لأن المعاني الثانية في السورة هنا تنشأ عن أجزائها باعتبارها متضامنة في وحدة متناسقة متآلفة، وكلمة (سوف) توحي بأن عواقب الله إنما تأتي بعد إمهال من الله، وطول مدة في الأغلب وإعادة الخبر مقترنا بـ (ثم) يوحي بأن الغفلة كانت شديدة واللهو في النفوس قد تمكن منها، ووضع على القلوب حجابا كثيفا يحول دون البصائر والمصائر، مع أن الجمل المؤكدة لا توصل بحروف العطف ليفيدك أنه خبر جديد بمعناه، جيء به بعد الخبر الأول لا مجرّد إعادة لفظ"[1].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ [الشرح: 5-6]، قالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن: " وها التقرير يأتي مؤكدا بـ (إنَّ)، ثم يقوى التأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفيا للشك وإبعادا للارتياب، وما أكثر ما يلقانا هذا التكرار المؤكد في السور المكية الأولى، حيث العهد بالرسالة قريب والحاجة على اليقين النفسي أقوى وأمس..." ثم قالت: بعد أن نقلت أقوال المفسرين: " والذي نطمئن إليه هو أن الجملة الثانية تأكيد الأولى، لتقوية اليقين النفسي وترسيخ ما منّ الله به على عبده من شرح صدره، ووضع وزره، رفع ذكره"[2].

أما ما قيل عن التكرار في سورة (الكافرون)، فقد لخص الأستاذ فضل عباس الأقوال التي سبقته في ذلك ثم قال: " هذه السورة من أقوى ما تمسك به القائلون بالتكرار... وهي ست آيات عدا التسمية، إحداها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه نداء للكافرين وهي ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ وآخر آية حكم ونتيجة وهي ك **{لكم دينكم ولي دين}**، وما بين هاتين الآيتين أربع آيات يمكن أن نقسمها من حيث المعنى إلى مجموعتين.

المجموعة الأولى: ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ و ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ﴾ فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبده الكافرون.

1- فتحي أحمد عامر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ،منشأة المعارف الإسكندرية، 1976، ص 432.
2- د. عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج1، ص 71.

المجموعة الثانية: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ و ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، الأولى هي الثالثة، والثانية هي الخامسة في آيات السور، وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

والذين ذهبوا إلى التكرار قالوا: إنه للتأكيد، ولكن الجمهور من العلماء ذهب إلى غير هذا، إي إلى عدم التكرار في السورة الكريمة، وقد اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيرا يبعد القول بالتكرار، والجميل أن نعرف أن سبب نزول السورة، فقد ذكر ابن جرير رحمه الله وغيره أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يهادنهم أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلههن فأبى عليهم ذلك،فالسورة لنفي مشاركة أي فريق للآخر في تعبده، سواء أكان ذلك حاضرا الآن أثناء الخطاب أم كان ذلك مستقبلا تترقبه الأنظار.

2-ظاهرةالتضـــــام:

أ-مفهومها:

-لغـــة:

أما عن التعريف اللغوي:فأصله من "ضم" والضاد والميم أصل واحد يدل على الملاءمة بين الشيئين ،يقول **ابن فارس** :"ضم"أصل واحد يدل على ملاءمة بين شيئين ،يقال :ضممت الشيء إلى الشيء فأنا أضمه ضما ،وهذه إضمامة من خيل ،أي جماعة ،وفرس سباق الأضاميم ،أي الجماعات ،وأسد ضمضم وضماضم :يضم كل شيء "[1]

ويقول **ابن منظور**:"الضم ،ضمك الشيء إلى الشيء ....وضامَ الشيءُ الشيءَ:انضم معه ،وتضام القوم ،إذا انضم بعضهم إلى بعض"[2]

وعليه فمادة "ضم" تدل في مجملها اللغوي على معاني الاجتماع والانضمام والملاءمة.

[1]-أحمد بن فارس أبو الحسن :مقاييس اللغة ،تح،عبد السلام هارون ،دار الفكر ،بيروت (دط)،1399هـ،1979 م،ج3،ص357.
[2]-ابن منظور : ،لسان العرب ،ج12،ص357.

-**إصطلاحا**:collocation.

تعتبر لسانيات النص "التضام" مظهرا من مظاهر الاتساق (السبك) المعجمي ،إذ تناولته من وجهة معجمية وجعلته وسيلة من وسائل تحقيق التماسك النصي ،فالتضام من هذا المنظور هو "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما بكلمات أخرى معينة "[1]،أو هو "عبارة عن ميل بعض ألفاظ اللغة إلى اصطحاب ألفاظ بعينها دون أخرى للتعبير عن فكرة ما"[2].

وتعرفه **نادية رمضان النجار** بأنه:"الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي نحو:"أهلا وسهلا"،"ولم ينبس ببنت شفة" وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى ،نحو الفعل "أطلق"،فقد يقال :"أطلق لحيته ""أطلق ساقيه للريح"،"أطلق له الحبل....."ولكل منها معنى سياقي يخالف غيره"[3].

ومن اللغويين المحدثين الذين تناولوا الظاهرة **محمود فهمي حجازي** فقد ترجم مصطلح " collocation"الانجليزي تحت اسم (التضام) ويعني عوده "ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية ،ويكون معناها مفهوما من الجزئيات المكونة لها"[4].

وممن كان له السبق في استعمال مصطلح "المصاحبة"في العربية الباحث **محمد أبو الفرج** أول من قدم مفهوم **(فيرث)** في التضام إلى القارئ العربي"بل إنه صاحب ذلك المصطلح العربي "المصاحبة " الذي وضعه مرادفا لمصطلح **collocation**"[5].

و للإشارة اختلفت الترجمة لمصطلح collocation الإنجليزي، فتعددت مسمياته منها:

المصاحبة اللغوية..التلازم..الاقتران اللفظي ..التضام..الرصف والنظم.

1-أحمد مختار عمر:علم الدلالة ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط1418ـ2هـ،1998م،ص74.

2-محمد العبد :إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط1989ـ1م،ص103.

3-نادية رمضان النجار:التضام والتعاقب في الفكر النحوي ،مقال منشور بمجلة علوم اللغة ،دار غريب للنشر ،القاهرة ،مج3،العدد 1420ـ4هـ،2000م،ص105.

4-محمود فهمي حجازي :مدخل إلى علم اللغة ،دار قباء ،القاهرة ،1998م،ص45.

5-محمد حسن عبد العزيز :المصاحبة في التعبير اللغوي ،دار الفكر العربي، القاهرة، 1410هـ،1990م،ص 60.

ويفرق **تمام حسان** بين التضام والالتصاق :فالالتصاق ضم جزء من الكلمة إلى بقيتها ،أما التضام فهو استدعاء إحدى الكلمتين الأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تتطلب الأخرى:"فياء النداء كلمة مستقلة،وليست جزء كلمة والعلاقة بينها وبين المنادى علاقة تضام لا علاقة إلصاق ،والمضاف إليه كلمة غير المضاف ولكن العلاقة بين الكلمتين أن إحداهما تستدعي الأخرى ولا تقف بدونها"[1]

وتعد هذه الظاهرة من السبك النصي ،من أكثر الأنواع صعوبة في التحليل ،إذ يعتمد هذا النوع على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة ، إضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط.[2]

وعليه فإن "التضام" هو ظاهرة شكلية ،وهو سر العلاقة التركيبية بين المفردات اللغوية.

ب-**علاقات وأشكال التضام :**

1-**علاقات التضام:**تحكم التضام مجموعة من العلاقات القائمة بين طرفيه وهي:

أ-التضاد:وهو ما يعرف" بالنقيض عند المناطقة ،وتزداد فاعليته المتمثلة في الربط وتحقيق التماسك كلما زاد حدة ،فالنقيضان ما لا يجتمعان مثل:الشمال الجنوب ،الحي والميت ،والعاقل والمجنون ،ومن أنواع التضاد "العكس" مثل:باع اشترى،رجل امرأة، والتضاد الاتجاهي نحو:أعلى أسفل،ذهب أتى"[3]

ب-التنافر:يتمثل في النفي داخل جنس معين ،مثل :"قط/ كلب ،في جنس الحيوان ،مدير /معلم في جنس الوظائف ،ويتعلق كذلك باللون نحو:"أزرق/أحمر،أو بالزمن نحو: شهر /عام"

-تمام حسان :اللغة العربية معناها ومبناها ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط5، 1427هـ، 2006م، ص1.217

2-ينظر،صبحي إبراهيم الفقي :علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط1421 1هـ،2000م،ص94.

-محمد خطابي: لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،ط2006 2م،ص3.25

ج-الجزئية :ويكون فيها أحد طرفي الثنائية اللفظية جزءا من الطرف الاخر ،مثل :اليد/الجسم، الصلاة/السجود.....[1]

2-أشكال التضام وصوره:

كما هو معلوم أن التضام :يُعنى بتتابع كلمتين أو أكثر بشرط التلازم فيما بينها "[2]،وهذا التتابع يأتي في الصور الآتية[3]:

-صورة الصفة والموصوف:أي كلمة موصوفة تتبعها كلمة واصفة ومن أمثلته :القوى العاملة ،الحرب الباردة.

-صور المضاف والمضاف إليه مثل:صديق السوء،أهل الذكر.

-المعطوف والمعطوف عليه:السماء والأرض، يحيي ويميت.

-الفعل والفاعل:نبح الكلب،ماءت القطة.

-الفعل ومتعلقه: يمشي على استحياء.

وقد ذكر **محمد حسن عبد العزيز** أشكالا للتلازم والتضام بين المفردات في الأنماط الرئيسية التالية[4]:

1-العكوس:ومن بينها التضاد.نحو :الشرق والغرب ،الكثير والقليل،الأعمى والبصير.

2-المترادفات:أو الالفاظ المتقاربة في الدلالة،نحو :المستقر والمقام، والبث والحزن ،يحفظ رعى.

3-المتكاملات :نحو السماء والأرض ،الحيوان والنبات،الحديد والنار،الحاضر والمستقبل ،الورقة والقلم...الخ.

ج-ظاهرة التضام في الفاصلة القرآنية:

1-ينظر ،مصطفاوي جلال :الدرس النحوي من الجملة إلى لنص "مقدمة للقارئ العربي"،مقال منشور بمجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ،العدد2 ،ديسمبر ،2011م،ص341.
-صلاح الدين صالح حسنين:الدلالة والنحو، دار المنار القاهرة،ط2005 1م،ص2.81
-محمد حسن عبد العزيز :المصاحبة في التعبير اللغوي ،دار الفكر العربي ،1410هـ،1990م،ص3.88
-المرجع السابق،ص884:

نحاول من خلال هذه مباحث في دراسة تطبيقية للتضام في ثلاث أشكال من أشكاله وهي :العطف والمعطوف عليه،الصفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه،وذلك من خلال تجلياتها في الفاصلة القرآنية.

1-التضام بين المعطوف والمعطوف عليه:

من صور التضام صورة المعطوف والمعطوف عليه ،وقد أشار الباحث محمد حسن عبد العزيز إلى أن هذه الصورة تشمل نوعين وهما:

أ-العكوس ب-المتكاملات.

وقد قمنا باختيار بعض النماذج القرآنية للفاصلة من التضام التي تمثل هذين النوعين.

أ-العكوس (التضاد).

***البكرة والأصيل:**

قال الراغب :"البُكرة هي أول النهار"[1]

وقال ابن منظور :"البكرة :الغدة ،"[2]

أما الأصيل فهي:العشي"[3]

وقد ورد التضام في الفاصلة القرآنية جامعا بينها وبين الكلمة المعطوف عليها في:

قوله تعالى:" **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**" [الفرقان5] .

وفي قوله تعالى:" **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**" [الأحزاب 42].

وقال تعالى:" **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**"[الفتح9].

وقال جل شأنه:" **وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**" [الإنسان25].

1-الراغب الأصفهاني :معجم مفردات ألفاظ القران،تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية –لبنان-ط1418ه1،1997م،ص6
2-ابن منظور :لسان العرب ،ج1،ص481.
-المصدر نفسه،ص3.163

قال ابن عاشور :"والمقصود من البكرة والأصيل إعمار أجزاء النهار بالذكر والتسبيح بقدر المكنة لأنّ ذكر طرفي الشيء يكون كناية عن استيعابه "[1]

وفي موطن آخر يقول:"البكرة أو النهار والأصيل:أخره وهما كناية عن استيعاب الأوقات بالتسبيح والإكثار منه ،كما يقال شرقا وغربا لاستيعاب الجهات ،وقدم لفظ (بكرة) لأن البكرة أسبق من الأصيل لا محالة[2].

ومما سبق يظهر التضام في الفاصلة القرآنية في تركيب (بكرة وأصيلا) أفادت الدوام والاستيعاب لجميع الأوقات مما ساهم في تماسك النصوص القرآنية السابقة وسبكها من خلال علاقة التضاد بين الكلمتين.

***بُكرة وعـشيّا:**

قال تعالى في سياق حديثه عن زكريا عليه السلام:" فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً" [مريم 11].

قال **الألوسي** في تفسير الاية :"المراد صلاة الفجر والعصر وقيل المراد بالتسبيح هو قولهم سبحان الله في الوقتين أي نزهوا ربكم طرفي النهار"[3].

والموضع الثاني في قوله تعالى عن نعيم أهل الجنة:" لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً" [مريم 62].

قال الألوسي في تفسير الاية:" هذا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار....فقد كانت العرب في زمانها إنما لها أكلة واحدة فمن أصاب أكلتين سمي فلان الناعم فأنزل الله تعالى هذا يرغب عباده فيما عنده.....وقيل :المراد دوام رزقهم ودروره وإلا فليس في الجنة بكرة ولا عشي"[4].

وقد اقترن لفظ (العشي) بلفظ (الإبكار)في تركيب (العشي) والإبكار) وذلك في موضعين:

---

[1] -الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير،ج22،ص48.

2-المرجع نفسه،ج26،ص156.

3- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين :روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ضبط علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية،لبنان ، ط1415ه1ـ، 1994م،ج8،ص419.

[4] -المصدر السابق:ج8،ص429.

قال تعالى:" قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ"[آل عمران 41].

وقال تعالى :" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ"[غافر 55]

"أي ودوام على التسبيح والتحميد لربك على أنه عبر بالطرفين وأريد جميع الأوقات"[1]

ومما سبق يظهر الارتباط في الاستعمال بين اللفظين في الفاصلة القرآنية وهذا التضام له أثره في اكتساب التركيب ملمح (الدوام والاستيعاب لجميع الوقت).

***السر والعلانية:**

قال الراغب "الإسرار خلاف الإعلان"[2].

و"العلانية ضد السر"[3]

وقد جمع التضام بين اللفظتين في الفاصلة القرانية عن طريق النمط العطفي في صيغة الفعل فقد تكرر الفعل (يُسرّ) والفعل (يعلن) وفي سياق الحديث عن كمال علمه سبحانه وتعالى وإحاطته بجميع أحوال عباده.

قال تعالى:" وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" [النحل 19]

وقال تعالى:" أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ" [البقرة 77].

يرشد هذا التضام إلى كمال علمه سبحانه جل علاه بحال عباده في السر والعلانية.

ب-**المتكاملات:**

***الجلال والإكرام:**

جمع التضام بين اللفظين عن طريق العطف في الفاصلة القرآنية واللفظة السابقة لها ،في سياق وصف الله تعالى وذلك في موضعين.

1-الألوسي :روح المعاني،ج12،ص330.

2-الراغب الأصفهاني:معجم مفردات ألفاظ القران،ص356

3-المصدر نفسه،ص386.

قال تعالى:" **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**" [الرحمان 27].

قال تعالى:" **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**" [الرحمان 78].

قال **ابن عاشور** :"والجلال العظمة وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى ،والإكرام إسداد النعمة والخير فهو إذن حقيق الثناء والشكر"[1]،ومما يدل على التلازم بين اللفظين في الاستعمال أنه قد ورد عن الرسول صلى الله عيه وسلم –أيضا–"فعن عائشة رضي الله عنها قالت ،كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول:اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[2](رواه مسلم صحيح).

***الظلم والهضم:**

جمع التضام بين اللفظين في السياق القرآني وفي الفاصلة بالأخص في قوله تعالى:" **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً**" [طه112] ،وقد ذهب البعض إلى الحكم بالترادف بين اللفظين "[3] ،والواقع أن هناك فارقا دلاليا بين اللفظين ،فلو نظرنا إلى المعنى اللغوي لكلا اللفظين لاتضح لنا الفارق،فالظلم يدل على "وضع الشيء غير موضعه تعديا"[4]

وقال **ابن منظور**:"وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد"[5].

أما الهضم فيقول عنها **ابن فارس**:"الهاء والضاد والميم أصل صحيح يدل على كسر وضغط وتداخل ،وهضمت الشيء هضما :كسرته...وهضمت لك من حقي طائفة :تركته"[6]

وقال **ابن منظور**:"وهضمه يهضمه هضما واهتضمه وتهضمه :ظلمه وغصبه وقهره.....ورجل هضيم ومهتضم :مظلوم،وهضمه حقه هضما :نقصه"[1].

1-الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير،ج27،ص278.

2-التبريزي محمد بن عبد الله: مشكاة المصابيح ،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ،بيروت ،ط1405ه3ه،1985م،ج1،ص210

-ينظر الزركشي :البرهان في علوم القران،ج2،ص3.472

-ابن فارس:مقاييس اللغة، ،ص4.617

-ابن منظور :لسان العرب ،ج6،ص 235

-ابن فارس: مقاييس اللغة،ص6.1023

ومما سبق يتبين لنا أن الظلم اعتداء يتجاوز الحد على خلاف الهضم اعتداء بالمنع والنقص وقد استند إلى ذلك الباحث **علي اليمني** في إثبات الفرق الدلالي بين اللفظين فقال:" الظلم :عدوان بالفعل يتجاوز حدود التكاليف والواجبات ،والهضم :عدوان بالمنع بتنقيص الحقوق والمكافآت فمن تجاوز حقه عليك فقد ظلمك ،ومن انتقص من حقك عليه فقد هضمك "[2] .

وبيّن **القرطبي** الفرق بين اللفظين فقال :"والفرق بين الظلم والهضم أنّ الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه والهضم ظلم وإن افترقا من وجه"[3]

وقد ذهب **ابن عاشور** إلى مثل هذا ،فذكر أن "الهضم :النقص أي لا ينقصون من جزائهم الذي وعدوا به شيئا....ويجوز أن يكون الظلم بمعنى النقص الشديد وعليه يكون الهضم بمعنى النقص الخفيف"[4] .

ومما سبق يظهر لنا أن هناك فارقا دلاليا وهذا ما أفاده التضام والمصاحبة اللغوية بين اللفظين في الفاصلة القرآنية.

***العوج والأمت:** ورد اللفظان في قوله تعالى : " **وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ، فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ،لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً**" [طه105-107]

وقد عدّ بعض العلماء اللفظين من قبيل المترادف ففي المقاييس نقل ابن فارس عن الخليل:"العوج والأمت بمعنى واحد"[5]، وكلمة (العوج) أصلها "يدل على ميل في شيء"[1]

1- ابن منظور :لسان العرب ،ج9،ص101.

2-علي اليمني دردير :أسرار الترادف في القران،دار ابن حنظل ،1405هـ،1985م،ص45.

3- القرطبي :الجامع لأحكام القران ،تح محمد بن ابراهيم الحفناوي ،دار الحديث ،القاهرة،2000م،ج11،ص3.294

4-الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير،ج16،ص4.313

5-ابن فارس : مقاييس اللغة،ص5.72

والحق أن كلمة الأمت لها معان متعددة أشار إليها **ابن منظور** فقال:"والأمت المكان المرتفع ...والأمت :الانخفاض ،والارتفاع،والاختلاف في الشيء....والأمت:الطريقة الحسنة .....والأمت :العوج...والأمت :الروابي الصغار،والأمت :التلال الصغار...

قال الأزهري:سمعت العرب تقول:قد ملأ القربة ملأ لا أمت فيه أي ليس فيه استرخاء من شدة امتلائها...والأمت أن تصب في القربة حتى تنثني ولا تملأها فيكون بعضها أشرف من بعض..."[2] ،وقد فرّق الإمام **الطبري** في تفسير الاية بين العوج والأمت حيث قال:"أصوب الأقوال في تأويله ولاارتفاع ولا انخفاض لأنّ الانخفاض لم يكن إلاّ عن ارتفاع فإذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام:لا ترى فيها ميلا عن استواء ولا ارتفاعا ولا انخفاضا ولكنها مستوية وملساء"[3]

ب-**التضام بين الصفة والموصوف:**

لاشك بأن من أهم صور التضام ،التضام بين الصفة والموصوف ،فهناك ألفاظ توصف بكلمات معينة ولا توصف بكلمات أخرى ،وقد تتوطد العلاقة بين الكلمتين المتصاحبتين فيؤدي ذلك التلازم إلى نشوء تعبير اصطلاحي (التضام) فأين يتجلى ذلك في الفاصلة القرآنية.

***الاية الكبرى :**

قال **ابن منظور** :"والآية العلامة...وأيَا آية: وضع علامة ،وخرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا،والآية : من التنزيل ومن آيات القران العزيز.قال أبوبكر:سميت الاية من القران

-المصدر نفسه،ص1.691
-ابن منظور:لسان العرب،ج210 2.1
-الطبري ،تفسير القران،ج16،ص3.308

آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام.ويقال :سميت الاية آية لأنها جماعة من حروف القران،وايات الله :عجائبه...والاية العبرة.

ويقال:قد تأييت على تفعلت أي تلبثت وتحبست ...والتأيي :التنظر والتؤدة..."[1]

وقال الراغب :"والآية هي العلامة الظاهرة ،والصحيح أنها مشتقة من التأيي الذي هو التثبت والإقامة على الشيء"[2]

أما في القران الكريم فقد وردت كلمة (اية) مصحوبة بكلمة (الكبرى) في ثلاثة مواضع.

فوردت بصيغة المفرد في ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى:" **فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى**" [النازعات20]،فجاءت(الكبرى) الفاصلة وصفا للاية، وقد فسر العلماء (الاية الكبرى) بمعجزة العصا واليد.

قال **الطبري** ،فأرى موسى فرعون الاية الكبرى يعني الدلالة الكبرى على أنه لله رسول أرسله إليه فكانت تلك الاية يد موسى إذا أخرجها بيضاء للناظرين وعصاه إذا تحولت ثعبانا مبينا"[3]

وقد تكرر التصاحب بين اللفظين في آية أخرى عندما ذكر الله عز و جل قصة موسى وتكليمه قال تعالى بعدما أمره بإلقاء العصا وضم اليد إلى جناحه:" **لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**"

-ابن منظور:لسان العرب ،ج1،ص1.391
-الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القران،ص2.40
-تفسير الطبري ،ج30،ص3.39

[طه23]، ويلاحظ أن لفظ الاية ورد هنا بصيغة الجمع موصوفا بالكبرى وقد علل **الألوسي** ذكر هذا الوصف بقوله:"وكونها كبرى باعتبار معجزات من قبله من الرسل عليهم السلام"[1].

وقد أشار صاحب التحرير والتنوير إلى أثر وصف الاية بالكبرى في المعنى بقوله:"والكبرى صفة لـ (اياتنا) ،والكبر مستعار لقوة الماهية ،أي اياتنا القوية الدالة على قدرتنا أو على أنا أرسلناك"[2]

وقد تكرر هذا التضام في سياق الحديث عن رحلة الإسراء لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى فيها من عجائب ووصفها بالكبرى للتنبيه على عظمته ،قال تعالى:" **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ**"[النجم 18]،قال الطبري :"لقد رأى محمد من أعلام ربه وأدلته الأعلام والأدلة الكبرى"[3]

***البلد الأمين:**

قال صاحب اللسان "البلدة والبلد :كل موضع أو قطعة مستحيزة عامرة كانت أو غير عامرة"[4]

وقال **الراغب** الأصفهاني :"البلد المكان المختط المحدود المستأنس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان"[5] ،ويلاحظ من تعريف **الراغب** أنه اشترط فيه أن يكون عامرا ومحمودا على خلاف المعنى الذي أشار إليه **ابن منظور**فقد بيّن أنّ البلد يطلق على كل قطعة من الأرض سواء

-الألوسي:روح المعاني،ج15،ص1.230
-ابن عاشور :التحرير والتنوير ،ج16،ص2.209
-تفسير الطبري :ج27،ص3.57
-ابن منظور :لسان العرب،ج1، ص4.491
-الراغب الأصفهاني،معجم مفردات القران،ص 5.70

أكانت عامرة أم غير عامرة مسكونة أم خالية ،أما كلمة (أمين) في "اللسان":"الأمان والأمانة ،وقد أمنت فأنا امن وآمنت غيري من الأمن والأمان، والأمن ضد الخوف والأمانة ضد الخيانة"[1]

أما **الراغب** فذكر أن:"أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف"[2]

أما إذا نظرنا إلى تركيب(البلد الأمين) في القران الكريم وفي الفاصلة بالأخص ،فنجد أنّ الله عزوجل أقسم به "لبيان فضيلته"[3] ،في قوله تعالى:" **وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ**" [التين 3]،وقد أشار المفسرون إلى أن المقصود به هو "مكة"[4]

وحاول المفسرون تعليل مصاحبة كلمة (الأمين) لكلمة (البلد) فقيل:"لأنه كان آمنا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا يغار عليه"[5]

وقال صاحب التحويروالتنوير:"والبلد الأمين مكة سمي الأمين لأن من دخله كان آمنا فالأمين مفعل بمعنى فعيل.....ويجوز أن يكون بمعنى مفعول على وجه الأسناد المجازي أي المأمون ساكنوه ،قال تعالى"وآمَنهُم من خوف "[قريش 4]"[6].

يظهر لنا أن التضام بين اللفظتين (البلد)و(الأمين) قد أضفت إليها ملمحا دلاليا وهو ملمح الأمن والاستقرار وبيان أن هذه الصفة لم يختص بها من البلاد مكة مكرمة.

ويدل على ذلك أن هذا التركيب صار يستعمله الشعراء في أشعارهم للتعبير عن مكة ،قال البحتري:[1]

-ابن منظور :لسان العرب ،ج1،ص1.232

-الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القران،ص2.23

-الزركشي :البرهان في علوم القران،ج3،ص3.42

-ينظر الألوسي :روح المعاني ،ج15،ص393،وتفسير ابن كثير :ج3،ص4.527

3-شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري :التبيان في تفسير غريب القران ،تحقيق فتحي أنور الدابولي ،دار الصحابة للتراث بطنطا ،القاهرة،ط1992م1،ص468.

-ابن عاشور:التحرير والتنوير،ج30،ص6.422

أرى البلد الأمين ازداد حسنًا إذا استكفيته العفى الأمينا

***الميثاق الغليظ:**

امأ كلمة (الميثاق) فعن أصلها يقول **ابن فارس** :" الواو والثاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام ،وثقت الشيء أحكمته ،والميثاق ،العهد المحكم"[2]

ويقول صاحب لسان العرب :"والميثاق ،العهد، مفعال من الوثائق،وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة...."[3]

أما عن كلمة (الغليظ) فيقول صاحب اللسان:"الغلظ ،ضد الرقة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش نحو ذلك،غلظ يغلظ غلظا:صار غليظا"[4]

وفي التنزيل العزيز ورد لفظ (الميثاق) مصحوبا بكلمة (غليظ) وذلك في ثلاثة مواضع في الفواصل القرانية،ورد هذا التعبير في سياق حث الله تعالى على حسن معاملة النساء.

قال تعالى:" **وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً"** [النساء 20-21]،أما عن المراد ب(الميثاق الغليظ)فيقول الزمخشري :"الميثاق الغليظ:حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل : وأخذن به منكم ميثاقا غليظا أي بإفضاء بعضكم إلى بعض ،ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه ،فقد قالوا صحبة عشرين قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج" [5]

---

1. -ديوان البحتري :تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف ،مصر ،ط2،ج4،ص2258.
2. -ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،ص 10432
3. -ابن منظور :لسان العرب ،ج9،ص3.215
4. -المصدر نفسه ،ج6،ص 4.656
5. -الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ج1،ص5.430

ويقول ابن عاشور :"والغليظ صفة مشبهة من غلُظ "بضم اللام،إذا صلب والغلظ في الحقيقة صلابة الذوات ثم استعيرت إلى صعوبة المعاني وشدتها في أنواعها"[1]

أما الموضع الثاني الذي ورد فيه لفظ(الميثاق) مصحوبا بكلمة (غليظ) قوله تعالى في سياق الحديث عن بني إسرائيل:" **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**" [النساء 154].

قال **القرطبي** :"يعني العهد الذي أخذ عليهم في التوراة"[2]

أما الموضع الثالث الذي ورد فيها التضام بين اللفظين قوله تعالى:" **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**"[الأحزاب7] .

قال القرطبي :"وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي عهدا وثيقا عظيما على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وأن يصدق بعضهم بعضا ،والميثاق هو اليمين بالله تعالى ،فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين"[3].

وبعد هذا يتبين لنا أن التركيب (ميثاقا غليظا) قد تكرر في الفواصل القرآنية ودل على عقد النكاح أو العهد الذي أخذ على بني إسرائيل في التوراة ،أو اليمين بالله.

وبالنظر في هذه الدلالات يمكن أن نقول إنّ تعبير الميثاق الغليظ يستخدم في التعبير عن العهود والمواثيق العظيمة الشأن لذا نجد أن (الميثاق) في القران الكريم لم يوصف إلا بهذه الصفة فقط.

-الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير ،ج3،ص 1.290
-القرطبي : الجامع لأحكام القران ،ج6،ص2.7
-المصدر نفسه:ج14،ص3.127

3-التضام بين المضاف والمضاف إليه:

يضم هذا مجموعة من التراكيب المكونة من المضاف والمضاف إليه الواردة في الاستعمال القرآني وفي الفاصلة القرآنية بالأخص ويظهر من خلال دراسة هذه التراكيب الور الرئيس الذي تقوم به المصاحبة اللغوية (التضام) في تحديد وتوجيه الدلالة بالإضافة إلى دورها في صيرورة كثير من هذه التراكيب إلى مصطلحات إسلامية.

***سدرة المنتهى:**

قال **ابن منظور** :"السدر :شجر النبق ، واحدتها سدرة"[1]

أما كلمة"المنتهى"فمادتها كما يقول **ابن فارس:**"النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ"[2] ،وقد جمع التضام بين اللفظين في تركيب (سدرة المنتهى) وقد ورد ذلك في سياق حديث القران عن معجزة المعراج التي أيّد الله بها نبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم–قال تعالى:" **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**"[النجم13-14]،

وقد أورد القرطبي عدة أقوال في تعليل تسميتها بذلك:"قيل إنه ينتهي علم الأنبياء إليها .

وقيل :إنّ الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها.

وقيل: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها.

وقيل :لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء.

وقيل:لأنه ينتهي إليها أرواح المؤمنين.

وقيل :لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه.

-ابن منظور:لسان العرب،ج3،ص1.533

-ابن فارس :مقاييس اللغة ،ص2.963

وقيل ،لأن من رفع إليها فقد إنتهى في الكرامة"[1]

وعن الإضافة في هذا التركيب يقول الألوسي :"وإضافة سدرة إلى المنتهى من إضافة الشيء لمحله كما في أشجار البستان ،وتجوز أن تكون من إضافة المحل إلى الحال كما في قولك كتاب الفقه"[2].

وقد أشار **ابن عاشور** إلى أن :"إضافة (سدرة) إلى (المنتهى) يجوز أن تكون إضافة بيانية ويجوز كونها تعريف السدرة بمكان ينتهي إليه لا يتجاوزه أحد لأن ما وراءه لاتطيقه المخلوقات"[3]

ومما سبق يظهر أن تركيب (سدرة المنتهى) "اسم أطلقه القران على مكان علوي فوق السماء السابعة"[4] ،وهو من المصطلحات الإسلامية التي صنعها القران الكريم من خلال التضام بين اللفظين.

***أصحاب الجحيم:**

من الكلمات المصاحبة لكلمة (أصحاب) في القران الكريم كلمة(الجحيم)،وعنها يقول ابن منظور:"الجحيم اسم من أسماء النار ،وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم ،ابن سيدة:الجحيم النار الشديدة التأجج...ورأيت جحمو النار أي توقدها ،وكل نار توقد على نار جحيم وهي نار جاحمة"[5]

ويقول د/عودة خليل أبو عودة:"هذه الكلمة عربية وتصور شدة الحرارة ولهيب النار الحارقة ،سواء كان ذلك من حرارة الشمس أو حراراة النار أو حرارة الحرب"[6] ،وقد ورد تركيب (أصحاب الجحيم) في أكثر من فاصلة قرآنية نذكر منها:

-القرطبي: جامع الأحكام ،ج17،ص1.95
-الألوسي :روح المعاني ،ج14،ص2.50
-الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير،ج27،ص3.100
-المصدر نفسه،ج28،ص4.100
-ابن منظور: لسان العرب ،ج2،ص5.32
6-عودة خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران الكريم، مكتبة المنار الزرقاء ،ط1405ه1ـ،1985م، ص 40

قالى تعالى:" إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" [البقرة119] .

وقال جل شأنه:" مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" [االتوبة 113].

وقال سبحانه:" وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" [االحج51].

قال الألوسي:"أصحاب الجحيم أي ملابسو النار الشديدة التأجج ملابسة مؤبدة"[1]

والسرّ في ذلك أن"إضافة (أصحاب) مؤذنة بمزيد الاختصاص بالشيء...فيكون وجه الاختصاص أنهم الباقون في الجحيم أبدا"[2]

***يوم الدين:**

قال ابن منظور:".....والدين :الجزاء والمكافأة ،ودنته بفعله دينا جزيته.....ويوم الدين :يوم الجزاء"[3]

وقد ورد هذا التركيب في أكثر من آية في الفاصلة القرآنية منها:

قوله تعالى:" مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" [االفاتحة4].

وقوله تعالى: "يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ" [الذاريات 12].

وقوله تعالى:" وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" [الشعراء82].

وقوله تعالى:" هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ" [الواقعة 56].

قال ابن عاشور :"ويوم الدين يوم الجزاء وهو من أسماء يوم القيامة "[4]

فهذا التضام يجعل من التركيب(يوم الدين) من المصطلحات الإسلامية الجديدة التي أطلقها القران الكريم على يوم القيامة.

-الألوسي :روح المعاني ،ج3 ، 1.255

-الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير،ج6،ص2.137

-ابن منظور :اللسان،ج3، ص3.466

-الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ،ج3،ص4.182

***يوم التلاق:**

قال **الراغب** :"اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معا ،وقد يعبر عنه عن كل واحد منهما"[1]

وقد ورد هذا التركيب في قوله تعالى:" **رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**" [غافر15].

والواقع أنّ:"تخصيصه بذلك لالتقاء من تقدم ومن تأخر والتقاء أهل السماء والأرض وملاقاة كل أحد بعمله الذي قدمه"[2]

وذكر المفسرون أن يوم التلاق "اسم من أسماء يوم القيامة"[3]

وعليه يعد تركيب (يوم التلاق) من المصطلحات الإسلامية الجديدة التي أطلقها القران الكريم على يوم القيامة والتي تحققت بفضل التضام بين اللفظين.

***يوم الوعيد:**

ورد هذا التركيب في قوله تعالى:" **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**" [ق20].

قال الراغب :"والوعيد في الشر خاصة"[4]

وفي اللسان :"الوعيد والتوعد :التهدد ،وقد أوعَدَه وتوعده"[5]

والمقصود بيوم الوعيد (يوم القيامة) كما ذكر المفسرون[6].

والسر في اختيار كلمة (الوعيد) في هذه المصاحبة (التضام) لغرض التهويل والتخويف.

-الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القران،ص1.507
-المصدر نفسه ،ص508 .2
-ابن كثير:تفسير القران العظيم،دار البيان العربي ،المكتبة الوقفية ج4،ص3.74
-الراغب الأصفهاني :مفردات ألفاظ القران ،ص 4.599
-ابن مظور : لسان العرب، ج9 ،ص5.347
-ينظر تفسير ابن كثير ،ج 4،ص6.225

قال الألوسي :"وتخصيص الوعيد بالذكر على تقدير كون الخطاب للإنسان مطلقا مع أنه يوم الوعد أيضا بالنسبة إليه للتهويل"[1].

وعن الإضافة في هذا التركيب يقول **ابن عاشور**:" وإضافة (يوم) إلى (الوعيد) من إضافة الشيء إلى ما يقع فيه أي يوم حصول الوعيد الذي كانوا توعدوا به"[2].

وعليه كان للتضام بين اللفظين (يوم الوعيد) دور في جعل هذا التركيب مصطلحا إسلاميا أطلق على (يوم القيامة).

وفي الأخير نشير إلى أن كلمة(يوم) من الكلمات التي تتسم دلالتها بالإبهام ،وكلما كانت الكلمة في حالة التنكير كانت مبهمة الدلالة وتحتاج حينئذ إلى كلمة مصاحبة تزيل هذا الإبهام،لذا نجد اتساع دائرة التضام والاختيار بين الكلمات مع كلمة (يوم) حيث أن كل كلمة مصاحبة تضيف ملمحا دلاليا يختلف عن الآخر.

ج- السبك الصوتي:

توطئة:

توقف "روبرت دي بوجراند " وزميله " دريسلر" في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص، Introduction to textlinguistics) في سنة **1983م**، أمام مصطلح " **التنغيم**" وعدّاه وسيلة من الوسائل الصوتية الرئيسية التي توظف مع وسائل أخرى ليتحقق مفهوم السبك النصي.

وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر للانفعال النفسي، وأن "هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مدّ أو غنّة أو لينا أو شدّة، وبما يهيئ علّة من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها"[(3)].

-الألوسي :روح المعاني ،ج13،ص1.333

-ابن عاشور :التحرير والتنوير ،ج26،ص2.307

3- ينظر مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المنار للطبع والنشر، مكتبة فياض للطبع والنشر، ط1، 1417ه/1997م، ص 169.

كما أن للقرآن الكريم مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي" ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكتاته، اتساقا وسبكا عجيبا، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم أو منثور، وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا "[1].

فأين يكمن السبك الصوتي للفاصلة القرآنية وما تجلياته وظواهره؟ حاولنا تمثيل ذلك من خلال ظاهرتين بارزتين في الفاصلة (النسق الصوتي والإيقاع) نظرا لما يحققانه من جمالية في النظام الصوتي للقران ولكن قبل ذلك حري بنا التعرف على مفهوم التنغيم.

1-مفهوم التنغيم:

يعد التنغيم من الظواهر الصوتية ،وهو خاصية تشترك فيها أغلب اللغات الإنسانية ،يقول أحمدمختار:"ومعظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية(Intonation langages) ،لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تميزية بين المعاني، وإلى اختلاف التنغيم يرجع الفضل في أننا يمكننا أن نعبر عن كل مشاعرنا وحالاتنا الذهنية من كل نوع ،ويمكننا في معظم اللغات أن نغيّر الجملة من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى إنفعال إلى تعجب.....دون تغيير في شكل الكلمات المكونة ،ومع تغيير فقط في نوع التنغيم "[2].

من هذه المقولة نستخلص أن التنغيم يستند في التمييز بين أنواع الخطابات من خلال ارتفاع النغمات وانخفاضها فمع اختلاف درجات الصوت تختلف دلالات الجملة أو العبارة.

كلمة –تنغيم– مشتقة من المادة اللغوية (نغم) وهي في العرف اللغوي تعني جرس الكلام ،وكذا حسن الصوت عند القراءة،،حيث يقول صاحب اللسان:"النّغم:جرس الكلام"[3].

-المرجع السابق،ص1.171

-أحمد مختار عمر:دراسة الصوت اللغوي ،ص2.229

-ابن منظور:لسان العرب ،مادة (نغم).3

أما من الناحية الاصطلاحية فقد نوه "إبراهيم أنيس" بأهميته عند حديثه عن ضرورة البحث عن نظام درجات الصوت و تسلسله في الكلام العربي ،ويعرفه **تمام حسان:**"بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[1]،حيث أن هذا الارتفاع والانخفاض يؤديان إلى التمييز بين مشاعر مختلفة منها الفرح، والحزن، والألم ، والدهشة ...وغيرها ولا يبتعد **ماريو باي** عن هذا التصور عندما يعرفه قائلا:" تتابع النغمات الموسيقية ،أوالإيقاعية في حدث كلامي معين"[2]

من خلال هذه المفاهيم نتساءل هل يتحقق التنغيم في القران الكريم ؟وماهي ظواهر التنغيم وأين تتجلى في الفاصلة القرآنية؟.

حاولنا من خلال النماذج الفاصلية المدروسة في هذا المقام أن نجتهد في تقديم الجواب،حيث رصدنا ظاهرتين للتنغيم في الفاصلة أولها النسق الصوتي وتلاها الإيقاع في الفواصل القرآنية.

2- النسق الصوتي للفواصل:

النسق الصوتي وهو نسق يجمع أصواتا مختلفة في نوعها، ومتفقة في خصائصها الصوتية، ففي غير موضع تستقل الآية بفاصلة مختلفة عن الفواصل الأخرى، ويمكن تصنيف هذه الأنساق على النحو التالي:

أ-النسق التفخيمي:

وهو تتابع عدد من الأصوات المفخمة تفخيما كليا، لو تأملنا فواصل الآيات في قوله تعالى: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ، لا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [فصلت: 48-51].

-تمام حسن: مناهج البحث في اللغة،ص1.164

-ماريو باي :أسس علم اللغة ،تر،أحمد مختار عمر ،عالم الكتب ،القاهرة ،ص2.93

تنتظم من مجموعة صوتية واحدة، فهي أصوات مفخمة، وإذا **التفخيم** هو النسق العام الذي يجمعها فإن نسقا آخر يعزز العلاقة بينها وهو المخرج أو آلية النطق، فهي أصوات أسنانية لثوية ما عدا صوت الظاء الذي يقتصر نطقه على المخرج الأسناني.

ولو أعدنا النظر في تسلسل الأصوات الأربعة في الآيات السابقة لتجلى لنا إعجاز صوتي فيها، فقد جاءت موزعة على أربعة ملامح صوتية وهي **الاحتكاك** و**الانفجار** من جهة، والهمس والجهر من جهة أخرى، ويشكل هذا التوزيع ثنائيات صوتية **(الاحتكاك والانفجار أو الهمس والجهر)** وفق تسلسلها في الآيات، وذلك على النحو الآتي:

الصاد: احتكاكي مهموس //**الطاء** انفجاري مهموس.

الظاء1: احتكاكي مجهور //**الضاد** انفجاري مجهور.

وينجم عن الثنائيات الصوتية وفق ترتيبها في الفواصل تموجات إيقاعية يمكن تجسيدها على النحو التالي:

سلم التموجات الصوتية للفاصل القرآنية

يجسد ما تقدم أربع نغمات صوتية تصاعدية، فالمستوى الإيقاعي:

الأول– يتمثل بالفاصلة الأولى (الصاد) وهي صوت احتكاكي مهموس، وهي أدنى مستوى من حيث الوضوح السمعي قياسا بالمستويات الأخرى.

والمستوى الصوتي الإيقاعي الثاني يتمثل بالفاصلة (الطاء) وهي صوت انفجاري مهموس والانفجاري أكثر وضوحا في السمع من الاحتكاك، والمستوى الثالث يتمثل في فاصلة (الظاء) وهو صوت احتكاكي مجهور، والجهر أكثر وضوحا في السمع من الانفجار والاحتكاك، والمستوى الرابع يتمثل بالفاصلة (الضاد) وهي صوت انفجاري مجهور، وهي أكثر وضوحا في السمع من النغمات الثلاث المتقدمة، ولهذا جاءت في قمة الهرم الصوتي الإيقاعي، وبالتالي اتصف هذا النسق الإيقاعي لأصوات الفواصل بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ويمنح التدرج المتلقي انفعالا من الإيقاع الهابط إلى الإيقاع الصاعد في سبك محكم يجسد الإعجاز القرآني الصوتي.

ب- نسق الغنة:

نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ،ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ، لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ ﴾ [الواقعة: 49-54]، فقد تتابع صوتا الغنة (النون – الميم) وفق نسق منظم يمنح السياق الصوتي خاصية إيقاعية ذات طاقة تأثيرية على المتلقي، لأن تتابع الأصوات وفق النسق المتقدم ترتاح إليه الأذن، إلى جانب ملمح الغنة الذي ينجم عن خروج الهواء من الأنف على اعتبار أن الميم والنون هما الصوتان الأنفيان الوحيدان فإن ملمحا آخر يجمع بين الصوتين وهو ملمح الجهر، إذ يتذبذب الوتران الصوتيان في نطاقهما، كما أن مخرج النون لثوين ومخرج الميم شفوي ثنائي، وهما مخرجان متقاربان، مما يضفي على الصوتين تقارب آخر.

وبناء على ما تقدم فإن العنقود الصوتي الذي جمع بين الميم والنون قد اشتمل على علائق صوتية تتمثل بالغنة والجهر والتقارب في المخرج، وهذا ما يحول اختلاف الصوتين إلى تماثل في الملامح الصوتية وتقارب في المخرج.

ولعل من المفيد أن نشير إلى أواصر القربى بين الصوتي الميم والنون في التراث الصوتي،فقد أورد ابن جني: " أن النون تقلب ميما في بعض الكلمات نحو: عنبر وقنبر، كما أن

النون تدغم مع الميم وهما من مخرجين مختلفين، ولا يجوز إدغام الميم مع الباء على الرغم من أنهما (الميم والباء) من مخرج واحد"[1]، وفي هذا تعزيز للتجاذب بين النون والميم.

ج- نسق الجهر:

وهو تتابع عدد من الأصوات المجهورة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ، ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ، هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ ، فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)﴾ [غافر: 11-14].

لا تقتصر شبكة العلاقات الصوتية لأصوات الفواصل (اللام، الراء، والباء والنون) على التماثل في صفة الجهر، إذ إن بينها علائق صوتية تزيد من تلاحم شبكة العلاقات في النسق الصوتي، فالعلاقة بين اللام والراء (الفاصلة الأولى والثانية) علاقة صوتية تبادلية نوه إليها أبو حيان بقوله "وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزية توجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها من بعض"[2]، وينوه إبراهيم أنيس إلى خصوصية العلاقة بين الراء واللام بأن "الراء لا تدغم في الأمثلة القرآنية إلا مع اللم بسبب قرب المخرج مع اتحاد في الصفة، لأن كلا منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة"[3]، وكذلك تحققت العلاقة التبادلية بين اللام والنون فيما نص عليه ابن جني: " وأبدلوا اللام من النون في أصيلان فقالوا: أصيلا"[4]، وما كان لهذه العلاقات المتبادلة بين الأصوات المشار إليها أن تتحقق لولا التقارب المخرجي والتماثل في الملامح الصوتية.

د- نسق الهمس:

1- ابن جني أبو الفتح: سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص 96.
2- أبو حيان الأندلسي: تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص 25.
3- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 5، 1984، ص 218.
4- ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 5.

وهو تتابع عدد من الأصوات المهموسة كما في قوله تعالى: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ، لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً ، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتْ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ، خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [طه: 106-108].

يجمع بين الأصوات الثلاثة المهموسة (الفاء، التاء والسين) نسق صوتي تتابعي يتمثل بالتناوب بين الاحتكاك والانفجار، فالفاء صوت احتكاكي ن والتاء صوت انفجاري ، والسين صوت احتكاكي، كما أن العلاقة بين التاء والسين علاقة تبادلية، فقد روى ابن جني أن بعضهم قلب السين تاء للتوافق بينهما في الهمس وتجاور المخرج، وأورد شواهد من الشعر[1]، فهذا التتابع وفق نسق صوتي واحد في الفاصلة القرآنية أسهم في سبك الآية مع أختها ممتعا بذلك المستمع من خلال النغمات الإيقاعية المتماثلة.

3- الإيقاع في الفواصل:

الإيقاع في اللغة معناه اتفاق الصوت في الغناء، ولكننا نعني به هنا إحساس الأذن والنفس بتناغم الصوت الحاصل من قراءة الآيات، ولقد حاول الدكتور "تمام حسان" أن يبين معنى الإيقاع عن طريق شرح المقاطع اللغوية والنبر وانتهى فيه إلى أن الإيقاع إما إيقاع في نطاق التوازن وإما في نطاق الموزون، والوزن في العربية إنما يكون للشعر، والذي في القرآن متوازن لا موزون. [2].

أ- الصوت المتكرر:

ومن الظواهر التي نلمس فيها الإيقاع، ظاهرة الصوت المتكررة ، فتكرار الصوت المفرد ثم تكرار الأصوات السابقة وما تحدثه من جرس ينهض بالمعنى، ثم تكرار القالب الصوتي الذي تلذ به الآذان وتتأثر به القلوب، وفي ذلك يقول الدكتور .كمال الدين المرسي: : " تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه،والإيحاء بما يدل عليه معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية، وما تشيعه بجرسها

1- المرجع نفسه، ص 125.
2- تمام حسان: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، 1413ه/1993م، ص 272.

الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد، وإنك لتجد القرآن الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع وإعجاز معجز، فالصوت المفرد يختار بعناية، وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج عن احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدلّ على المعنى، وأكثر تصويرا له"[1].

ويجسد د.كمال الدين المرسي ذلك من خلا ل سورة الناس[2]– فلتنصت إلى الجرس الصوتي لحرف السين الذي يتكرر في هذه السورة الكريمة–:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾[الناس] ، فحرف السين الذي تكرر في هذه السورة صوت صامت مهموس لثوي احتكاكي لا يستطيع الإنسان أن ينطق به وهو مفتوح الفم، بل إنه ليحدث في نطق كثيرين له أن تلتقي الأسنان السفلى بالأسنان العليا[3]، وقد اختير هذا الصوت بصفة خاصة لإبراز هذه الوسوسة، وما يلقيه الشيطان في روع الإنسان ليزين له بذلك ارتكاب المعاصي، وهو أدل بجرسه الصوتي الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي، وقد أعانته على ذلك بعض الأصوات الأخرى التي تقاربت معه مخرجا منها حرف الصاد المطبق الذي يشترك في كل خصائصه الصوتية مع صوت السين، ويزيد عليه الإطباق[4]، وهو يعطي جرسا أعلى وسط هذه السينات المتتالية، ويشترك معه أيضا صوت الفاء، وهو صوت صامت مهموس شفوي سني احتكاكي، فهذه الأصوات الثلاثة تشترك في صفتي الهمس والاحتكاك، وتتقارب في وضع اللسان عند اللثة أو الأسنان، وفي موضع الشفتين حال النطق بها ومن الأصوات التي شاركت في إبراز هذه الوسوسة صوت الواو –وهو صوت شبه صائت مجهور

1-كمال الدين عبد الغني المرسي: فواصل الآيات القرآنية،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،ط1420ـ1هـ،1999م ،ص 171[1]

-المرجع نفسه ،ص172.[2]

3- محمود السعران: علم اللغة،دار النهضة العربية،بيروت،(د ت)، ص 192.

4- المرجع نفسه، ص 192.

شفوي– حنكي قصي[1]، الذي يتردد بين السينات المتوالية بضم الشفتين ضمات متتابعة تكون ذات أثر كبير في تصوير موقف التحريض الهامس على ارتكاب الآثام.

واستمع مرة أخرى إلى هذا التصوير الرائع لهول يوم القيامة الذي يختل فيه نظام الكون فتهتز الأرض وتنشق السماء، وترتعد القلوب، ولاحظ تكرار صوتي الراء والفاء على وجه الخصوص وذلك في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [النازعات: 6-8]، لعلك أحسست بهذه (الرجفة) التي تشيع في نفسك، وأنت تستمع إلى تكرار صوت الراء الذي تتابع في نطقه طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا يصوّر أبدع تصوير هذه الرعشة التي تنتاب الأرض والسماء، يساعده في ذلك صوت الفاء، وصوت الجيم وهو صوت صامت مجهور لثوي حنكي انفجاري، احتكاكي مركب[2]، ويسبقه صوت صائت طويل يبرز تكرار حرف الراء ويعطيه استمرار أكثر، وكثافة موسيقية أغزر، ثم ينقطع النفس، وينغلق مجرى الهواء حين النطق بالجيم، ثم ينفتح مرة أخرى ليسمح بنطق صوت الفاء الذي يلتقط الصدى من الرّاء ليصور بجرسه الاحتكاكي المهموس حالة الاهتزاز.

وهذا هو القرآن الكريم في موضع آخر من جزء عمّ يلجأ إلى تصوير "الحشر" في يوم القيامة بترديد صوتي الحاء والشين تصاحبهما صوائت قصيرة متتابعة، حيث يقول عزّ من قائل: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (التكوير(5)) ،كّرر الاستماع إلى هذه العبارة القرآنية، ولاحظ تكرار صوتي الحاء والشين، وما يحدث في الحلق من "حشرجة" أو "حشر" أو " تزاحم"، فالحاء بجرسها الصوتي الذي يحدث احتكاكا في الفراغ الحلقي لأعلى الحنجرة، ويضيق معه المجرى الهوائي ويرتفع الحنك اللّين[3]، والشين بما فيها من تفشٍ كما يقول ابن جني، وضيق بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة وتقارب للأسنان العليا والسفلى، واحتكاك ناتج من محاولة خروج العمود الهوائي الضيق من بين الأسنان[4]، ثم هذه الضمات المتوالية على الحاء الأولى والثانية، والواو الأولى والشين الأولى، ثم

1- ينظر. محمود السعران: علم اللغة ،ص198.
2- المرجع نفسه ، ص 198.
3- المرجع نفسه، ص 195.
4- ينظر عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج1، ص 71.

هذا الصائت الطويل في (الوحوش)، والانتقال من شبه صائت إلى صائت طويل يفرق بينهما حرف الحاء، كل أولئك أسهم في تصوير هذا الزحام الذي تتدافع فيه الوحوش.

ب- التغيّر:

رأينا أن تكرار الصوت في اطراد يشكل نظاما في الفاصلة القرآنية، لكن هذا الاطراد قد يتغير وهذا ما سمي بقانون "التغير" ألا "وهو إحداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة السارة "فإن كان ما يحدث هذه الصدمة هو ظهور شيء جديد يثير الاهتمام على نحو مؤكد فإن الأثر الذي يتولد في نفوسنا هو أثر الشيء الطريف ، أما إذا لم يوجد ما يعوض هذه الصدمة فحينئذ نحسّ بما في الموضوع من قبح ونقص".[1]

فلنتأمل نماذج "التغيّر" في الفاصلة:

أول نموذج يسترعي الانتباه عدم اقتصار فواصل القرآن الكريم على حروف الرويّ المتماثلة أو ما يشبه وحدة القافية، بل تجاوزتها إلى الحروف المقاربة ثم إلى الفواصل المنفردة لإحداث الصدمات السارة التي أشرنا إليها، يقول تعالى في سورة الانفطار:

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ
كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ
كِرَاماً كَاتِبِينَ
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ
إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

1- جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال، تر: مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، د ت، ص 116.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ

مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 6-19].

ففواصل الياء والنون، أو الواو والنون تتماثل مع نفسها وتتقارب مع فواصل الياء الميم، وهي جميعا تختلف عن فاصلتي الكاف، وإن انتظمت على حدّ سواء في الوقوف على السكون، أما الفاصلة الأخيرة (الله) فانفردت بحرف الرويّ (الهاء) كما انفردت بنوع المدّ الذي سبق الهاء، وإن لم تخرج عن الوقف الساكن.

الفاصلة الأولى (**الكريم**): برغم اتّساقها مع فواصل الياء والنون أو الياء والميم لم تجئ مجاورة لها في المكان مباشرة مما يحدث الصدمة في الانتقال منها إلى الكاف (فعدلك).

ففاصلة (الكريم) مهّدت للصدمة الأولى، حتى إذا جاءت فواصل (الدّين) (لحافظين) (كاتبين)،... استثمرت هذه المفاجأة خير استثمار، وما كدنا ننسى الصدمة حتى فوجئنا بصدمة الفاصلة الأخير (الله) تلك الفاصلة التي تركز الانتباه بانفرادها أولا، وتميزها ثانيا، وانتهاء النص عندها ثالثا، لنكتة بلاغية دينية ترمي إلى ردّ الأمر كله إلى الله تعالى، وهذا ما ساهم في سبك الآيات والمقاطع والملاحظ على (التغير) في روي الفاصلة في القرآن عموما:

- أن أغلب سور القرآن – لاسيما الطوال منها- أخذت بنموذج (التغير) في الفواصل، أما السور التي وحدت الفاصلة فإحدى عشرة، هي (القمر) و(الكوثر) و(القدر) و(العصر) و(المنافقون) و(الأعلى) و(الليل) و(الشمس) و(الفيل) و(الإخلاص) و(الناس).
- اتسع مجال تغير حرف الروي في الفواصل حروف الأبجدية العربية أو معظمها، على تفاوت بينها في النسبة، فحرف النون فاصلة القرآن الأثيرة، فقد بلغ ما جاء عليها ساكنة بعد واو أو ياء

(3050) خمسين وثلاثة آلاف فاصلة، بينما لم ترد حروف كـ (الغين) إلا مرّة واحدة: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ [النساء: 63]، والحرف الذي لم يرد في الفواصل هو (الخاء).

- يرى سيد قطب أن تنوع الإيقاع في السور يختلف بالقياس (قرائن) الفواصل بين الطول والتوسط والقصر، وهو أشبه باختلاف بحور الشعر في الديوان الواحد، فيقول في هذا: "إن قرائن الفواصل تقتصر غالبا في السور القصار إلى حرف القافية (الفاصلة)، يشتد التماثل والتشابه في السور القصيرة، ويقل غالبا في السور الطويلة" [1]

ويضيف: "أما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة، فقد لاحظنا مرات كثيرة أن (القرينة) و(الفاصلة) لا تتغيران لمجرد التنويع، وقد تبين في بعض المواضع سر هذا التغير، وحقي علينا السير في مواضع أخرى"[2].

من المواضع التي لاحظ سيد قطب فيها أن تغير نظام الفاصلة والقرينة يضفي شيئا خاصا ما جاء في سورة (مريم): فالسورة تبدأ بقصة (زكريا) و(يحي) وتليها (مريم) و(عيسى) وتسير الفاصلة والقرينة هكذا:

﴿ كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ [مريم:1-4]، إلى أن تنتهي القصتان على روي واحد، وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة في قصة (عيسى) على النحو التالي:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ،وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم:30-35].

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن،دار الشروق القاهرة،ط6،1423، 2002م، ص 90-91.
2- سيد قطب: المرجع نفسه، ص 91-92.

وهكذا يتغير نظام القرينة فتطول، ويتغير نظام الفاصلة فتصبح بحرف النون أو بحرف الميم،وقبلها مدّ طويل، وكأنما هو في هذه الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة، مستمدا منها، ولهجة الحكم تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب العرض القصصي، وتقتضي إيقاعا قويا رصينا، بدل إيقاع القصة الرخي المسترسل، وكأنما لهذا السبب كان التغير. [1]

ويستأنس سيد قطب في هذا الاستنباط بملاحظة أخرى، ذلك أنه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار، عاد السياق إلى النظام الأول في الفاصلة والقرينة، لأنه عاد إلى قصص جديد، على النحو التالي:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً (41)﴾ (مريم).

وبهذا يتجلى دور هذا التغيّر في روي الفاصلة في سبك القرينة بأختها بل حتى مقاطع السور معا في جو جمالي يمتع الأسماع بإيقاعاته المتنوعة.

ج- التساوي:

قانون آخر من قوانين الإيقاع وهو أشبه بجماليات الفاصلة في اطرادها ونظامها من حيث توفير الوحدة للنص، أو إثارة التوقع فالإشباع وهو كذلك في الذكر الحكيم أشكال، قال تعالى في سورة العاديات:

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 92.

إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾

في هذا النص عدد من أشكال التساوي: أولها تساوي عدد الكلمات مقطعا مقطعا في المقاطع الثلاثة الأولى، ثانيها تساوي عدد الفواصل في ثلاثة مقاطع.

وهناك شكل آخر، وهو التساوي أو التشابه في بدايات القرائن، مثل ما جاء في سورة التكوير:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ،وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ،وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ،﴾ [التكوير: 1-14].

بالإضافة إلى تساوي بدايات القرائن في هذا النص، نلحظ التساوي في الطول أو عدد الكلمات، كما نلحظ التشابه في بنية التراكيب، فضلا عن وحدة الرويّ في الفواصل جميعا، وفوق ذلك نفاجأ بشيء من التغير في قرينتين كانتا خاتمتي المقطعين: ﴿ **بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾-التكوير9- و﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ** ﴾، تغير في بداية القرينة، وتغير في بنية التركيب، كما في القرائن الأخرى، فإذا عدد من قوانين الإيقاع كالتساوي والنظام والتغير تلتقي على صعيد واحد لتتضافر على وحدة النص وإطلاق جمال الفواصل:

د-التوازي: التوازي بمفهومه البلاغي وهو اتفاق أواخر القرائن في الوزن والرويّ، وهو قانون آخر من قوانين "الإيقاع" وهو كالتساوي، ويمكن أن نلتمسه في القرائن ذوات الصيغة التركيبية الواحدة،منها قوله عزّ وجلّ في سورة الشمس:

1- ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا
وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2)
وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3)
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4)
وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5)

2- وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6)
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

3- قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) ﴾

نلفت النظر إلى أن التوازي الداخلي بين كل قرينتين على حدى كـ (الشمس) و(القمر) و(النهار والليل) و(السماء والأرض) و(فجورها وتقواها) و(أفلح – زكاها – دسّاها) هو تواز في التضاد وفي موقع الابتداء.

وإذا تأملنا جزئيات القسم الأول، وجدنا التوازي الدقيق في كل وحدة.

الوحدة الأولى: تتوازى قرائنها، كما يلي: أداة القسم، فالمقسم به فأداة الشرط ففعل الشرط، فالضمير (ها) بينما تتوازى جزئيات الوحدة الثانية، كما يلي: أداة القسم، فالمقسم به، فأداة العطف، فاسم الموصول (ما)، فالفعل، فضمير الفعل (ها).

أما المقطع الثاني فتتوازى جزئياته على الشكل التالي: حرف التحقيق (قد) فالفعل الماضي،فاسم الموصول (من) فالفعل الماضي، فضميره (ها) وهكذا دواليك:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

وبهذا تتضافر عناصر التوازي فيها لإطلاق جوّ من الموسيقى التصويرية لمشاهد الكون،مما يسهم في سبك الآيات وتماسكها.

وقد نلفي أنواعا أخرى للتوازي منها:

✓ **توازي متقارب**، نحو قوله تعالى في سورة –آل عمران–:

﴿ ...وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية: 98–آل عمران].

﴿ ...وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 163].

﴿ ...فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الآية: 82].

﴿... وَأُوْلَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ ﴾ [الآية: 90].

﴿ ...فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [الآية: 94].

﴿ ...وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 104].

فالتوازي بما يحمل من توافق صوتي بإعادته القالب الصوتي الأخير، وتكرار حرف الروي يؤدي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي المحبب الذي تنشط له النفس.

هـ – التوازن:

يتمثل هذا القانون في الأدب حين يراعى في فاصلتي القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منها[1]، كقوله تعالى: ﴿ وَ نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾**[الغاشية: 15–16]**.

فأدنى ما يشترطه (التوازن) كون الفواصل على وزن واحد، فإن توفر الوزن في كلمات القرائن جميعا، أو في أكثرها، وتقابلت الكلمة مع ما يعادلها وزنا كان ذلك أجمل[2]، مثل قوله عز وجل:

﴿ وآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: 117–118].

1- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1960، ط2، ص 223.
2- المرجع نفسه، ص 223.

فإن الاحتفاظ بالوزن، والتخلي عن الرويّ في بعض الأحيان يكون له من الحسن إذا أحدثت المراوحة بينهما، فالقرآن الكريم لم يلتزم رويّا واحدا لكل فواصله، وإنما يلتزم به حين يكون التزامه أروع وأعجب، ويتخلى عنه حين يكون التخلي عنه ضرورة لازمة لكسر الرتابة وتحقيق التنوع النغمي.

وإنك لتجد "البيان القرآني يخرج من الفواصل المتوازنة إلى المتوازية أو المطرفة، ثم يعود إلى المتوازية، ويخلط بين أنغامها المتنوعة، وأصواتها المختلفة والمؤتلفة ليقدم لنا في النهاية لحنا موسيقيا عذبا، تتضافر نغماته في إيراد هذا اللون من الجمال الفني[1]، فهذا التضافر يسهم في سبك الآيات وربطها.

ومن التوازن في الفاصلة القرآنية قوله تعالى:﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ،وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر: 22]

﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ،وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: 4-5].

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: 2-4]

هـ- الوقف على الفواصل:

اللغة العربية معربة، أي تظهر على كلماتها المعربة علامة إعراب في نهاية الكلمة، ولكن ثمة حالة لا يظهر فيها ذلك الإعراب في العربية، وهي حالة الوقف بالسكون، حيث تتحول الحركة إلى سكون بالوقف، يقول السيوطي: " الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوسطها، ولا يتأتى في سوط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما"[2].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقف على رؤوس الآي كما ورد في صفة قراءته صلى الله عليه وسلمن وفي سنن الترمذي عن أم المؤمنين أم مسلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته، يقول: "الحمد لله ربّ العالمين" ثم يقف "الرحمن الرحيم، ثم يقف"[3].

1- محمود نحلة: لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 370.
2- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 115.
3- الترمذي أبوموسى: سنن الترمذي (الجامع الكبير)،تحقيق بشار عواد معروف،دارالغرب الإسلامي؛ط1، ج5، ص 185، ح(3937).

وإذا لاحظنا فواصل سورة **القمر** على سبيل المثال فسوف نجد أن الرّاء هي حرف الروي في فواصل الآيات كلها.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [الآية: 01]، ويسبق الرّاء حرف متحرك لا حرف مدّ، ولولا الوقف بالسكون على الرّاء ما تحقق ذلك الإيقاع الجميل في فواصل السورة، فهي تبدأ بالرّاء المضمومة غير المنونة في (القمر) ثم تليها فواصل براء مرفوعة منونة (مستمرٌ، مستقرٌ، مزدجرٌ) في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ،وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر: 2-4].

ثم راء مكسورة منونة في (نكر)

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ [الآية: 6]

ثم في الآية **التاسعة** (وازدجر) الرّاء مفتوحة.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) ﴾

وهكذا تمضي الفواصل بين الرفع والجر والنصب أو البناء على الفتح، ولكن الوقف عليها بالسكون يوحد إيقاعها في سبك صوتي جميل متكرر.

الفصل الثالث

الـــحـبك وظـــواهره في الفاصـــلة القرآنية

توطئة.

1- مفهوم الحبك .

2- ظواهر الحبك في الفاصلة القرآنية.

أ-ظاهرة التغريض

ب- ظاهرة السياق.

ب- ظاهرة المناسبة.

توطئــة:

من المعلوم أن لسانيات النص تنظر إلى النص نظرة كلية، مما أدى بها إلى البحث في تماسكه، فكان من ذلك السبك الذي يعتبر من أهم أدوات هذا العلم، لكن هذا الأخير – كما سبق ذكره– مركز اهتمامه على البنية السطحية الظاهرية، التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث قصد الغوص في أعماق النص والبحث في خباياه التي تساهم في ترابطه من جهة المعاني والأفكار المتواجدة فيه، وهذا ما يبحث فيه الحبك.

فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي، ونقطة وصول إلى تماسكه الكلي، لأن النص عندما يكون مترابطا من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطا من الناحية الفكرية نقول أن نصيته لم تكتمل[1]، كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والثاني من جهة اهتمامه بالعلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية، فهما وجهان لعملة واحدة، لا قيمة لوجهها الأول إلا بحضور الثاني والذي هو السبك.

والإشكالية المطروحة في هذا الفصل تتمحور حول السؤال: كيف ساهمت الفاصلة القرآنية في حبك النص القرآني وأين تجلت ظواهر الحبك الدلالية في ذلك ؟

1- مفهـوم الحبـك:

أ- لغــة:

الحَبْك: الشدّ. واحْتَبك بإزاره: احْتَبَى به وشدَّه إلى يديه.

وقال الفراء في قوله: والسماء ذات الحُبُك؛ قال: الحُبُك تكسُّر كل شيء كالرملة إذا مرت عليها الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرت بها الريح، والدرعُ من الحديد لها حُبُك أَيضاً، قال: والشعرة الجعدة تكسُّرُها حُبُكٌ، قال: وواحد الحُبُك حِباك وحَبِيكة؛ وقال الجوهري: جمع الحَبِيكة حَبَائك، وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: والسماء ذات الحُبُك؛الخَلْق الحسن، قال أَبو إِسحاق: وأَهل اللغة يقولون ذات الطرائق الحسنة؛ وفي حديث عمرو بن مُرّة يمدح النبي، صلى الله عليه وسلم:

لأَصْبَحْتَ خيرَ الناس نَفْساً ووالداً * رَسُولَ مَلِيك الناسِ فوق الحَبَائِك**

[1]-ينظر سعيد حسن بحيري، عل م لغة النص، ص 146.

الحَبَائك: الطرق، واحدتها حَبِيكة، يعني بها السموات لأَن فيها طرق النجوم. والمَحْبُوك: ما أُجيد عمله. والمَحْبُوك: المُحْكَمُ الخلق، من حَبَكْتُ الثوب إِذا أَحكمت نسجه. قال شمر: ودابة مَحْبُوكة إِذا كانت مُدْمَجة الخلق، قال: وكل شيء أَحكمته وأَحسنت عمله، فقد احْتَبَكْتَه .[1]

وجاء في معجم تاج العروس للعلامة مرتضى الزبيدي أن الحبكُ: الشَّدُّ والإِحْكامُ وإِجادَةُ العَمَلِ والنّسج وتَحْسِين أَثَرِ الصنعَةِ في الثَّوْبِ يُقال : حَبَكَه يَحْبِكُه ويَحْبُكُه من حَدّىْ ضَرَب ونَصَر حَبكاً : أَجادَ نَسجه وحسَّنَ أَثَرَ الصَّنْعَةِ فيهِ كاحْتَبَكه : أَحْكَمه وأَحْسَنَ عَمَلَه فهو حَبِيكٌ ومَحْبوك يقال: ثَوْبٌ حَبِيكٌ ومَحْبُوكٌ : أَحْكِم نَسجُه وكذلك وَتَرٌ حَبِيكٌ وأَنْشَدَ ابنُ الأعرابي لأبي العارِمِ:

فهَيَّأْتُ حَشْراً كالشِّهابِ يسوقُه ... مُمَرٌّ حَبِيكٌ عاوَنَتْه الأشاجِعُ

ب- اصطلاحا:

يعتبر "الحبك" أعم من السبك وأعمق منه، حيث يطلب الحبك من المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكلي ولا معجمي، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله.

ويعتبر الحبك من المفاهيم التي وظفتها لسانيات النص في الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنص بكامله، أما فيما يخص مفهومه الاصطلاحي فيمكن البحث عنه من خلال آراء النصانيين الذين تحدثوا عنه وأبرزوا المقصود منه.

حيث حدّد سوفنسكي Sowinski الحبك بقوله: "يقضى للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القرّاء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات"[2]، فترابط المعلومات وعدم انقطاعها شرط حبك النص عنده.

1- ابن منظور: لسان العرب، مادة (حبك).

2- SowinskiBernhard : Text linguistikverlage, W.kohl hammer, Stygart- Berlin- kolen- Mainz, 1983 .S83

نقلا عن محمد العبد : حبك النص، منظورات من التراث العربي، ص 55.

أما ليفاندوفسكي Levandowski، فيحدد الانسجام على أنه حصيلة تفعيل دلالي يؤدي إلى ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مركب من المفاهيم وما بينها من علاقات على أنها شبكة دلالية مختزنة، لا يتناولها النص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمم الحبك الضروري أو ينشئه"[1].

وقد لخّص (ليفاندوفسكي) زوايا النظر إلى الحبك في لسانيات النص فيما يلي:

- الحبك من حيث هو الشرط اللغوي لفهم السبك فهما معمقا.
- الحبك من حيث هو أحد خصائص الارتباط بين الأشياء والأوضاع وبين مراجعها.
- الحبك من حيث هو أحد خصائص الإطار الاتصالي الاجتماعي .
- الحبك من حيث هو إجراء ومن حيث هو حصيلة التلقي الابتكاري البنّاء. [2]

تدل هذه الزوايا مع التعريف المقدم أن الحبك عبارة عن تنظيم مضمون النص تنظيما دلاليا منطقيا.

أما فاندايك Vandyk ففي أثناء تحليله للنص اعتبر الحبك بأنه: "التماسك الدلالي بين الأبنية النصية الكبرى"[3]، وقد ربط فاندايك بين التماسك الدلالي والبنية العميقة، بينما التماسك الشكلي يخص اللبنية السطحية للنصوص، فالأول عنده عبارة عن مجموعة من لعلاقات الدلالية التي تربط الأجزاء الكبرى للنص في بنيته العميقة.

وقد توصل فاندايك إلى نتيجة مفادها أن تحليل النصوص يعتمد – أساسا– على رصد أوجه الربط والترابط والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى

(أو الأبنية الكبرى التي تجمعها في هيكل تجريبي منتظم) [4].

وقد ربط محمد مفتاح بين عالم النص والواقع في نظرته للحبك، هذا الأخير الذي يقصد به: "ما يكون من علاقات بين عالم النص وعالم الواقع"، وبيّن بعد ذلك أن " بتوفي" و"دانشي" و" فاندايك"

1-lemandowski, Theodor :linguistikswoerterbuchs, Heidelberg, Wiesbader(1994) S. 546 نقلا عن المرجع نفسه، ص 55.

2- ينظرمحمد العبد: حبك النص، منظورات من التراث العربي، ص 55.
3- ينظر سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 220.
4- ينظرالمرجع السابق، ص 131.

لهم مقارباتهم الخاصة التي تهتم جميعا بحبك النص وتماسكه وتسلسله، واعتبر أن أشيع هذه الأعمال هي إنجازات "فانديك" الذي يركز على مظهرين أساسيين في تحليل الخطاب:

المظهر الأول: مراعاة علائق الانسجام (السبك) الخطي الموجود بين الجمل.

المظهر الثاني: البنية الكلية أو مدار الحديث. [1]

واعتبر "دي بوجراند" و"دريسلر" الحبك معيارا يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص والمقصود منها بالاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم[2]، وعالم النص عند "دي بوجراند" هو الموازي الإدراكي في ذهن مستعمل اللغة لهيئة المفاهيم المنشطة فيما يتعلق بالنّص[3]، أي أن الحبك لديه هو الاستمرارية الدلالية للمفاهيم الموجودة في ذهن مستعمل اللغة داخل نص معين،واقترح "دجين سونشا" مفهوما للحبك من خلال نموذج اقترحه سماه (بالنموذج التماسكي النسقي)، حيث افترض فيه أن التماسك يكون في المستوى المعجمي، وفي المستوى النحوي، وفي المستوى الدلالي وفي المستوى السيميائي، كما هو موضح في الشكل التالي: [4]

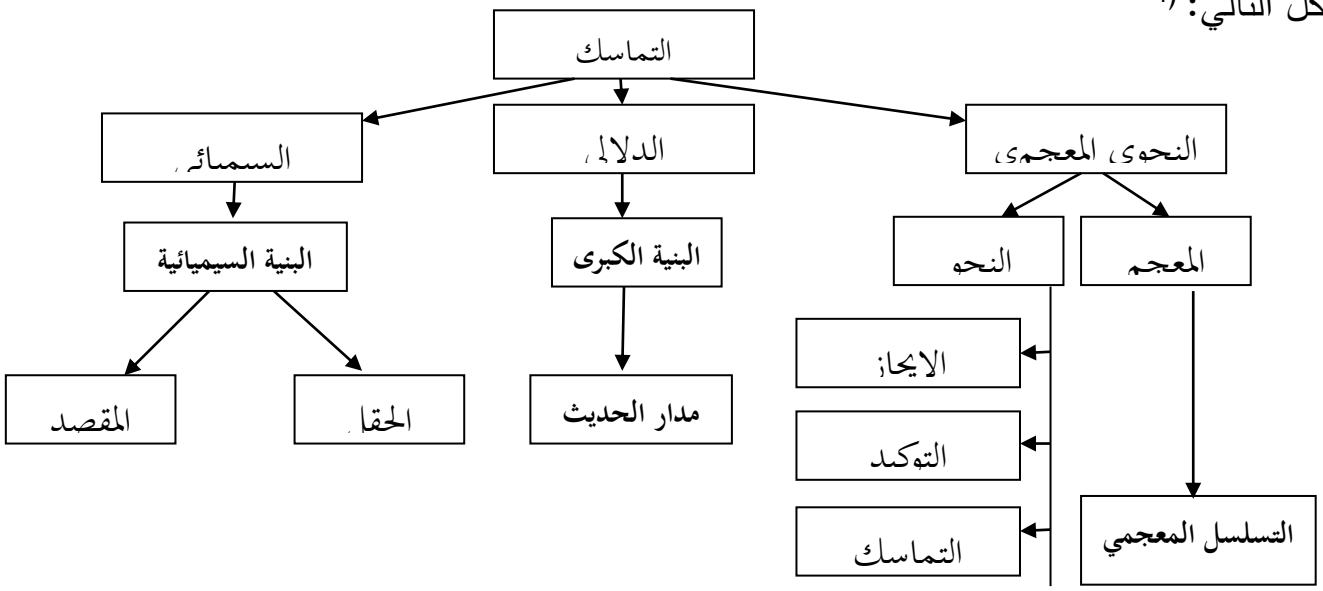

-مخطط للنموذج التماسكي النسقي- لدجين سونشا-

1- ينظرمحمد مفتاح: التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص 35-38.

2- ينظرجميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 141.

3-ينظر روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص 201.

4- محمد مفتاح: التشابه والاختلاف، ص 41.

ومن خلال هذا الشكل، يتضح لنا أن التماسك النحوي المعجمي يقصد به "السبك" أما " الحبك" فيطلق عليه مصطلح " التماسك الدلالي".

وذهب "**صبحي إبراهيم الفقي**" إلى التوحيد بين المصطلحين "Cohésion" و"Cohérence"، حيث رأى أن كليهما يعنيان معا " التماسك النصي" فوجب بذلك التوحيد بينهما واقترح مصطلح " Cohésion" ثم قسمه بعد ذلك إلى التماسك، بما يحقق التماسك الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى[1].

وكتعريف إجرائي نستطيع أن نعتبر "الحبك" هو ذلك الترابط والتماسك الدلالي، والعلاقات الخفية بين المفاهيم الموجودة في نص معين، والتي نكتشفها من خلال معارفنا السابقة، وكذا سياقات النص المختلفة.

ومن خلال سرد أهم المفاهيم المتعلقة بالحبك، من خلال الآراء المختلفة للباحثين، فإن هناك من حصر أهم خصائصه في نقاط معينة، وهي كالتالي:

- يعد " الحبك" شرطا، وقواما لتوفر خاصية "النصية".
- إن النص هو وحدة التبليغ والتبادل، ويكتسب انسجامه وخصائصه من خلال التبادل والتفاعل، ولذلك ينبغي تجاوز إطار الجملة للاهتمام بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية.
- لا تستقيم نصية قطعة نصية ما إلا بحبكها وانسجامها، وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص وبعده التداولي.
- للحبك (الانسجام) علامات خاصة متميزة تحدد النص في بعده الجزئي، وفي بعده الكلي، أما البعد الجزئي أو الميكرو نصي، فالانسجام المحلي فيه علامات أفعال الكلام التي يحتويها النص وتحدده كذا علامات الخطاب المختلفة.

أما البعد الكلي أو الميكرونصي، فالتوجه التداولي العام للنص يحدد انسجام (حبك) النص العام.

1-ينظر صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء،القاهرة،ط1 ،1421ه،2000م،ج1، ص 96.

– يرتبط معيار الانسجام (الحبك) بمجموعة من العلوم الأخرى، مثل الأنثربولوجيا والتاريخ، وعلم النفس الإدراكي،.... وغيرها من العلوم. [1]

ج- الحبك عند العرب.

إن "الحبك" وهو ثاني المقومات النصية التي وقف عندها علماء لسانيات النص كما أن النقاد والبلاغيين العرب القدماء كانت لهم انجازات وإسهامات وإشارات تدل على وعيهم بخصيصة "الحبك" المعنوي في الكلام أو النص.

ومنهم "الجاحظ" الذي استعمل مصطلح "القران" في جمال الانسجام والتأليف بين أجزاء البيت وفيما بين الأبيات نفسها في القصيدة[2]، وفي كتابه (البيان والتبيين) يطالعنا على هذا: "قال بعض الشعراء لصاحبه: أنا أشعر منك، قال: ولم؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"[3]

ونقرأ في هذا المعنى أيضا: "وعاب رؤبة شعر ابنه، قال: ليس لشعره **قران**"[4]

ويفهم من القول: "إني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه" مدى إدراك القدماء لمفهوم الحبك– الترابط المعنوي– بين الآبيات، فضلا عن أنهم يميزون بين الأشعار، تبعا لما فيها من ترابط معنوي[5].

ويعمد ابن قتيبة فيقول: "قال عبد الله بن سالم لرؤبة: متْ يا أبا الجحّاف إذا شئت، فقال رؤبة: وكيف ذلك؟ قال: رأيت اليوم ابنك عقبة ينشد شعرا له أعجبني، قال رؤبة: نعم، ولكن ليس لشعره قران، يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه، وبعض أصحابنا يقول: "قُران" بالضم ولا أرى الصحيح إلا الكسر وترك الهمز على ما بيّنتُ"[6]، ولهذا يمكن أن يعدّ "**القِران**" مصطلحا متداولا بين النقاد يتضمن

1- ينظرخولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، حيدرة ، الجزائر، (د.ط)، 2000م، ص 168-171.
2- ينظرميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل ، ط2، 1981، ص 141.
3- ينظرأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ص 288.
4-المصدر نفسه، ج1، ص 68.
5- محمد العبد: حبك النص، منظورات من التراث العربي، بحث منشور في " فصول" (مجلة)، تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب، ع 59، ربيع 2002م، ص 29.
6-ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء ،طبعة محققة ومفهرسة ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط2، 1969، ج1، ص 34.

الدلالة على مفهوم الحبك، أو الترابط المعنوي في ذلك الوقت[1]، يقع في سياق إدراكه لأهمية الترابط بين أبيات القصيدة، إذ لا يمكن أن تتصور المجاورة الحقيقية بين المنطوقات من غير أن تتحقق بينها علاقة دلالية ما[2].

وفي المنحى نفسه يمكن إدراج قول "**ابن طباطبا**" يحدد فيه ما ينبغي للشاعر، إذ يقول: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه[3].

ويقول أيضا: "ويتفقّد كل مصراع، هل يشاكل ما قبله، فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، فلا يتنبّه على ذلك، إلا من دقّ نظره ولطف فهمه"[4]، ويفهم من إشارات "ابن طباطبا" إلى تنسيق الأبيات، وحسن تجاورها، وانتظام معانيها، واتصال الكلام فيها والمشاركة بين أجزائها، يفهم منها إدراكه لما سمّاه علماء النص المحدثون " مبدأ الاستمرارية المعنوية" التي توفر للنص صفة التماسك الدلالي بين أجزائه لتجعل منه كلا متحداً[5].

ونلمس في موضع آخر إشارة "ابن طباطبا" إلى ضرورة مراعاة الشاعر لقضية وصل الكلام بعضه ببعض صلة لطيفة، لا تشعر بانفصال المعنى عما قبله، فيقول: "يحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن المديح إلى الشكوى،... بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله"[6]، ويؤدي بنا هذا الكلام إلى أن القصيدة تتألف من معاني متنوعة تحتاج إلى "صلات لطيفة" تجمعها وتجعل منها كلاما واحدا أو قصيدة مترابطة، تسلسل فيها المعاني على نحو منتظم.

1-ينظر ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص 141.
2- ينظرابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص 34.
3- محمد العبد: حبك النص، ص 60.
4- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت 322هـ):عيارالشعر،تحقيق وتعليق: د. طه الحاجزي، ود. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية بالقاهرة، 1902م، ص 124.
5- ينظر المرجع نفسه، ص 124.
6- ابن طباطبا: عيار الشعر، ص 2.

كما تتجلى قوة المعنى عنده في أن تلك الأشعار لو نثرت لم تبطل جودة معانيها، فيقول في هذا المعنى: "فمن الأشعار محكمة متقنة... إذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها"[1].

وفي السياق نفسه يتضمن وصف الحاتمي (388هـ) للكلام بكونه "ممزوجا" إدراكه لمبدأ توافر الترابط المعنوي بين أجزاء القصيدة/ النص، فيقول: "من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه،أن يكون كلامه ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم متصلا به، غير مفصول منه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض"[2].

وأورد "أبو هلال العسكري" ما يوحي بالترابط المعنوي بين أجزاء الكلام منها قوله فيما يوجب اللّئام الكلام: "أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوله يكشف قناع آخره"[3]، "فإنباء موارد الكلام عن مصادره وكشف أوله قناع آخره مظاهر دالة على توفر خاصية الحبك بين أجزائه"[4]، وفي الشأن نفسه يقول أبو هلال: " ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ومقرونة بلفقها"[5]، وقد رأى بعض الباحثين في إشارة أبي هلال إلى اشتباه أول الكلام بآخره ومطابقة هواديه لأعجازه ما يجمعها بمبدأ انتظام المعاني واتصال الكلام عند ابن طباطبا. [6]

ويمكن تمثل الدعوة إلى تلاحم الأجزاء فيما قالوه في التناسب بين البيت وسابقه ولاحقه، ليكون ثمة رابط يجمع بين الأبيات أو بين الجمل، وأن يحسن الشاعر الانتقال من معنى إلى معنى، فلا تشعر النفس بطفرة الانتقال، وأن يتناسب مفتتح الكلام مع الغرض وأن يكون الختام ملائما لهن ولا يقتصر حسن الانتقال من معنى إلى معنى على الشعر فقط، بل: "هو ما ينبغي لكل متكلم من شاعر

1- المصدر نفسه، ص 7.
2- أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي: حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: د.جعفر الكتاني، دار الرشيد، سلسلة كتب التراث (82)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1979م، ج1، ص 215.
3- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، د ت، ص 141.
4- محمد العبد، حبك النص، ص 61.
5- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 142.
6- محمد العبد: حبك النص، ص 60.

أو خطيب إذا كان قد أتى بما يصلح من الافتتاحات الحسنة، فلا بد له من مراعاة التخلص الحسن... وعلى قدر براعة الشاعر والخطيب والمصنف يكون حسن التخلص إلى المقصود"[1].

ويمكن القول إن تعبير "المؤاخاة بين المعاني" يعدّ من مظاهر الحبك والترابط المعنوي بين أجزاء الكلام وفي ذلك يقول ابن الأثير: " وأما المؤاخاة بين المعاني، فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لا مع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف، وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة"[2].

وعلى أية حال،يلاحظ أن مفاهيم القران، والتنسيق، وحسن التجاور وانتظام المعاني واتصال الكلام، والمشاكلة بين أجزاء الكلام، والكلام الممزوج والإلتئام والارتباط والمؤاخاة بين المعاني وغيرها من المفاهيم التي مرّت في الأقوال السابقة، لم تكن وليدة المصادفة، وإنما وقف عليها القدماء في محاولتهم تحديد شروط القول البليغ، وقد قدّمت تلك المفاهيم من خلال استعمال لغوي حقيقي، يتمثل في نماذج أدبية شعرية غالبا، ونثرية أحيانا وإن لم يتجاوزا في مجال التحليل والتمثيل للبيتين من الشعر، أو الفقرتين من النثر، ومع ذلك يعبّر ما عرضوه، وما قدموه في هذا الشأن عن صلة قوية مفهوم الحبك الدلالي في نظرية علم النص المعاصرة.

د- الحبك عند الغرب:

إن الحديث عن آليات الحبك يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ وجهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلاليا، وذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص متماسك الوحدات، فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على حبك النصوص وترابطها، خصوصا إذ كان السياق الذي جاء فيه هذا النص بارزا ومعلوما لدى هذا المتلقي.

1- يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي(ت 745هـ): الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ/1995م)، ص 483.

2- ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1358هـ/1939م، ج2، ص 292.

وللوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية، لابد من أدوات ومعارف وثقافات، ومن أهم الآراء في تصنيف ظواهر وآليات الحبك آراء"فان دايك" و"**ج. بول براون، و ج. بول**".

1- أبعاد الحبك عند فان دايك:

حاول "فان دايك" في كتابه "Text and context"، النص والسياق" في سنة 1977 أن يقدّم آلية عملية إجرائية، الغاية منها الكشف عن الأبعاد الدلالية التي تتضمنها النصوص، وتتأطّر بمفاهيم ومصطلحات أطلقها "فان دايك" وهي "البنية العليا" و"البنية الكبرى" و"البنية الصغرى"، فضلا عن "التعويض"، وتعدّ هذه المفاهيم وسائل إجرائية يقوم بها محلل النص للوصول إلى دلالته العامة أو الكلية.

يطلق مصطلح "الأبنية العليا" على الأبنية الكلية التي تحدد خواص نمط معين من النصوص[1]، فهي "نوع من المخطط المجرد الذي يحدّد النظام الكلّي لنص ما"[2]، ولا مفر لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص،فعندما نشرع في قراءة رواية مثلا، تصبح المكونات التي نتوقعها خاضعة لطبيعة مفهومنا عن الرواية، مما يجعل الأمر مختلفا عندما نشرع في قراءة قصيدة أو مقالة[3]، أي أن "البنية العليا هي نوع من الهيكل الخارجي الذي يتخذه النص[4]، وبوصفه هيكلا للنص، فإن منتج النص أنه سيحكي أو يكتب قصة، أو قصيدة مثلا، والمتلقي لا يعرف الموضوع الذي يدور حوله النص حتى يفرغ من تلقيه، ولكنّه يدرك طوال الوقت أن النص حكاية أو قصة أو قصيدة مثلا. [5]

وعدّ الباحثون في علم لغة النص أن "البنية العليا" هي إحدى الروابط النصية على المستوى الأعلى، لأنها أداة تنظيمية تحدد النظام الكلي لأجزاء النص، ومع أن هناك أشكالا مختلفة للبنى

1- ينظر. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 221.
2- تون أ. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسين بحيري، دار القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط 2، 2005م، ص 212.
3- ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 254.
4- المرجع نفسه، ص 222.
5- المرجع نفسه، ص 222.

العليا، إلا أنها تساعد القرّاء على توقع المعلومات النصية المرجوة بما يخلق قراءة نصية منظمة ومتماسكة. [1]

ومن الطريف أن " فان دايك" أشار إلى أنه لا يمكن أن يكون لكل نص "بنية عليا" إذ يوجد في نهاية المطاف نصوص لا تتكون إلا من جملة، أو حتى من كلمة واحدة مثل في الأمر: (تعال)[2].

أما اصطلاح "الأبنية الصغرى" فقد أطلق على أبنية المتتاليات والأجزاء الجملية التي يتكون منها النص[3]، وتقوم بين هذه المتتاليات الجملية علاقات لفظية أو دلالية، وما يعنينا في معيار "الحبك" هو العلاقات الدلالية التي تقوم بين المتتاليات الجملية المؤلفة لنص ما، والتي تؤدي إلى انبثاق "البنية الكبرى " للنص، أو " موضوع الخطاب" ولا يكاد يلمس الباحثون فروقا بينهما[4]، وعلى أية حال يمكن أن يقال بصورة تقريبية إنّ "البنية العليا" تتصل بشكل النص، بينما وجد أن هدفه أو موضوعه أي "بنيته الكبرى" تتصل بمضمونه ولا يؤدي هذا إلى الفصل القديم بين الشكل والمضمون لأننا نعمل في إطار التركيب البنيوي الداخلي للنص. [5]

وللوصول إلى هذه "البنية الكبرى" من المتلقي، ثمة قواعد أطلق عليها "فان دايك" "القواعد الكبرى"، يلجأ إليها لاستخلاص "البنية الكبرى" وهي تتمثل في: "الحذف، الاختيار، التعميم والتركيب والبناء"[6]. فالحذف هو اختصار المتتاليات أو أجزاء النص إلى الدرجة القصوى، والاختيار لا يختلف كثيرا عن الحذف، لأنه يعني الانتقاء من عناصر متعددة، عنصرا واحدا، والتعميم يعني به حذف بيانات متعددة، والتعويض عنها بواحدة فحسب[7]، وبناء على هذا فإن التوصل إلى المعنى الشامل للنص –أي بنيته الكبرى– يعتمد على مبدأ اختصار العبارات المكررة.

1- ينظرحسام احمد فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م، ص157.
2- تون أ. فان دايك: علم النص مدخل الاختصاصات، ص 217.
3- ينظر. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 256-257.
4- ينظرمحمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،ص 465.
5- تون أ. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ص 209.
6- ينظرصلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، 256.
7- المرجع السابق، ص 257..

أما فيما يخص فيما يتعلق بمفهوم "**التغريض**" الذي يشير إلى الكلمات الوظيفية الموجودة في النص، والتي تحيل إلى "البنية الكبرى" أو "موضوع الخطاب"[1]، وفي هذا الشأن حاول "فان دايك" وغيره من علماء النص التماس بعض المفاتيح الظاهرة التي تشير إلى "البنية الكبرى" للنص، وذلك مثل: العناوين الرئيسية، والعناوين الفرعية، واسم الكاتب أو بعض التراكيب والعبارات الافتتاحية أو الاستهلاكية [2]، ومن هذا المنطلق يمكن أن يعدّ العنوان مثلا – بما يقدّمه من وظيفة إدراكية مهمة تهيئ المتلقي لبناء تفسير للنص– جزءا من البنية الكبرى[3]، وإن مفهوم التغريض ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النص، تتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأول " تعبيرا ممكنا عن الموضوع" وفقا لقول "براون ويول". [4]

2 ـ مبادئ الحبك عند ج.ب.براون وج. يول:

تطرق الباحثان في كتابهما (تحليل الخطاب) إلى مبادئ وعمليات الانسجام (الحبك)، فيجعلا المتكلم الكاتب والمستمع القارئ في قلب عملية التواصل، وللإشارة فإنهما لا يعتبران الخطاب شيئا معطى، وإنما هو في نظرهما شيء بشيء أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي[5]، أي أن الذي يحكم على حبك النص من عدمه هو **المتلقي**،فيقولان: "إن المتكلمين– الكُتاب– هم الذين يطرحون موضوعات وفرضيات، ويضعون المعلومات التي لديهم بنية معينة... وأن السامع القارئ هو الذي يقوم بعملية التأويل والانسجام"[6].

يتوقف هذا على مبادئ وعملية الانسجام (الحبك) فما هي إذن هذه المبادئ عند "بروان ويول"؟

***مبدأ الفهم المحلي ومبدأ السياق:** وهو أن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما. [7]

1- ينظرمحمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 293
2- تون أ. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 249.
3- المرجع نفسه، ص 88.
4-ينظر محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 293.
5- ينظرمحمد خطابي: المرجع السابق، ص 51.
6- ج .ب. براون و ج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، (د.ط)، 1414هـ/ 1997م، ص ك المقدمة.
7- المرجع نفسه، ص 71.

***مبدأ التشابه:** ويتجلى في أهمية التجربة السابقة في المساهمة في إدراك المتلقي الاطرادات عن طريق التعميم[1]، وهذا لن يحصل إلا بعد التعامل مع خطابات عديدة ومتنوعة ينتهي فيها المتلقي إلى اكتشاف خصائص كل نوع الخطابات التي مرت على محك تجربته التحليلية.

***مبدأ التغريض أو موضوعه الخطاب وتصوير محتواه:** وهو أن موضوع الخطاب يعتبر إلى حد ما شاملا للعناصر المهمة الموجودة في محتوى الخطاب[2]، وهذا ما يمكن أن نمثله في القرآن الكريم بما يناسب اسم السورة لمحتواها، أو في القصائد الشعرية في علاقة اسم القصيدة لمحتواها.

وبصفة عامة فإن جهود "فان دايك" و"براون ويول" حول "الحبك" أخذا أمرين بعين الاعتبار،الأول هو **السياق** الذي أنتج فيه النص، والأمر الثاني هو أهمية **المتلقي** في التعامل مع النص[3]، وهما أمران لا يمكن الفصل بينهما للوصول إلى حبك نص معين.

لأن السياق دور في تحقيق حبك النص، ولذلك أعتنى به العلماء، قديما وحديثا، دون نسيان دور المتلقي في الحكم على انسجام النص من عدمه، ومن الأدوات الأخرى التي تساعد في الكشف عن حبك النص خصوصا في القرآن الكريم المناسبة التي تعمل على كشف تماسك النص دلاليا.

2- ظواهر الحبك في الفاصلة القرآنية:

أ- التغريض:

1-مفهومه:

إن مفهوم التغريض يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب /النص وأجزائه ،وبين

1- ينظر محمد خطابي: لسانيات النص، ص 57.
2- ينظرج. ب. بروان، ج. يول: تحليل الخطاب ، ص 124.
3- ينظرمحمد خطابي : لسانيات النص ، ص 90.

عنوان الخطاب أو نقطة بدايته ،وبالتالي فإن النص مركزجذاب يؤسسه منطلقه وتحوم حوله بقية أجزائه[1]

ومن هنا يتبين أن التغريض له علاقة وطيدة مع موضوع الخطاب وعنوانه ،ولعله يمكن اعتبار العنوان وسيلة قوية للتغريض .

فمفهوم التغريض ذوعلاقة وثيقة مع عنوان النص ،تتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون الأول"تعبيرا ممكنا عن الموضوع"[2]

إذن فإن قراءة النصوص عنواناتها تشكل الانطلاقة الأولى لقراءة النصوص ،إذا ما ذهبنا إلى أنّ"دلالية العمل هي نتاج تأويل عنوانه"[3]

فللعنوان "قيمة إشارية تفيد في وصف النص ذاته وغني عن البيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية الطريفة التي ما زالت في حاجة إلى دراسات علمية تحليلية عميقة"[4]

ـعلاقة عنوان السورة بالفاصلة القرآنية:

أ- المفارقة بين العنوان والفاصلة:

إنّ تواصلنا مع بعض السور القرآنية يحيلنا إلى تلك الوشائج الدلالية التي تربط هذه السورة بغيرها،ثم هذا العنوان الذي وسمت به وموضوع السورة،وسؤالنا هنا ما طبيعة العلاقة القائمة بين عناوين السور والفواصل في القران الكريم؟ وإلى أي مدى يتحقق الحبك والانسجام بين العنوان والفاصلة ؟

-ينظر،محمد خطابي:لسانيات النص،ص1.59
-المرجع السابق:ص2932
-ينظرفتحي رزق اله الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري،ص3.124
-ينظرمحمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة ،ط1989 1م،ص4.48

للإجابة عن الإشكال المطروح استوقفتنا سورة "**الكهف**" ،إذ تعد واحدة من السور التي ارتبطت بحقل المكان،فهذا العنوان مكوّن نصي يحيل على دلالة الاتساع ،والامتداد،والخفاء ،جمعه كهوف،وهو "كالبيت المنقور في الجبل"[1]،من سماته الاتساع كما قال الزبيدي :"فإذا صغُر فغار"[2]، وقد وظف مجازا بمعنى الملجأ:"يقال :هو كهف قومه ،أي ملجؤهم ،وأولئك معاقلهم وكهوفهم ،وإليه يأوي ملهوفهم...."[3]، وجاء عن ابن دريد قولهم :"تكهّفت البئر،وتلجفت ،وتلقّفت: إذا أكل الماء أسفلها فسمعت للماء في أسفلها اضطرابا"[4]

وهذه الدلالة الحسية الأخيرة التي وصف فيها الماء بالاضطراب إنما تنسحب على فتية الكهف الذين عايشوا اضطرابا نفسيا جزاء ما حدث لهم من طغيان في مدينتهم ،والفرار إلى الكهف هو الخلاص من هذه الحالة الشعورية التي يعيشونها ،حفاظا على دينهم الجديد....

لم يكن العنوان في هذه السورة مصاحبا نصيّا فحسب ،بل كان محورا رئيسا من محاوربناء السورة ،وهذا لأنه يتقاطع في دلالته مع بعض الفواصل الواردة في السورة،حيث دلت بعضها على المكان ،ودلت بعضها على الملجأ.

ولمعرفة وتحديد وظيفة العنوان ،كان حري بنا الوقوف عند وظائف (شارل غريفيل)الذي استعاد اقتراحات (ليوهوك) إذ قام بصياغة ثلاث وظائف للعنوان من خلال تعريفه الآتي:"هو مجموعة من الدلائل اللغوية(...) التي يمكن أن توضع على رأس نص لأجل تعيينه ،وتحديد مضمونه العام،وأيضا لأجل جذب الجمهور المستهدف"[5] لقد تحققت هذه الوظائف في هذه العتبة العنوانية،ذلك لأنّ كلمة الكهف جاءت لتعيين مضمون هذه السورة من خلال تمييزها عن سور أخرى.

-ينظرالرازي ،محمد بن أبي بكر:مختار الصحاح ،ترتيب محمود خاطربك،دار الفكر،(دط)،1981م،ص1.581

-الزبيدي محمد مرتضى:تاج العروس ،ج4،ص2.189

-المصدر نفسه،ج24،ص3.189

-المصدر نفسه،ج24،ص4.190

-نبيل منصر :الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ،دار توبقال ،الدار البيضاء،ط2007 1م،ص5.45

وكذا حدّد هذا العنوان موضوع السورة وهو الحديث عن فكرة اللجوء إلى الله من خلال العزلة في هذا المكان أما جذب الجمهور فقد تحققت هذه الوظيفة من خلال تواصل هذا العنوان مع الفواصل القرآنية الدالة عليه وهي"مرفقا ،رشدا،هاديا،مسجدا ،ملتحدا،منقلبا،موئلا" وسيتم توضيحها في المخطط الآتي:

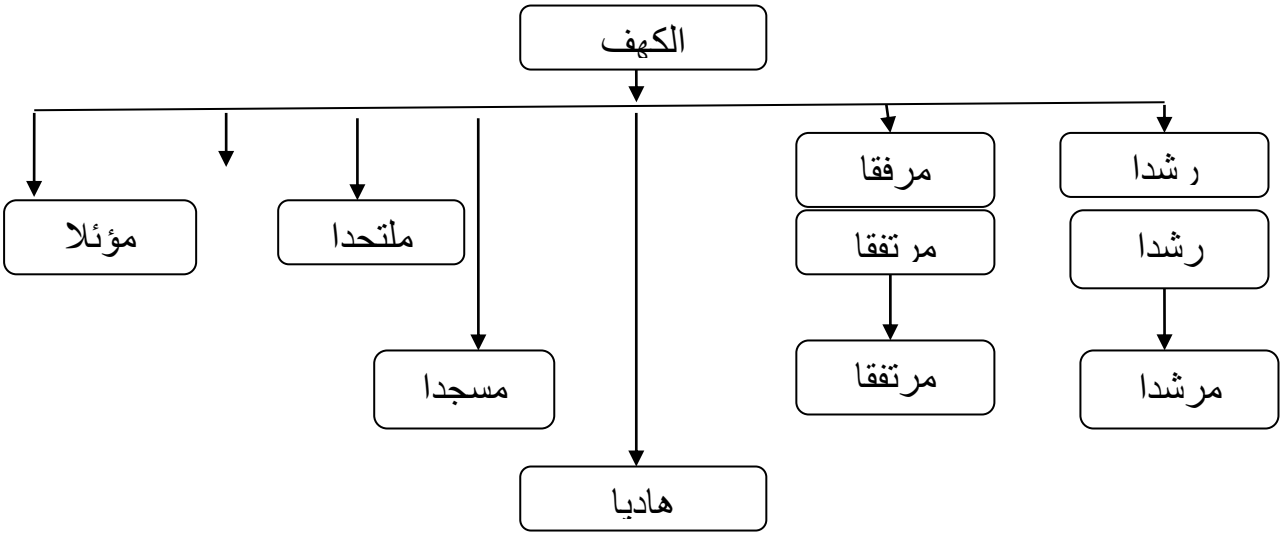

مخطط:علاقة العنوان بفواصل سورة الكهف

إن قراءة عمودية لهذا المخطط تستوقفنا عند نمطين من الفاصلة القرآنية، نمط يقوم على مبدأ التشابه على مستوى الدوال مثل:(رشدا، رشدا،مرشدا) و(مرفقا،مرتفقا،مرتفقا) ونمط ثان يتميز بالاختلاف الشكلي مثل:(منقلبا،موئلا، ملتحدا، مسجدا، هاديا) والسؤال المطروح ما علاقة هذه الثنائية بالعنوان (الكهف).

يبدو من خلال هذه المقاطع (الفاصلة) أن ثمة علاقة دلالية بينها وبين العنوان ،ذلك أن مفاهيم هذه الفواصل القرآنية تحيلنا على الستر،واللجوء ،والأمان،في قوله تعالى:" فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا"-الكهف10- جاءت لفظة (رشدا) بفتح الراء والشين للدلالة على معنى الاهتداء إلى الدّين الحق والثبات عليه والسداد في العمل[1]،وقد جاءت دلالة هذه الكلمة بالفتحتين

1-أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف:تفسير البحر المحيط،تح،عادل أحمد عبدالموجود ،بمشاركة زكريا عبد المجيد النوتي،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،ط2010م3،ج7،ص144.

أخص من الرُشد بالضمة والسكون وذلك:"لأنّ الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية ورشد يقال في الأمور الأخروية لا غير"[1]،فقد سبقت هذه الفاصلة بالفعل (هيّأ) :"وأوصل التهيئة إحداث الهيئة وهي الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة أو معقولة"[2]وارتباط الهيئة بالرشد يمكن أن يكون

من وجهتين،زاوية محسوسة وهي تهيئة الكهف ،فيكون(الرشد) رديفا له،أو معقولة ترتبط بالطريق الموصلة إلى الدين الحق والاهتداء إليه،وهو طلب الفتية عند فرارهم من دين الغي إلى دين الحق.

وهو السياق ذاته للفظة (مرشدا) ،فهي تقترب من دلالة الهداية لأن المعنى (فلن تجد يا محمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها ،لأن التوفيق والخذلان بيد الله،يوفق من يشاء من عباده ويخذل من أراد..)[3]

ففي كلا الحالتين تحمل كلمة(رشدا) مساحة دلالية من اللجوء ،وتجسده لفظة أخرى وهي (مِرفَقًا)

التي جاءت فاصلة في قوله تعالى:" وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً "–الكهف16– "المرفق" مصدر كالرفق،واستعمل حسيا في الجارحة ،ومعنويا في الأمر الذي يرتفق به وينتفع [4]، اشتقت من(الرّفق) بكسر الراء بمعنى اللطف وهو ضد العنف ،ومنه ومنه الحديث:" ما كان الرفق في الشيء إلا زانه "[5]،وسياق هذه اللفظة مرتبط ب(صفة لما اتفق به الفتية في أمر عيشهم من رفق الله ولطفه وتيسيره)[6]،أي ما يرتفقون وينتفعون به، وهذا فيه من دلالة اللجوء إلى المولى عز وجل للخروج من أمرهم الصعب.

أما الفاصلة القرآنية (مسجدا) ،فقد جاءت بمعنى "موضع السجود نفسه"[7] ،للدلالة على المكان والكهف عند هؤلاء الفتية مرادف للمسجد،"لأن هذا الأخير هو ملجأ كل محتاج للرحمة الإلهية

-الألوسي أبو الفضل شهاب الدين:روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ج15،ص1.202
-المصدر السابق ،ج15،ص2.202
-ينظر:الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير:جامع البيان في تأويل أي القران ،دار الفكر لبنان،(دط)،1984م،ج15،ص3.200
-أبو حيان :البحر المحيط ،ج7،ص4.144
- الزبيدي محمد مرتضى:تاج العروس ،ج25،ص198،5
-جميلة زيان:مفهوم الأمر في القران الكريم،دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي،دار ابن حزم،لبنان، ط2010م1،ج1،ص6.275
-الزبيدي:تاج العروس،ج8،ص7.100

والمغفرة،فالمسجد يجيء بدلالتين بحسب حركة الجيم فالمسجد"البيت التي يسجد فيه، وبالفتح موضع الجبهة"[1]،فالمكان مكان صلاة ولجوء للمولى عزوجل وهذا التصور المكاني هو مصدر قصة أهل الكهف، التي تقوم على محورين اثنين:محور الفضاء المكاني كمنطلق اللجوء ،ثم محور الفضاء الشعوري كمنطلق اللجوء أيضا ،والاختلاف بينهما أن المحور الأول مادي محسوس والمحور الثاني معنوي غير محسوس ،ولأن(الكهف) باعتباره مكانا يمثل الظاهر ،فإنه من حيث وظيفته الدالة على التخفي والاستتار ،واللجوء يمثل الباطن أيضا.

هكذا تترابط الحلقات الدلالية لهذه الفواصل مع العنوان (الكهف) وكذا يقف القارئ مع بقية الفواصل (ملتحدا) في قوله تعالى:" وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً"-الكهف 27-فقد جاء بمعنى:"الملتجأ الذي تميل إليه وتعدل"[2]،قال ابن مجاهد الملتحد هو :الملجأ"[3]، وجاء ت الفاصلة (منقلبا) بمعنى "مرجعا أي منقلب الاخرة لبقائها خير من منقلب الدنيا لزوالها"[4] ،فسّر الطبري قوله الى:" وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً (36)بقوله

"لأجدّن خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردًّا "[5] ،ولا نبتعد عن دلالة المرجع في الفاصلة القرآنية (موئلا) فسّر الفراء (موئلا) بمعنى (منجى) أي موضعا للنجاة ،يقول الأعشى:

وقد أخالس ربّ الدار غفلته***وقد يحاذر مني ثمّ ما يئلُ [6]

وقال ابن قتيبة بأنه الملجأ ،ولكنه الملجأ السيئ لأن لا خلاص لهؤلاء الكفرة،وعليه فقد دلت الفواصل بطريق مباشر أو غي ر مباشر على الملجأ والمرفق ،ومكان اللجوء ما يتناسب ودلالة المكان في العنوان"الكهف"

-المصدر نفسه،ج8،ص1.100

-أبو حيان :البحر المحيط،ج6،ص2.113

-الطبري :جامع البيان،ج15،ص3.247

-ابو حيان :البحر المحيط، ج6،ص120. 4

-الطبري:جامع البيان ،ج6،ص5.120

-الاعشى الاكبر:الديوان،شرح عبد الرحمان المصطاوي ،دار المعرفة ،بيروت ،ط2005م1،ص149. 6

ب-**المطابقة بين العنوان والفاصلة:**

المقصود بهذا أن يكون عنوان السورة هو نفسه الفواصل القرآنية لها ،وهذا النمط لم نجده إلا في سورة "الناس"حيث نجد العنوان (الناس) يتكرر خمس مرات في فواصل السورة ،وقد عدلت الفاصلة عن لفظة الناس المكررة في الآيات الثلاث الأولى بلفظة "الخنّاس" فاصلة،ثم عاد السياق القرآني إلى الكلمة المركزية السابقة في الآيتين الأخيرتين بينما نجد بقية السور يقل عدد تكرارات العناوين فيها ويمكن تمثيل سورة الناس بالمخطط التالي:

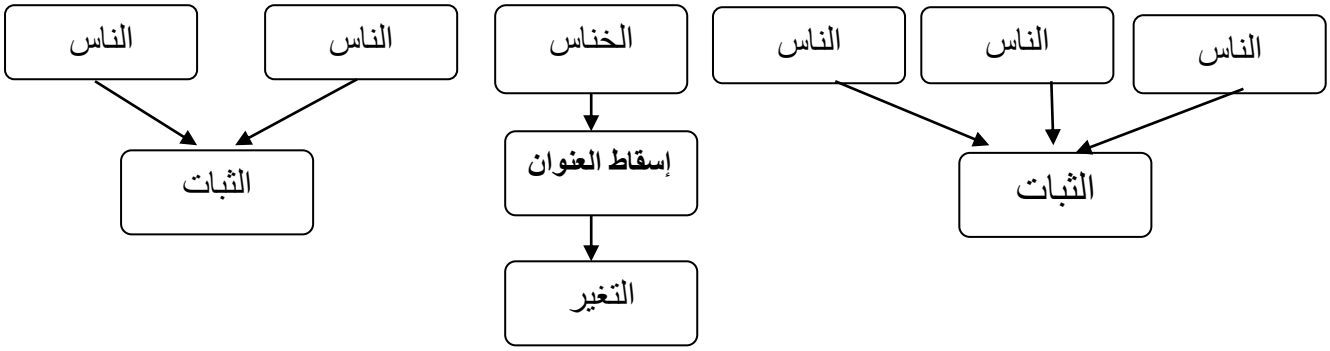

مخطط :المطابقة بين العنوان والفاصلة القرآنية

إنّ سورة الناس من خلال المخطط تسير وفق محورين مختلفين،محور الثبات وتمثله الوحدة العنوانية (الناس) وهو المتعلق بمضمون السورة التي ترفع الإنسان إلى مكانة عالية،وتنزل الشيطان (الخنّاس) إلى الدركات السفلى ،وعليه جاءت كلمة (الخناس) بديلا معجميا متحركا ،وهو مركز السورة :" **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** (1) **مَلِكِ النَّاسِ** (2) **إِلَهِ النَّاسِ** (3) **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** (4) **الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** (5) **مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** (6)" نلاحظ أن التماسك النصي قد تحقق في هذه السورة من خلال التكرار ،وهو الإعادة المباشرة للكلمات وهذا العنصر (الناس) هو المساعد على استمرار فكرة الترابط بين عناصرر النص ،فالمعنى فيها قار غير متحول ،وهذا ما يجعل النص خاضعا لمقياس أساسي وهو الخروج من حالة الثبات إلى حالة التحول ثم إلى حالة الثبات.

فالتكرار له تأثيرات بنائية ودلالية على النص ،فهناك دائما موضوعا محوريا يتم توسيعه عناصر متشابهة للحفاظ على الخيط الرابط بينها ،وهذا ما لمسناه في سورة الناس ،وهنا يتحقق الحبك بين العنوان والفاصلة القرآنية، ولا يكون في ذلك العنوان عتبة زائدة "وإنما هو عتبة أولى من عتبات النص،وعنصر مهم في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية ،وايضاح الخارج قصد إضاءة الداخل"[1]

ومن السور التي تكرر فيها العنوان بنسبة أقل نوضحها في الجدول التالي:

السورة	تكرار العنوان	السورة	تكرار العنوان	السورة	تكرار العنوان
القارعة	03	الفيل	01	الكافرون	01
العلق	01	التكاثر	01	قريش	01
الضحى	01	البينة	02	الماعون	01
البلد	02	القدر	02	الكوثر	01
الغاشية	01	الفجر	01	الطارق	02
الأعلى	01	المعارج	01	الواقعة	01
المطففين	01	القيامة	01	الحاقة	03
البروج	01	المدثر	01	الرحمان	01

جدول تكرارية العناوين في بعض السور القرآنية

تسع وعشرون سورة في القران الكريم اختتمت بفواصل هي في أصلها عناوين لهذه السور ،وهذا خلق حبكا وانسجاما بين الفاتحة العنوانية وبين أواخر وخواتيم الايات من جهة الإيقاع المرافق لهما،بحيث نجد الإيقاع يتطابق بينهما وتمثل لذلك بقوله تعالى:" **الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا**

[1]-بسام قطوس : سيمياء العنوان ،وزارة الثقافة ،عمان ،الأردن ،ط2001م1،ص53..1

أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)" فذا التكرار العنواني ليس إلا تكرارا للبنية الشكلية والبنية المضمونية لكلمة (القارعة) بشكل متساو ،حيث ظهرت في ثلاث مرات في حركة قوية يظهر مدا في قوة هذه القارعة وجبروتها ،وهو السياق نفسه الذي نجده في سورة الحاقة وهذا في قوله تعالى:" الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)"، وفي سورة القدر أيضا يحقق التكرار مرتين عندما يقول عزوجل:" إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2)" حيث تكررت هذه الوحدة العنوانية مرتين ويحصل هذا مع سوري البينة ،والبلد ،وكذا سورة الطارق ،إلى غير ذلك من السور التي تحقق هذا الترابط الدلالي وهذا الربط بين الفاصلة القرآنية وعنوان السورة.

ب- السياق:

1- مفهومـــه:

يعتبر السياق أداة معرفية، أو ظاهرة من ظواهر حبك النص، حققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص، وهذه الأداة مرتبطة ارتباطا قويا بالنص، وهو "إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[1]، حيث أنه بالسياق يفهم معنى الكلمة أو الجملة، وذلك يوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها حتى تتضح الدلالة المرادة.

وكثيرا ما يرد الشبه بين الجمل والعبارات مع بعض الفوارق التي تميز بينها، ولا نستطيع تفسير تلك الفوارق إلا بالرجوع إلى السياق اللغوي، فاختلاف سياقات الألفاظ يجرنا حتما إلى معنى مخالف للسياق الأول.

والسياق مصطلح شاع استعماله بمعان مختلفة، ولا بد من التشبيه ترادفا بين المقام والحال، وبذلك استعمل السياق أيضا للدلالة طورا على السياق النصي[2]، أي الكلمات أو العبارات التي

1- عبد الرحمان بودرع: أثر السياق في فهم النص القرآني، الإحياء،عدد25، 1428ه / يوليوز 2007م، ص 73.
2- ينظلرمحمد الولي: السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة ، الإحياء،العدد25، 1428هـ/ يوليوز 2007م، ص 63.

تجاور الكلمة أو عبارة ما داخل النص، وهذه التجاورات نبحث من طريقها عن تأويل كلمة أو عبارة أو جملة أو نص، نلتمس في ذلك مراد مؤلف النص.

كما يستعمل – السياق– للدلالة على الظروف والملابسات الخارجية التي تستعمل لتأويل لفظة أو عبارة أو نص ما، فهو إما للدلالة على السياق النصي، وإما على السياق الخارجي أو المقام. [1]

ولأهميته فقد كان اهتمام العلماء قديما وحديثا، استعانوا به في فهم النصوص وتحليلها، بل أكثر من ذلك فإنه لم يكن محل اهتمام الباحثين في مجال لسانيات النص في الوقت الحالي لوحدهم، بل كان محل اهتمام علماء اللسانيات بصفة عامة ولم يغفلوا عن دراسته.

وقد أدرك علماؤنا القدامى أهمية السياق في تحديد المعنى وَاعِين بدوره الكبير في توجيه دلالات العلامات اللغوية، خصوصا في النص القرآني الكريم.

ولقد اعترف علماء الأمة الإسلامية من علماء الأصول والتفسير وغيرهم، بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي، متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن عند الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة. [2]

ويعتبر أول من لفت انتباهه فكرة السياق من علمائنا هو الإمام الشافعي، حيث تنبّه إلى دوره في دراسة المعنى، وذلك في كتابه (الرسالة) ورأى أن بالسياق تستخرج دلالات ألفاظ القرآن الكريم وتفصيل مجملها وتخصيص عامّها، ولقد أحسن الشافعي استثمار هذه الأداة ولاسيما في التفريق بين نمطين نصيين هامين تعبر عنهما الثنائية الدلالية: العام والخاص، وهي من الثنائيات التي تعتبر معرفتها من أجل العلوم[3]، ولذلك كان اهتمام الشافعي بها كبري لفهم كثير من الأحكام الشرعية الواردة في النص القرآني.

1- ينظر المرجع السابق، ص 63.

2- ينظر إبراهيم أصبان: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة ، الإحياء ،عدد25،جمادى الثانية 1428هـ/يوليوز 2007م، ص 54.

3-ينظر المرجع نفسه،ص55.

ولقد أخذ بالمنهج السياقي في تفسير كثير من المفسرين في مقدمتهم إمام المفسرين "ابن جرير الطبري" فكثيرا ما يحتكم إلى السياق، ومنهم أيضا "فخر الدين الرازي"، وكذلك "الزمخشري" في كتابه (تفسير الكشاف)، ومن المحدثين "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسير التحرير والتنوير[1]، فقد كان السياق أحد الأدوات المعرفية التي استعانوا بها في فهم النص القرآني وتفسيره.

ولذلك عدّ العلماء مراعاة السياق في فهم القرآن الكريم المنهج الأمثل في التفسير وضابطا من الضوابط المهمة في حسن الفهم والتأويل، وتجلت هذه القاعدة المنهجية أي المنهج السياقي في تفسير القرآن بالقرآن. [2]

ولأهميته في فهم المعنى وكشفه إذا حدث لبس أو غموض، فقد أصبح من اهتمام كبار المدارس اللغوية على المستوى العالمي، وصار نظرية للدراسة الدلالية، ومن بين المدارس التي اهتمت به مدرسة (فيرث Firth) – اللغوي الإنجليزي– الذي وضع نظرية سماها "نظرية السياق" ولهذا يصرح "فيرث" بقوله: "أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة... فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها..."[3]، معنى هذا أن علاقة الكلمة مع الكلمات في النص هي من يحدد معناها.

ومن هنا فإن فكرة السياق عندما تناولها الغربيون في القرن العشرين لم تكن جديدة تماما.

ولكن ولعل من الإنصاف القول بأنهم –الغربيين– قد صاغوا فكرة السياق في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى... ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير[4].

1-ينظر عبد الرحمان بودرع: أثر السياق في فهم النص القرآني ، الإحياء ، 25، ص 75.
2-ينظر المرجع نفسه،ص75.
3- أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة، ط5، 1998، ص 68-69.
4- ينظر ردة الله الطلحي: دلالة السياق –رسالة دكتوراه في اللغة العربية- كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، 1423هـ، 2002م، ص 165.

2- أنواعه في القرآن الكريم:

للسياق القرآني عدة أنواع فهناك سياق **السورة** الذي يشكل وحدة عضوية متكاملة متتامة وسياق **المقطع** الذي يشكل محورا رئيسيا من محاور سياق السورة، وسياق **الآية** الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بسياق المقطع، حيث يشكل سياق الآية لبنة في بناء سياق المقطع، وتتحد مباني الآيات حول معاني مقطعها، ويشكل المقطع عضوا أساسيا في جسم السورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السورة الواحدة، ألا وهو موضوعها الذي سبقت المعاني والموضوعات لأجله[1]، معنى هذا أن هناك ثلاث أنواع من السياقات القرآنية: سياق الآية، سياق المقطع وسياق السورة، ويمكن توضيح ذلك على النحو ا لتالي:

أ- سياق الآية:

في هذا النوع يتم النظر والبحث في معنى الآية، فإذا اختلف في معنى الآية، فإننا ننظر في سياقها، لأنه يحدث هناك لفظ مشترك لا يتضح معناه إلا من سياق الآية، ومن أمثلة ذلك لفظ "الإحصان" الذي يطلق على الحرية والعفاف والتزويج، لكن تحديد المعنى المقصود في آية معينة يكون حسب سياقها، فمثلا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ﴾ [النساء:25].

قال "ابن كثير" في تفسير هذه الآية[2] والأظهر والله أعلم:- أنّ المراد بالإحصان هاهنا التزويج، لأنّ سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء:25].

حيث أن المعنى لفظ " الإحصان" يحدد من خلال سياق الآية.

1- ينظرالمثنى عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1429هـ/2008م، ص 77.

2- ينظر محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار الجيل، القاهرة، ط1، 2002، مج2، ص..66

ب- سياق النص (المقطع):

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص. [1]

مثال ذلك ذهاب "الشنقيطي"[2]- رحمه الله- إلى عدم صحة من قال بأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:33] فإنّ قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾ [الأحزاب: 28]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: 33]، ثم قال بعده: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:34]، فقد استند الشنقيطي إلى سياق النص لأنه كان في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن خلال النظر إلى هذا المقطع كونه متماسكا فيما بينه اتضحت الدلالة وتبين وجه الصواب من أقوال العلماء في هذه المسألة.

ج- سياق السورة:

حيث أن العلماء نظروا في سياق السور، وبحثوا عن الغرض العام والمحور الرئيسي الذي تدور حوله كل سورة، فإذا كانت مثلا السورة مكية فإن الأمثلة التي تساق في هذه السورة آيات تثبت وحدانية الله تعالى وأنه المستحق للعبادة وحده دون ما سواه والحذر من الشرك وبيان عواقبه.

لكن إذا نظرنا إلى السور القرآنية الكريمة، فإننا نجدها قد نزلت مفرقة، فالنص القرآني نزل منجما كما هو معروف، ولم ينزل جملة واحدة، بل اختلف نزوله من مكان لآخر، فهناك المكي والمدني، وكذا اختلاف نزوله زمانيا، بل إن من السور إن لم تكن أكثرها نزلت متقطعة زمانا ومختلفة

1- ينظرفهد الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام ، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ/ 2005م، ص 43.

2- محمد أمين الشنقيطي: أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1427هـ/ 2006، م، ج6، ص 576-577.

مكانا، ولمعرفتنا للكيفية التي حبكت بها السورة، كان لابد علينا من وضع إطلالة عامة حول سورة (مريم) أنموذجا لإبراز دور الفاصلة في السياق القرآني.

4-علاقة الفاصلة بالسياق القرآني (سورة مريم أنموذجا):

قبل التطرق لتفاصيل هذه العلاقة لزاما علينا التعرف على سورة *مريم* التي اختيرت أنموذجا من خلال معرفة سبب تسميتها وموضوعها العام ومناسبة نزولها لربط ذلك بالسياق العام للسورة وتحديد علاقته بالفاصلة القرآنية.

أ-تسمية السورة وترتيبها ومناسبتها لما قبلها:

ورد اسمها في المصاحف وكتب التفاسير بـ : سورة **مريم** .

قال الصابوني:وقد سميت بهذا الاسم لأنها بسطت فيها قصة مريم وابنها، فجاء هذا الاسم تخليدا لتلك المعجزة الباهرة في خلق إنسان بلا أب، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد المسيح عليه السلام، وسماها ابن عباس رضي الله عنه بسورة (كهيعص) نسبة إلى فاتحتها التي تبدأ بهذه الحروف. [1]

ب-نزولها وترتيبها:

تعد السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول، فقد نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه، وأما ترتيبها في المصحف فهي السورة التاسعة عشر، نزلت بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة، وقبل الإسراء بمعنى ما بين السنة السابعة والحادية عشر للبعثة، وهي سورة مكية على رأي جمهور العلماء، إلا آيتين منها، آية السجدة قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ [مريم:58]

1- ينظر الشوكاني محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة،ط2، 1964م، ج 3، ص 320.

فقد ذهب مقاتل إلى أنها مدنية ، وآية ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾ [مريم:71]، ذكر السيوطي أنها مدنية. [1]

ج-وجه مناسبتها لما قبلها:

قال أبو حيان في البحر المحيط: "إنه سبحانه وتعالى ضمّن سورة الكهف التي قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، وذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحي عليه السلام من شيخ عجوز عاقر ،وولادة عيسى عليه السلام من غير أب، فلما اجتمعتا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك.

د-موضوعات السورة ومقاصدها:

المتأمل في سياق السورة يجدها تدور حول محور التوحيد وإقراره، والرد على المشركين ودعواهم، وإن كان تعدد في السورة والأسلوب الذي عرض الله به هذا الهدف من قصة زكريا ويحي إلى قصة مريم ومولد عيسى عليه السلام، ثم تغير في نمط الفاصلة ثم أطراف من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه... وهكذا يقول **سيد قطب** في بيان ذلك:

"يدور سياق هذه السورة على محور **التوحيد** ونفي الولد والشريك ويُلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد... هذا هو الموضوع الأساسي الذي تعالجه السورة كالشأن في السور المكية غالبا والقصص هو مادة السورة ، فهي تبدأ **بقصة زكريا**... ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة ويستهدف إثبات الوحدانية والبعث ونفي الولد والشريك وبيان منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين، ومن ثم **بعض مشاهد القيامة**، وبعض الجدل مع المنكرين للبعث... وللسورة كلها جو خاص يظلها ويشبع فيها ويتماشى مع موضوعاتها"[2].

ويمكن القول أن السورة اشتملت على الموضوعات والمحاور التالية:

- ✓ **كرامة الله لزكريا عليه السلام:** بما رزقه من ولد على الكبر وعقر،في قوله تعالى:

1- ينظر محمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1430هـ/ 2009م، ص 63.
2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 4، ص 2299.

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾ [مريم: 2-5].

قال سيد قطب: " ذلك دعاء زكريا لربه في ضراعة وخفية والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء ثم ترسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضا فالرب ينادي عبده من الملأ فيختار له اسم الغلام الذي بشره به {اسْمُهُ يَحْيَى}، وهو اسم فذ غير مسبوق {لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً}[1].

✓ **بيان صفات يحي عليه السلام:** وهي القوة في الدين والحكمة في الصبا والحنان والتقى ﴿يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ، وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ [مريم:12-14]

يعود سيد قطب فيصور هذا المحور بقوله: "فهذه هي المؤهلات التي زوده بها وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه، آتاه الحكمة صبيا وكان فذا في زادهن كما كان فذا في اسمه وميلاده، فالحكمة تأتي متأخرة لكن يحي زود بها صبيا... وآتاه الحنان هبة لديه لا يتكلفه ولا يتعلمه وإنما هو مطبوع عليه ومطبوع به... وآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب"[2].

✓ **كرامة مريم** بخارق العادة في حملها وقداسة ولدها، بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً ﴾[مريم: 16-18].

✓ **الإرهاصات التي مهدت لنبوة عيسى عليه السلام** من خلال كلامه المهد، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ،قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ،

1-ينظر سيد قطب:في ظلال القران، ج4، ص 2302.
2- المرجع نفسه، ص 2304.

وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً } [مريم: 29-32]

✓ **إبطال دعوى النصارى:** باتخاذ عيسى عليه السلام ولدا لله تعالى وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ، مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [مريم: 34-35]

قال سيد قطب –رحمه الله-:

"وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، ليس هو إلها كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة"[1].

✓ عرض قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر.

✓ تنزيه رسل الله الكرام والثناء الحسن عليهم: إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس،نوح، وكل هذا الثناء إثبات لوحدانية الله تعالى.

✓ **الرد على إنكار المشركين للبعث** {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً، وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً }[مريم: 65-66]

✓ التشنيع على المشركين المغترين بآلهتهم من الأصنام والأوثان دون الله، قال تعالى:

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً ،كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً } [مريم: 81-82].

✓ **التفرقة بين حشر المتقين إلى دار الخلود والنعيم والكرامة،** وحشر المجرمين إلى دار الخزي والمهانة قال تعالى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً ، لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً }[مريم: 85-87].

1- سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط16، 1427 هـ/ 2007م، ص 120

يقول سيد قطب: "فأما المؤمنون فيجمعون وفدا إلى الرحمن وأما المجرمون فذاهبون وردا إلى جهنم فأما الوفد فسيلقى الرحمن يستقبل بره وغيثه، أما الورد فمستورد جهنم يستقبل اللظى لا يملكون لأنفسهم شفاعة، فلا شفاعة يومئذ إلا لمن قدم عملا صالحا معهودا عند الله ومعروفا"[1].

✓ **التشنيع والتبشيع على من أدعى أن لله ولدا**، فقال تعالى: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ،أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً} [مريم: 88-95].

✓ **إنزال القرآن الكريم بلسان عربي مبين** مبشرا للمتقين ومنذرا للعاصين والمجرمين، وهذا ما تمثل في قوله تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً } [مريم: 97].

هـ-الفاصلة والسياق في سورة مريم:

عند النظر في فواصل سورة مريم نجد أنها أتت على أحوال عدة:

✓ معظم فواصلها تتماثل **بالياء والألف المدية** الدالة على **السهولة واليسر** والسلاسة التي تغمر أجزاء ومقاطع هذه السورة بما يتناسب مع معاني السورة التي تدور حول **فضل الله تعالى** على مريم وابنها المسيح عليه السلام.

✓ المواضيع التي تقتضي **الشدة والعنف**، وفيها جو من العناد والاستكبار جاءت فيها الفاصلة على حرف **الدال** كما في (إدا، هدا، ضدا) أو حرف **الزاي** (هزا ، عزا، أزا).

✓ تتنوع الفاصلة فيما عدا ما سبق بحسب التنوع في السياق والطرح، ويمكن أن نستعرض نماذج تطبيقية على بعض المقاطع في السورة من حيث العلاقة بين الفاصلة والسياق مدعمين ذلك بكلام العلماء والمفسرين ومن عنوا بهذه المسألة شرحا وتوضيحا.

قال تعالى: {كهيعص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ،قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ

1- سيد قطب:المرجع نفسه ، ص 130.

وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } [مريم: 1-6].

تتماثل فواصل هذه الآيات **بالياء والألف المدية** والتي تحمل جوا من اليسر والسلاسة تتابعا مع **فيض الله تعالى ونعمه على عبده زكريا** بأن رزقه مع كبره كون امرأته عاقرا رزقه بمولوده يحي. [1]

قال سيد قطب –رحمه الله–:

" أما الانفعالات في النفس البشرية فتبدأ مع مفتتح السورة وتنتهي مع ختامها، والقصص الرئيسي فيها حافل بهذه الانفعالات في مواقفه العنيفة العميقة... والظلّ الغالب في الجوهر هو ظل الرحمة والرضى والاتصال... وإنك تحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطقها فطرتها"[2].

وفي موضع آخر:

" كذلك تحس أن للسورة إيقاعا موسيقيا، بمجيء جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق: **رضيا، سريا، خفيا، نجيا**، وأما المواضع التي تقتضي الشد والعنف فتجيء الفاصلة فيها مشددة: **مدّا، ضدّا، أدّا، هدّا**... وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجود والموضوع يبدو جليا في هذه السورة. [3]

ويقول في كتابه (التصوير الفني في القرآن): "وأما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة، فقد لاحظنا في مرات كثيرة أن الفاصلة والقافية لا تتغيران لمجرد التنويع... فمن المواضع التي لاحظنا فيها أن تغير نظام الفاصلة والقافية يعني شيئا خاصا ما جاء في سورة مريم، فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحي وتليها قصة مريم وعيسى وتسير الفاصلة هكذا"[4]،وبالرجوع إلى الآيات السابقات والتأمل في فواصلها، نجد زكريا ختام الآية الثانية، ولاتي بدأت بذكر امتنان الله ورحمته التي ظللت عبده

1- سيد قطب: المرجع السابق، ص 1-6.
2- المرجع السابق، ص 2304.
3- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص 2300.
4- المرجع نفسه، ج4، ص 2300.

زكريا ، فجاءت الفاصلة لتبين هذه المزية من أنه نادى ربه واجتهد بالدعاء الخاص فرحمه بهذه الخيرية.

وفي قوله تعالى: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً } [مريم: 3] لما أظهرت الآية دعاء زكريا لربه تعالى جاءت فاصلتها **(خفيا)** بوصف الدعاءلأنه أقرب إلى الإخلاص، وجاءت الفاصلة تصويرا للآية **{نادى ربّه}** وهي مناسبة من باب أن النداءالخفي يكون فيه سلوى واطمئنان وأقرب إلى الإخلاص. [1]

وفيما بعدها، لما قدم زكريا عليه السلام قبل سؤاله أمورا تستحق الشفقة من كبر السن، وزوجته عاقر وغيرها جاءت العلة قبل الطلب رجاء الإجابة.

قال سيد قطب –رحمه الله–:"إنه يناجي ربه بعيدا عن عيون الناس، بعيدا عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لربه ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره ويناديه في قرب واتصال **{ربّ}**... فإذا صوّر حاله وقدّم رجاءه ذكر ما يخشاه وعرض ما يطلبه... ذلك دعاء زكريا لربه في ضراعة وخفية والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء"[2]

وننتقل لقوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً ،فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيّاً ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيّاً ، قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً ، فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً } [مريم: 16–23].

اهتمت السورة بقصة مريم وابنها عيسى عليه السلام، بل مثلت محورا هاما من محاور السياق في هذه السورة.

1- ينظرمحمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، ص 74.
2- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4، ص 2302.

ينقل سيد قطب في ثنايا كلامه ما تعرضت له مريم عليها السلام من هزات عنيفة ناسب في ختامها فواصل الآيات التي تساق على النحو الذي جيئت به فيقول[1]: "... ولئن كنا نعلم أنه الروح الأمين فإنها هي لا تعلم إلا أنه رجل وهنا يتمثل الخيال تلك الفتاة الطيبة البريئة ذات التقاليد العائلية الصالحة، وقد تربت تربية دينية وكفلها زكريا بعد أن نذرت لله جنينا... هذه هي الهزة الأولى، ثم ليتمثل الخيال مرة أخرى مقدار الفزع والخجل وهذا الرجل الغريب الذي لم تثق بع بأنه رسول ربها،فقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما وهما في خلوة وحدها... وهذه هي الهزة الثانية، ثم تدركها شجاعة الأنثى تدافع عن عرضها { **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيّاً** } [مريم: 20]

ثم تمضي القصة في طريقها لنرى العذراء المسكينة في موقف آخر أشدّ هولا {**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً** (22)} وهذه هي الهزة الثالثة فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة.[2]

ثم ينتقل إلى قوله تعالى: {**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ،مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } [مريم: 34-35].

تأتي هذه الآيات نهاية قصة عيسى عليه السلام التي اختلف فيها الجاحدون وأنكروها، وبناء على اختلاف السياق والأسلوب المستخدم في الآيات اختلف نظام الفواصل فطالت الفاصلة وختمت بحرف الميم أو النون المستقر الساكن، وكأنما الآيات تعبر عن حكم بعد نهاية القصة مستمد منها ولهجة تقتضي أسلوبا مغايرا لأسلوب القصص كما تقتضي إيقاعا رصينا بدل إيقاع القصة المسترسل. [3]

" وهكذا يتغير نظام الفاصلة فتطول ويتغير النظام فتصبح بحرف **النون أو الميم وقبلها مد طويل**، وكأنما هو في الآيات الأخيرة يصدر حكما بعد نهاية القصة مستمدا منها، ولهجة الحكم

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 196.
2- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 197.
3- ينظر محمد العف: المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، ص 79.

تقتضي أسلوبا موسيقيا غير أسلوب الاستعراضي وتقتضي إيقاعا قويا رصينا بدل إيقاع القصة المسترسل وكأنما لهذا السبب كان التغيير ونحن نستأنس بهذا الاستنباط لملاحظة أخرى ذلك انه بمجرد الانتهاء من إصدار هذا الحكم وإلقاء ذلك القرار عاد إلى النظام الأول في القافية والفاصلة لأنه عاد إلى قصص جديد. (1)

ولنتأمل كذلك قوله تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ، لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً } [مريم: 61-63].

يقول سيد قطب:"صورة الجنة هادئة ساكنة رتيبة {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاماً}، فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال إنما يسمع فيها صوت وتحد يناسب هذا الجو الحالم الراضي هو صوت السلام والرزق في هذه الجنة مكفول لا يحتاج إلى طلب وكدّ، فما يليق بهذا الطلب في هذا الجو الراضي." (2)

ولعلنا نقف ختاما مع قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ،أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ، كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدّاً ،وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً ، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً (81) كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً } [مريم: 77-82].

جاءت الآيات في ردع وزجر الكافر المعتدي فما ناسب غلظته وجفاءه لردع عتوه وتكبر إلا أن اتساق الآيات مع ختامها بخطاب الشدة فجاءت (مدان عزا،...) زيادة في إظهار الوعيد لمضاعفة العذاب عليه وعدم انقطاعه عنه جزاء طغيانه واستهزائه.

1- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 109.
2- المرجع السابق، ص 119.

يقول سيد قطب :" إن جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو حو الغضب والغيرة والانتفاض وأن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض من سماع تلك الكلمة النابية والمساس بقداسة الله الذات العلية..." [1]

وخلاصة القول في مناسبة الفواصل لسورة مريم في السياق:

بعد دراسة فواصل السورة في نماذج مختارة، تبين واضحا أن الفاصلة متأثرة بالسياق الذي وضعت فيه، ولأجل ذلك رأينا فواصل السورة على أقسام:

✓ الفاصلة الاعتيادية والتي عليها جل بناء السورة وهي **(الياء والألف)** الممدودة المناسبة في ذلك لأسلوب القصص التي وردت بها.

✓ فواصل إقرار الحكم ولفت الانتباه للخروج بالفائدة المرجوة من القصة وهذه تمثلت بفاصلة **النون أو الميم.**

✓ فواصل مثلت جانب العناء والاستكبار ومقابلة ذلك بالشدّة والقوة وهذه تمثلت بقافية وفاصلة **الدال** والتي جاءت عندما اشتدّ السياق بالمشركين والكفار.

4- علاقة الفاصلة بقرينتها (الآية):

ذكرنا سابقا أن لعلاقة (الفاصلة) بسياقها أنواع:

علاقتها بقرينتها (الآية) التي وردت فيها أو المقطع أو السورة (كما رأينا سابقا مع سورة مريم)، أو حتى الجزء الواحد من القرآن.

أما علاقة الفاصلة بقرينتها(الاية)، فقد أطلق عليه العلماء: **ائتلاف** الفواصل مع ما يدل عليه الكلام، قال الزركشي: "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء بما يشاكله، فلا بد أن تكون المناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخر ج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب".[2]

1- سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 4، ص 2320.
2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 78.

وقد حصروا هذا "الائتلاف" في أربعة أشياء هي: **التمكين، التوشيح، الإيغال والتصدير**.[1]

والفرق بينها أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديرا، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحا، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمي إيغالا، وهذا تفصيل لذلك:

أ-**التمكين:** هو أن يمهد قبل الفاصلة تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها،مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختلّ المعنى، واضطرب الفهم، منها قوله تعالى: **{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً }** [الأحزاب: 25]. فلو انتهت الآية عند **{وكفى الله المؤمنين القتال}** لظنّ ظان أن الريح التي عصفت بالكفار والأحزاب في حرب الخندق كانت سبب رجوعهم خائبين، وأن ذلك أمر التفاني ليس من عند الله، فقال عز من قائل: **{وكان الله قويا عزيزا}** ليشعر المؤمنين بأن تلك الريح هبّت بأمره، وأنه ينوّع النصر لهم ليزيدهم إيمانا وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر، وتارة بالريح كيوم الأحزاب، وتارة بالرعب كيوم بني النضير، وطورا يُنصر عليهم كيوم أحد، تعريفا لهم أن الكثرة لا تعني شيئا، وأن النصر من عنده كيوم حُنين، **{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**.[التوبة: 25-27].

لعلّك لاحظت تمكن **{وذلك جزاء الكافرين}** بعد **{وعذب الذين كفروا}** لاحظت **{والله غفور رحيم}** بعد **{ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء}**.[2]

من طريف ذلك ما أخرج ابن أبي حاتم عن طريق الشعبي عن زيد ابن ثابت، قال: أملي عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية **{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ**

1- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن ، ص 288.
2- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 97.

نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }[المؤمنون: 12-14].

وقال معاذ بن جبل: "فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له معاذ: مما ضحكت يا رسول الله، قال: بها ختمت. (1)

وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها، وذلك في مواضع، قال تعالى: {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } [النحل: 11-13]، فالظاهر أن سياق الآيات واحد، ومع ذلك خولف بين فواصلها:

{يتفكرون}، {يعقلون}، {يذكرون}، فهل السبب تجنّب الرتابة؟، إن الأمر يتعلق بالمعنى الدقيق الذي تهدف إليه فاصلة كل من الآيات الثلاث: جعل مقطع الآية الأولى (التفكّر) لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار، وجعل مقطع الآية الثانية (العقل)، والتقدير كأنه قيل: إن كنت عاقلا فاعلم أن تغيرات العالم الأسفل غير مربوطة بأحوال حركات الأفلاك وحدها، لأن حركات الأفلاك موجدها غير متحرك، وهو الإله القادر المختار، وجعل مقطع الآية الثالثة (التذكر) كأنه قيل: قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن تغير الألوان في الكائنات ليس هو الطبائع بل الفاعل المختار.(2)

ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدّث عنه واحد، قال عز وجل: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم: 34].

ثم قال في سورة النحل: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل:18].

1- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 101.
2- ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 84-85.

وقد ذكر العلماء تعليلين لهذا الاختلاف، الأول: كأنه تعالى يقول: (إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوما ،وكونك كفارا) ولي عند إعطائها وصفان: وهما: أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي، الثاني: أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عُقَيْبَ أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه. [1]

ب-التصدير:

هو أن تكون لفظة الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية وسمى (ردّ العجز على الصدر) وقيل: هو ثلاثة أقسام[2]:

الأول: توافق آخر الآية وآخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى: **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** } [النساء: 166].

الثاني: أن يوافق أول كلمة منه نحو: {**وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** } [آل عمران: 8].

الثالث: أن يوافق بعض كلماته ، نحو:{**وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** } [الأنعام:10].

ج-التوشيح:

يسمى هذا النوع بالتوشيح لأن الكلام نفسه يدل على آخره، نزّل المعنى منزلة الوشاح، ولهذا قيل فيه:

إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها، والفرق بينه وبين التصدير، أن الدلالة في **التوشيح معنوية ودلالة التصدير لفظية**، كقوله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**}[آل عمران: 33]، فإن اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة، إذ المذكورون نوع من جنس العالمين،وقوله: {**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**} [يس:37]، فإنه من كان حافظا

1- السيوطي: الإتقان، ج2، ص 102.
2- المرجع نفسه، ج2، ص 104.

لهذه السورة، متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون وسمع في صدر هذه الآية { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ } علم أن الفاصلة(مظلمون) فإنه متى انسلخ النهارعن ليله اظلم ما دامت تلك الحال. [1]

د-الإيغـــال:

سمي بذلك لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحدّ كقوله تعالى: **{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }** [المائدة: 50]، فإن الكلام تمّ بقوله:{ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً** }، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائدا.

ومنه **{وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ....** } [النمل:80]، ثم علم عز وجل أن الكلام يحتاج إلى فاصلة تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها، فأتى بها تفيد معنى زائدا على معنى الكلام حيث قال**{إذا ولوا مدبرين}**، ثم ذهب يحلل بلاغة الفاصلة فأطال الكلام بما حاصله أن التوالي يكون بجانب دون جانب كالإعراض، ولكن هؤلاء تولوا مع إدبار حتى لا تصل إليهم الرسالة من أي جانب، فلم يسمعوها ولم يروها. [2]

ب- المنـاسبـة:

لما كان السياق القرآني يقتضي التماسك والترابط بين المعاني، كان لابد من إثبات حقيقة أكيدة ألا وهي: أن آيات السور القرآنية جاءت وفق ترتيب قديم مصون في اللوح المحفوظ، لم يطرأ عليه أي تبديل أو تغيير، وإنما هو ترتيب إلهي أراده سبحانه، ولما كان هذا الترتيب على هذا الشكل، كان لابد أن تكون هناك مناسبة بين هذه السور، كما أن تلاحم أجزاء السورة يرتبط بمناسبات داخلية بينهما، وتأتي الفاصلة القرآنية التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى في تناسب محكم، قال **الزركشي:** "اعلم من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة المعني المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 90.
2- السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية ، ص 147.

بالتأمل اللبيب"[1] ،كما أن "الفاصلة القرآنية تأتي متمكنة في موقعها، مستقرة في مكانها، يتعلق معناها بمعنى الآية بحيث لو طرحت أو غيرت لاختل المعنى وفسد النظم لأنها لم تكن مجرد حلية لفظية، بل جزء أصيل من البناء المحكم للعبارة، إذ هي حجر الزاوية في ذلك البناء"[2]، والذي يهمنا هو أن نوضح بالأمثلة كيف يجمع القرآن الكريم في فواصله بين الوفاء بحق المعنى وتناسب الفواصل بطريقة محبكة محكمة.

وقد أدرج الباحث **محمد خطابي** المناسبة ضمن الآليات التي كشف لنا تماسك السور في كتابه "لسانيات النص"،فما وجه المناسبة بين الفاصلة وموضوع الآيات؟وأين يتجلى ذلك؟ ،قبل ذلك علينا أن نتطرق إلى تعريف المناسبة ومعرفة فوائدها.

1- تعريفهـــا:

اعتبرها كثير من العلماء علما فقد عرفها **برهان الدين البقاعي** في مقدمة تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، فقال: "علم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الإطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء،سبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"[3]، فعلم المناسبات كما ذهب "البقاعي" علم يعرف به سبب ترتيب النص على الشكل الذي جاء عليه.

أما فيما يخص القرآن الكريم، فيردف "البقاعي" قائلا: " علم مناسبات القرآن : علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإحالة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"[4]

فمعرفة المقصود من السورة لا يتم إلا بمعرفة جميع جملها، وكذا السياق الذي جاءت فيه هذه الجمل من البداية وحتى النهاية.

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 78.
2- أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة رسائل أطروحات ، رقم 19، ص 369.
3- البقاعي برهان الدين: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ج1، ص 05.
4- المرجع السابق ، ج1، ص 05.

والسياق يكون خادما لعلم المناسبات في إبراز علل الترتيب... وأسباب تقديم بعضها على بعض، فمن هذه الجهة يكون السياق خادما لعلم المناسبات، ومن جهة أخرى يكون علم المناسبات خادما للسياق، وذلك من خلال الكشف عن أوجه المناسبة.[1]

وعلم المناسبة أمر معقول، إذ عرض على العقول تلقته بالقبول، ولذلك وضعوا ضوابط عقلية منها: وحدة الموضوع، سواء في ذلك وحدة موضوع السورة ذات الموضوع الواحد أو وحدة موضوع المقطعة، ووجود رابط من الروابط، عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلوم. [2]

ويذهب محمد خطابي "إلى أن المناسبة أو التناسب بين الآيات بحق عن علاقة آية بآية أخرى متقدمة" [3].

لكنه يضع شرطا للبحث عن موضوع المناسبة، حيث يقول: " وقد بدا للناس من خلال الاستقراء أن المفسر يشرع في البحث عن المناسبة، حيث تنقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة، نعني بانقطاع الصلة أن تكون الآية السابقة كلاما عن القتال والآية اللاحقة بها كلاما عن إنفاق الأموال مثلا، وكأنما يفترض سؤال سائل: ما وجه المناسبة بين هذه وتلك؟، أو ما موقع هذه الآية من الكلم السابق؟". [4]

فعلم المناسبة عنده يبحث عن علاقة الآية بالآية الأخرى أو آيات متجاورات في الموقع مختلفات تنقطع الصلة بينهما.

يذكر أن أول من ألّف في هذا العلم كان "أبو بكر النيسابوري"، حيث وضع اللبنات الأولى لهذا العلم من خلال تفسيره للقرآن الكريم، حيث أنه في أثناء تفسيره يذكر الحكمة من وضع هذه السورة بجانب السورة الأخرى.

1- ينظرالمثنى عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر ، عمان، الأردن، ط1، 1427هـ/ 2005م، ص 38.
2- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.
3- محمد خطابي: لسانيات النص، ص 189.
4- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج 1، ص 36.

يقول "الحسن الشهرباني": "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام "أبو بكر النيسابوري (261هـ)"... وكان يقول ما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة". [1]

ويضيف السيوطي عددا آخر من العلماء الذين تحدثوا عن المناسبة يقول: " أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير ... في كتاب سماه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي (ت 885هـ) في كتابه سماه (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) والكتاب الذي صنعته في أسرار الترتيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور... في جزء لطيف سميته (تناسق الدرر في تناسب السور" [2].

فهذا ما يؤكده إدراك هؤلاء العلماء – القدامى– لقضية المناسبة، ومن ثم توظيفها في الكشف عما يبعث عنه لسانيات النص في جانبها الدلالي، ألا وهو كيفية حبك السورة القرآنية وترابطها دلاليا من خلال الفاصلة القرآنية، وهذا ما سنكشف عنه في دراستنا، لكن بعد إبراز أهمية وفائدة علم المناسبة.

2- أهميتهـــا:

كما سبق القول أن المناسبة هي البحث عن علاقة آية القرآن بأخرى متقدمة، ويشرع المفسر في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أخرى أو آيات مناسبة.

فلعلم المناسبة فائدة عظيمة كما قال أبو بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مشتقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم" [3].

فهو إذن يبحث في كيفية تماسك النصوص وحبكها وذلك بترابط وتعالق وحداتها، وهذا ما تبحث عنه في لسانيات النص.

1- المرجع السابق ،ص 36.
2- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، ج 3، ص 322.
3- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

ومعرفة المناسبة بين الآيات لا يطلب إلا بعد بيان استيفاء اتصال الآيات بعضها مع بعض في موضوع واحد، أي بعد أن يتم سياق الآية أو سياق المقطع، فبعدها يطلب وجه مناسبة الآية بما قبلها وما بعدها [1]، وخير معين على معرفة وجه المناسبة هو معرفة السياق القرآني حتى يتضح وجه المناسبة على أكمل وجه له.

فوظيفة علم المناسبات هو الكشف في وجه ورود وانتظام المعاني وارتصافه في هذا المكان دون غيره، وبيان اللحمة والائتلاف والترابط ببين عناصر السياق الواحد[2]، فعلم المناسبة يحدد ويوضح وحدة النص في القرآن الكريم، الذي لم يسلم من الطاعنين منه قديما وحديثا، في محاولة منهم تمزيق وحدة النص القرآني والطعن في انسجامه، ومحاولة جعله قطعا متفرقة لا علاقة بين وحداته.

فالمناسبة هدفها الربط الدلالي بين الآيات المتجاورات أو حتى المتباعدات، فهي بحق أحد الآليات التي تبحث بها في تماسك النصوص وتلاحمها وارتباطها بعضها بأعناق بعض لتكون بذلك الوحدة المنشودة من دراسة النصوص.

فموقعها في الدراسات النصية الحديثة موقع متميز ،على الرغم من عدم التطرق إليها من طرف الباحثين والمهتمين بلسانيات النص ،إلا فيما نعلم عند باحثين اثنين: محمد خطابي في كتابه (لسانيات النص)، وصبحي إبراهيم الفقي في كتابه (علم اللغة النص)، فقد تطرقا إلى علم المناسبة ودوره في تحقيق التماسك النصي.

فبخصوص موقف علماء النصية من قضية المناسبة ودروها في تحقيق التماسك النصي، يقول **صبحي إبراهيم الفقي:** " أنهم لم يشيروا إليها على أنها وسيلة من وسائل التماسك النصي... ولكننا هنا نضيف –يقول الفقي– وسيلة المناسبة، إذ أنها تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي. [3]

وقد اشترط الفقي وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون هذه العلاقة ظاهرة وقد تكون غير ظاهرة، فيبحث عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، إذ علم ذلك فالمناسبة توصل إلى

1- المثنى عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني، 39.
2- المرجع السابق، ص 40.
3- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج 2، ص 93.

العلاقة،وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما، أي وفق الشكل التالي:

المناسبة ـــــ العلاقة ـــــ المرجعية ـــــ التماسك.

ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة كعلم كانت لبناته الأولى قد وضعت في القرون الأولى من الهجرة، وبين علم حديث ظهر منذ ما يقارب أربعة عقود ولم يكتمل بناؤه بعد. إذن المناسبة تحقق التماسك بين الآية وما تسبقها من آيات.

ومما يوضح كيف يجمع القرآن الكريم في فواصله بين الوفاء بحق المعنى وتناسب الفواصل بطريقة محكمة.

3- علاقتهـا بالفاصلـة القرآنيـة:

أ- المناسبة بتحديد الفاصلة القرآنية:

نقف عند بعض الأمثلة من القرآن الكريم لتبيان أن اختيار الفاصلة تم رعاية وخدمة لمعنى الآية فساهم في حبك دلالتها.

✓ قال تعالى في شأن الحج: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [البقرة: 203].

فاختار القرآن هنا قوله (تحشرون) دون ترجعون أو تصيرون مثلا، ولابد لذلك من علّة وسبب قال البقاعي: " قال أعرابي: وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لأمر يوم الحشر، ومواقفه من خروج الحاج من وطنه متزودا، كخروج الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل، ووصله إلى الميقات وإهلاله متجردا كانبعاثه من القبر متعريا، وتلبيته في حجة كتلبيته في حشره {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي..... (8)} [القمر: 8]، كذلك اعتباره موطنا إلى غاية الإفاضة والحلول بحرم الله في الآخرة التي هي الجنة، والشرب من ماء زمزم التي هي نزول الله لأهل الجنّة على وجوه من الاعتبارات يطالعها أهل الفهم واليقين، فلأجل ذلك كان أتم ختم لأحكام الحج ذكر الحشر".[1]

1- البقاعي: نظم الدرر، ج3، ص 127.

✓ قال تعالى مما حكاه عن يعقوب عليه الصلاة والسلام: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف:18].

قال ابن عاشور في اختيار الفاصلة (ما تصفون) في غاية البلاغة، لأنه كان واثقا بأنهم كاذبون في الصفة، وواثقا بأنهم ألحقوا بيوسف عليه السلام ضرا، فلما لم يتعين عنده المصاب أجمل التعبير عنه إجمالا موجها، لأنهم يحسبون أن ما يصفونه هو موته بأكل الذئب إياه، ويعقوب عليه الصلاة والسلام يريد أن يصفونه هو المصاب الواقع الذي وصفوه وصفا كاذبا"[1]، ومن هنا ختمت بعض الآيات التي من شأنها تنزيه الله تعالى عما يصفون.

✓ قوله تعالى: **{تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى}** [النجم: 22]، فاختار القرآن هذه الكلمة دون أن يقول مثلا جائرة.

والرافعي –رحمه الله– من الذين أجادوا الكلام في القرآن تفسيرا وبيانا، وله في ذلك: "وفي القرآن لفظة غريبة، هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة **(ضيزى)** من قوله تعالى: **{تلك إذا قسمة ضيزى}**، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي فيها وهي سورة النجم مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهنّ البنات، أي: دفنهن على الحياة،فقال تعالى: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)} (النجم) فكانت غرابة اللفظ اشد الأشياء ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها".[2]

1- ابن السراج محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق/ د. عبد الحسين القتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417ه/1992م، ج1، ص 43.
2- البقاعي: نظم الدرر، ج3، ص 127.

والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس.

في سورة العنكبوت نقرأ قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت:41].

وبعد هذه الآية تقرأ قول الله تعالى: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (43) }–النجم– ، وفكر فيما عرفه النّاس من أمر العنكبوت اليوم، من حيث قوة خيوطه ومن حيث الفوضى الأسرية والتمزق العائلي، فللفوضى التي تدب في بيت العنكبوت لا مثيل لها البتة في بيت آخر، أليس أمر العنكبوت يحتاج إلى علم، و{ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (43) }، فانظر كيف ختمت الفاصلة بذكر العالمين، لأن قضية العنكبوت لا يدركها إلا أولئك.[1]

يبدو واضحا دقة اختيار كلمات فواصل القرآن، فلو أردت تغيير كلمة عن محلها فإنك ستجده لا يتسع للجديد، ولا جديد المبدل يستقر فيه، فسبحان ربنا منزل هذا الكتاب العظيم.

ب– المناسبة باختلاف الفواصل لاختلاف المتحدث عنه:

أولا: في قوله تعالى في حق بني إسرائيل: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة:45].

✓ قال سبحانه في حق الذين آمنوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 153].

فاختلف تفصيل كل من الآيتين عقيب ما أمر به في كليهما، فقال أبو جعفر ابن الزبير في هذا: " إن قوله تعالى:﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[البقرة45] مشيرا إلى التثاقل منها والتكاسل الجاريين في الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص، وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكرت في الآيات قبل، ألا ترى قوله تعالى في المنافقين، وإنما أكثرهم من اليهود: {وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ

1- المرجع نفسه، ج3، ص 127.

إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى ..... } [التوبة: 54]، فلما كان قوله تعالى في الآية الأولى: { اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ } مكتفيا بأمر بني إسرائيل ونهيهم، ناسب هذا قوله: { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}، ولما كانت الآية الثانية معقبا بها أمر المؤمنين في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ } وحال من وسم بالإيمان حال رضا واستقامة، ناسبهم وصفهم بالصبر، إذ الصبر على الطاعات حصول الدرجات، فجاء كل على ما يناسب"[1].

فهذه المغايرة في الآية وفي الفاصلة بالتحديد مراعاة للمعنى دلالة على جودة الحبك ودقة التعبير في النص القرآني.

ثانيا:

- ✓ ذكر الله تعالى في ختام آية الوضوء قوله: {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: 6].
- ✓ وذكر سبحانه في سياق بيان إنعامه على عباده: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ [النحل: 81]، والناظر في هاتين الآيتين يجد اختلافهما في المضمون والفاصلة.

وقد أجاب أبو جعفر ابن الزبير عن اختلاف الفاصلتين في الآيتين جوابا حاصله" "أن سورة المائدة مدنية، والخطاب في هذه الآية للمؤمنين، بدليل إرشادهم إلى كيفية الوضوء، ولا يكون ذلك إلا بعد الإسلام، فتعليم الله لهم هذه الكيفية، والتي بها يستحكمون صلتهم بربهم عن طريق الصلاة،وإيجاد البديل لهم فيها لو عدموا الماء لهذه الطهارة، كل هذا أوجب على المؤمنين حق شكره، فلذلك كان الختم بـ (لعلّكم تشكرون) في أحسن مواقعه.

وأما الآية الثانية فالسورة مكية، والخطاب فيها عام، بل وبدأ الخطاب فيها بقوله:

{ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)} [النحل]، فوضع أنه كان للمرتابين، وتحدث معهم ووعظهم بمصارع من سبقهم وألزمهم بالحجج والجدال والإنذار ما منّ به

1- أبو جعفر بن زبير: ملاك التأويل، تحقيق: محمود كامل احمد، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ج1، ص195.

سبحانه من النعم، وكله تذكير بعجائبه من إنعامه الذي لا يمكن أن يسند إلى غيره، كل هذا التذكير لهم أن يسلموا، ويدخلوا في دين الإسلام، فكان قوله: {كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } [النحل: 81]في أحسن مواقعه"[1]..

ثالثا-

✓ قال تعالى: {وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ } [الأعراف: 39]

✓ وقال سبحانه في شأن قريش: { وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } [الأنفال: 35]، فجعل ذوق العذاب في الأولى بسبب الكسب، وفي الثانية بسبب الكفر.

قال أبو جعفر ابن الزبير: " أما الآية الأولى فهي متحدثة عن أخلاط من الأمم، وأفواج يتبع بعضهم بعضا، قد تعددت جرائمهم وتنوعت مخالفاتهم، فكان من المناسب أن تجمع هذه تحت باب (تكسبون)، وأما الآية الثانية فهي في قريش، وقصارى ما عندهم أنهم كفروا بالله وبرسوله، فكان من الملائم بيان أن العذاب على ذلك"[2].

رابعـا-

✓ قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الرعد:3-4]، فقال في الأولى (تكفرون) وفي الثانية (يعقلون).

قال صاحب الدرة: " إنّ التفكر هو المؤدي إلى معرفة الشيء، والعلم بالآيات التي تدل على توحيد تعالى وهو قبل، فإذا استعمل على وجهة عقل ما جعلت هذه الأشياء أمارة له ودلالة عليه، فبدأ

1- أبو جعفر ابن زبير: ملاك التأويل، ج1، ص 372 بتصرف.
2- المرجع نفسه، ج1، ص 494.

في الأول بما يحتاج إليه أولا من التفكر والتدبر المفضين بصاحبهما إلى إدراك المطلوب، وخص الآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من إدراك سكون النفس إلى عرفان ما دلت عليه الآيات"[1].

وقال جعفر ابن زبير: " إن معتبرات الآية الأولى يتوصل بالفكر إلى الحصول على الاعتبار بها وتعقلها، وعجيب الحكمة فيها، وغموض ما في الثانية باد، ولا يتوصل إلى بعض ذلك إلا بعد طول الاعتبار والتأييد من الله سبحانه، فلمّا كان العقل اشرف وأعلى منزلة ناسبه أن يتبع به ما هو أغمض وأخفى، وناسب الفكر ما هو اظهر وأجلى"[2].

خامسا-

- ✓ قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما خرق الخضر عليه السلام السفينة: { لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً } [الكهف: 71].
- ✓ وقال حكاية عنه لما قتل الخضر الغلام: {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً } [الكهف: 74].

فاختلفت الفاصلتان من قوله في الحكاية عن الحديثين اللذين مرّا به، قال الزمخشري في الجواب عن الفرق بين الموضعين: "قيل: النكر أقل من الأمر، لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة،وقيل معناه جئت شيئا أنكر من الأول، لأن ذلك الخرق كان يمكن تداركه بالسد، وقتل الغلام مما لا يمكن تداركه"[3].

وقال صاحب الدرة: " قيل: الأمر هو الداهية، وقيل: هو العجب، والنكر: ما تنكره العقول ولا تعرفه ولا تجوزه، وروي عن قتادة أنه قال: " النكر أعظم من الأمر، لأن الأمر إن حمل على الداهية فهي التي تدهى الإنسان مما لم يخشه فيحترز من وقوعه"، والعجب قد يكون غير منكر، والنكر لا يستعمل غلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، فاختص الأول بالأمر، لأن

1- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1981م، ص 249.
2- أبو جعفر ابن الزبير: ملاك التأويل، ج2، ص 698.
3- الزمخشري: الكشاف، ج2، ص 493.

خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلكن وقيل: الأمر أعظم من النكر، لأن تغريق عدد من الناس في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة وليس كذلك، لأن الغرق لم يقع ، والقتل قد حصل"[1].

سادسا-

- ✓ قال سبحانه وتعالى في قصة موسى مع شعيب عليهما الصلاة والسلام من حكاية شعيب: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ} [القصص: 27].
- ✓ وقال سبحانه في قصة إسماعيل الذبيح عليه الصلاة والسلام من قوله: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ } [الصافات:102].

فهاتان أيضا آيتان حكي فيهما عن نبيين، واختلفت فاصلتا الآيتين في الكلام المحكي عنهما.

فأما الآية الأولى فهي حديث عن وعد شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام بأنه سيكون معه في تعامله بأخلاق الصالحين ليرسل من خلال هذا الكلام رسالة في بيان ماهية أخلاق الصالحين، وأما الآية الثانية فهي حديث عن إسماعيل عليه السلام لما أن أراد أبوه إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذبحه، تحقيقا لأمر الله عزّ وجلّ الذي رآه في المنام، ولا شك أن الذبح بلاء عظيم، وما كان من إسماعيل صلى الله عليه وسلم وهو نبي ابن نبي، إلا أن يصبر ويعلن صبره أمام والده، فلذلك قال في هذه الفاصلة ما قال[2].

سابعا-

- ✓ قوله تعالى في شأن القرآن العظيم: **{وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون}** [الحاقة 41-42].

والاختلاف ظاهر في فاصلتي الآيتين:

قال الكرماني في تعليل هذا الاختلاف" " خص ذكر الشعر بقوله **(ما تؤمنون)** لأن من قال: القرآن شعر، ومحمد صلى الله عليه وسلم شاعر، بعدما علم اختلاف آيات القرآن في الطول

1- الإسكافي: درة التنزيل، ص 284.
2- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ص 366.

والقصر، واختلاف حروف مقاطعه، فلكفره وقلة إيمانه، وخص ذكر الكهانة بقول **(ما تذكرون)** لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمد صلى الله عليه وسلم كاهن، فهو ذاهل عن الكلام الكهان،فإنه أسجاع لا معاني تحتها، وأوضاع تنبو الطباع عنها، ولا يكون في كلامهم ذكر الله تعالى"[1].

وذهب البقاعي مذهبا آخر فقال: " لما كانت مخالفة القرآن للشعر خفية من حيث إنه لا يعرف ذلك إلا الشعراء وهو قليل في الناس، والأغلب لا يعفون ذلك، ختم الآية بالإيمان الذي هو التصديق بالغيب، فقال تعالى: **{قليلا ما تؤمنون}**... ولما كانت مباينة القرآن للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل في الأغلب وتركها في البعض فارق، لأن الساجعين لا يرضون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها، ويعدون ذلك عيّا وعيبا رديئا، وكذلك تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع ولو أنه هاجع... ومباينة النبي صلى الله عليه وسلم للكهنة ظاهرة جدا، فإن الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والأخبار بالمغيبات، يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا، ويأخذ الجعل على ذلك، ويقتصر على من يسأله فعبر لذلك بـ (الكاهن) دون (ساجع) أدار أمره على التفكر فقال: **{قليلا ما}** وأكّد أمر القلة والخفاء بإدغام تاء التفعيل فقال:**{ تذّكرون}**" [2].

ج-المناسبة باختلاف الفواصل مع اتحاد موضوعها أو تقاربه:

***في تحذير قوم صالح عليه السلام من المسّ بالناقة:**

✓ قال تعالى: **{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** [الأعراف: 73]

-قال تعالى: **{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ }** [هود:64].

- قال تعالى: **{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ }** [الشعراء:156].

وفي هذا قال الكرماني: "إن سورة الأعراف لما بالغ فيها في الوعظ بالغ الوعيد، فقال: **(عَذَابٌ أَلِيمٌ)**، وفي هود لما اتصل بقوله **{ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ}** [هود: 65]، وصفه بالقرب، فقال:

1- محمود حمزة الكرماني: أسرار التكرار في القرآن الكريم، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط3، 1978م، ص 208.

2- الشيخ عبد الرزاق علي موسى: المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة منورة، ط2، 1940م، ج2، ص 387.

(عَذَابُ قَرِيبٌ)، وزاد في الشعراء ذكر اليوم، لأن قبله { لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } [الشعراء: 155]، فالتقدير لها شرب يوم معلوم، فختم الآية بذكر اليوم فقال: (عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ })"[1].

***في العبرة من هلاك قوم لوط عليه السلام:**

-قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ } [الحجر: 75].

- قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر: 77].

قال صاحب الدرة: " قوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) }الحجر، إشارة إلى ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم عليهما السلام وتعرض لوط لهم طمعا فيهم، وما كان من أمرهم آخرا من إهلاك الكفار وقلب المدينة على من فيها، وإمطار الحجارة على من غاب عنها، وهذه أشياء كثيرة، في كل واحد منها آية، وفي جميعها آيات لمن يتوسم، أي: لمن يتدبر السمة، وهي ما وسم الله تعالى به العاصين من عباده ليستدلو بها على حال من عَنَدَ عن عبادته فتجنبها، وأما قوله {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77) }الحجر، أي: تلك المدينة المقلوبة ثابتة الآثار مقيمة للنظار، فكأنها لمرأى العيون لبقاء آثارها، وهذه واحدة من تلك الآيات، فلذلك جاء عقبها: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77)} "[2].

وقال ابن عاشور في تعليل الفاصلتين: " عبّر في التذييل بالمؤمنين للتنبيه على أن المتوسمين هم المؤمنون"[3].

***في هلاك قوم عاد:**

وقع التعبير عن الريح التي اقتلعتهم وحالهم معها بصورتين:

- ✓ قال تعالى{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ } [القمر: 20]
- ✓ قوله تعالى:{ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة: 7].

1- برهان الدين الكرماني: أسرار التكرار في القرآن، ص 84.
2- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ص 252.
3- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 14، ص 70.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: "وإنما أراد الله تعالى أن هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخل الذاهب في قعر الأرض، فلم يبق لهم رسم ولا أثر"[1]، وعليه فالعبرة في هذه السورة هي بيان القضاء عليهم دون ذكر التفاصيل، وأما سورة الحاقة فالعبرة فيها بشخوصهم لا بالحدث الواقع عليهم والعذاب النازل بهم، والدليل على هذا أن الله تبارك وتعالى ذكر فيها لفظ (فترى) خطابا لمن تصلح منه الرؤية، ولم يقع هذا في سورة القمر.

ويقول الإمام الرازي: " إن الانقعار قبل الوقوع، فكأن الريح تنزع الواحد وتقعره فينقعر فيقع صريعا، فيخلوا الموضع عنه فيخوى، وقوله في الحاقة :**{كأنّهم أعجاز نخل خاوية}** إشارة إلى حاله بعد الانقعار الذي هو بعد النزع، وهذا يفيد أن الحكاية في سورة القمر مختصرة، حيث لم يشر إلى صرعهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية، فإن حال الانقعار لا يحصل الخلو التام، إذ هو مثل الشروع في الخروج والأخذ فيه"[2].

***في شأن الإشراك بالله تعالى:**

- ✓ قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً }** [النساء:48].
- ✓ قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً (116) }** [النساء:116].

وواضح اتحاد موضوع الآيتين، إلا أن الفاصلة فيهما مختلفة، وفي الجواب عن هذا الاختلاف قال أكثر أهل العلم: " إن الآية الأولى نزلت في شأن اليهود، وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابهم، وأما الآية الثانية فنازلة في شأن الكفار الذين لم يكن لهم كتاب أصلا، فكان ضلالهم أشد"[3].

1- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د ت، (قعر).
2- فخر الدين الرازي،التفسير الكبير، دار الكتب الكتب العلمية، بيروت، ط1411،1ه، ص 48.
3- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ص 79.

وذهب أبو جعفر ابن الزبير إلى التعميم فقال: "إن الآية الأولى نازلة في شأن أهل الكتاب الذين أفصح القرآن بكذبهم وافترائهم في آيات سابقة، فلما ذكر ذلك ناسبه الختم بهذه الفاصلة، وأما الموضع الثاني فإنه تقدّمه ما يخص المنافقين الذين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء فناسبه ما ختمت به"[1].

د- المناسبة باتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوعات:

أولا:

✓ أخبر سبحانه عن البلاء الذي سيصيب العباد في أموالهم وأنفسهم، وأنهم سيسمعون كثيرا من الأذى من المشركين ومن أهل الكتاب، وأمر الله تعالى بالصبر فقال: { لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } [آل عمران: 186]. وفي وصايا لقمان لابنه أمره بالصبر فقال سبحانه في هذا الشأن: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } [لقمان:17].

وبعد بيان أن المنتصر بعد ظلمه ليس عليه سبيل، وأن السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، بعد هذا أمر الله سبحانه وتعالى بالصبر فقال: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } [الشورى:43].

ففي الآيتين الأولين أمر بالصبر بعد اختلاف المتحدث عنه في كليهما، ومع ذلك اتفقت الفاصلة في كلتا الآيتين، بينما وقع الأمر بالصبر بعد ذكر الظلم وشأنه في سورة الشورى، إلا أنه جاء معقبا عليه بخاتمة افترقت عن الآيتين السابقتين بتأكيد الأمر بقوله (لمن عزم الأمور).

والجواب عن ذلك: " أن مورد آيتي آل عمران ولقمان غير مورد آية الشورى، ففي آل عمران ولقمان حضّ على الصبر على المصائب المختلفة المذكورة في سياقي الآيتين، وأما في سورة الشورى فالوضع مختلف، فهو حضّ على الصبر على المصيبة التي تأتي من جهة ظلم الغير.

1- أبو جعفر ابن الزبير: ملاك التأويل، ح1، ص 347.

والظلم مما لا تطيقه النفوس الشريفة، وتأباه النفوس الحرة، وهو أشق شيء عليها، فلما حضّ الله تبارك وتعالى على الصبر كما يأتي من هذه الجهة، وكان هذا من أشد الأشياء على النفوس،ناسبه التأكيد بما ذكر، بخلاف الآيتين السابقتين – والله أعلم".[1]

وفي ملاك التأويل: "أن السبب في تأكيد آية الشورى وحدها، هو أنه دخلها معنى القسم، وكانت على تقديره، وذلك في قوله: **{ولمن صبر وغفر}** فاللام توطئة له ودلالة على تضمن الآية معناه، فلما كان ذلك كذلك ناسبه زيادة لام التأكيد في خاتمة الآية المعنية"[2].

ثانيا:

✓ قوله تعالى: **{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ }** [الأنعام:15-16].

✓ قوله تعالى:**{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ }** [الجاثية: 30].

ففي الحديث عن النعمة بصرف العذاب بيان أن رحمته فوز مبين، دون تأكيد، ولما تحدث عن جزاء العاملين المؤمنين، أكد فوزهم بقوله: **{هو الفوز المبين}**، فذهب الكرماني إلى أن التأكيد وقع في آية الجاثية تعظيما لإدخال الله المؤمنين في رحمته. [3]

ثالثا:

✓ في سورة الشعراء بعد تهديد فرعون للسحرة بالقتل قالوا: **{قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ }** [الشعراء:50].

✓ وفي سورة الزخرف بعد الامتنان من الله على عباده بما خصهم من النعم وتعليمهم كيف يستقلون ظهور السفن والدواب: **{ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ،وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ }** [الزخرف:13-14].

1- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ص 427.
2- أبو جعفر ابن الزبير: ملاك التأويل، ج2، ص 942.
3- الكرماني: أسرار التكرار، ص 193.

قال أبو جعفر: " إن آية الشعراء هي خبر عن مجاوبة السحرة لفرعون، فهي بيان رجائهم وما ينتظرونه ثوابا على إيمانهم وصبرهم إزاء امتحان فرعون لهم، فالموضوع ليس موضع ت أكيد ولا قسم، فلا مدخل للام هنا، وأما آية الزخرف فمبينة على ما تقدمها من الإخبار عن مشركي العرب في قوله سبحانه: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف: 9]،والمراد بذلك: إقامة الحجة عليهم من إنكار البعث، فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين"[1].

وفي أسرار التكرار ما مفاده " أن ما في سورة الزخرف عام لمن ركب السفينة أو الدابة، فحسن إدخال اللام على الخبر للعموم، وما في الشعراء كلام السحرة حين آمنوا ولم يكن فيه عموم"[2].

رابعا:

- ✓ قوله تعالى في شأن زكريا عليه السلام: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } [آل عمران: 38].
- ✓ قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } [إبراهيم: 39].

والفرق بين الموضعين ظاهر، فالأولى منها في شان دعاء وترقب، وأما الثانية فثناء على الله تعالى بعد الاستجابة، وإنما أكد ذلك لأن الإنسان بالنعم تبدو عليه أمارات الفرح والسرور، وتظهر من التأكيدات ما لا يظهر في وقت يكون فيه مترقبا أمرا من الأمور وسبحان الذي فصله بذلك.

هـ- المناسبة بالتقديم والتأخير رعاية للفاصلة:

تحدث بعض العلماء أن القرآن الكريم يقصد إلى المغايرة في نظمه بالتقديم والتأخير رعاية للفاصلة، وقد نقل السيوطي عن شمس الدين ابن الصائغ نصا طويلا يستدل بين الفواصل، وأحصى من ذلك نيفا وأربعين موضعا، ثمانية منها قدم فيها ما حقه التأخير، وسوف نورد بعض الأمثلة التي أوردها كما يلي:

1- الخطيب الإسكافي: درة التنزيل، ص 432.
2- الكرماني: أسرار التكرار، ص 193.

- **تقديم الأرض على السماء:**

وقد راعى القرآن الأصل، فليس معظم المواطن التي اقترنت فيها السماء والأرض فقدم السماء إلا بعض المواضع القليلة التي قدمت فيها الأرض، ومنه قوله تعالى: {وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ } [إبراهيم: 38]، والفواصل في هذا الموضع (السماء، الدعاء)، وبذلك يتحقق الإيقاع في الفواصل، هذا مع ملاحظة أن الكلام محكي عن إبراهيم عليه السلام، وهو يدعو ربه،فناسب أن يخبر إبراهيم بعلم الله تعالى لكل شيء، وعدم خفاء شيء عنه سبحانه في الأرض أولا لأنه يعيش فيها وهي إليه أقرب، وهي مجال الحياة والعمل والكسب... "كل ذلك يجعل تقديم الأرض على السماء حاجة سياقية".[1]

- ✓ **تقديم الآخرة على الأولى:**

ومن المواطن التي تعني فيها عكس الترتيب لرعاية الفاصلة ما نقله السيوطي عن ابن الصائغ "تقديم ما هو متأثر في الزمان نحو: {فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } [النجم: 25]، ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى[2]، والمتتبع لمواطن عطف الأولى على الآخرة يجد أن الأولى تقدمت على الآخرة في موضع واحد، وهو قوله تعالى: وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص: 70].

وأما تقديم الآخرة على الأولى فقد جاء من أمثلته:

- ✓ قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى ، اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ،وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ، فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى } [النازعات: 15-25]، حيث قيل في تفسير الآخرة والأولى أنهما كلمات فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: 38].

1- السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، ص 108.
2- جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق وغوامض التزييل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، طبعة دار الاستقامة، القاهرة، ط1، 1946 م، ص 5.

وقوله: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى } [النازعات: 24]، وهو الوجه الذي قدمه الرازي في تفسيره فقال: "والمقصود التنبيه على أنه كما أخذه بكلمته الأولى في الحال، بل أمهله أربعين سنة، فلما ذكر الثانية أخذ بها، في هذا تنبيه على أنه تعالى يمهل ولا يهمل"[1]

وبهذا تتقدم الآخرة تحقيقا لغرض النظم في الإشارة إلا أن قول فرعون أنا ربكم الأعلى هو سبب إسراع الله بإنزال العقاب له.

✓ قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ، وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى } [الليل: 5-13]، فقد جاء تقديم الآخرة لتناسب ما بنيت عليه السورة من التهديد والإنظار لسوء العاقبة لمن كذّب وأعرض، والتنكيل به في الآخرة، ولهذا أعقبها قوله: { فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ، لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى } [الليل: 14-17]، فقدم جزاء الأشياء على جزاء الأتقياء، مكتفيا في جزائهم لإبعادهم عن النار، على خلاف الغالب في القرآن من تقديم جزاء المؤمنين، ومثل هذا السياق لا يفي بحق البلاغة فيه إلا تقديم الآخرة.

- تقديم الرحمن على الرحيم:

ومن الأدلة التي ساقها ابن الصائغ على القصد إلى تحقيق التناسب في الفواصل، تقديم الأبلغ من الصفات على غير ما تقتضي به قاعدة الترقي من تأخير الأبلغ[2]، ومثل ذلك قوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة: 3]، وقوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النور: 20]، فتغايرت آراء العلماء في سر تقديم الرحمن، وأشهرها ما قاله الزمخشري: " فإن قلت: لما قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه ، والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم، وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لم قال الرحمن، فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها ، أردفه الرحيم كالتتمة

1- الإمام فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1423 هـ / 2002م ، ج 3، ص 43.
2- السيوطي: الإتقان ، ج1، ص 255.

والرديفة،ليتناول ما دق فيها ولطف[1]، إلا أن تخصيص الرحمن بجلائل النعم، والرحيم بدقائقها مما لا دليل عليه، بل إن الله تعالى كثيرا ما يذكر جلائل النعم، يعقبها بصفة الرحيم وحدها، ومن ذلك النعم التي ذكرها في مطلع سورة النحل وعدّدها منها الشمس والقمر، والفلك والبحار، والجبال والأنهار، ثم قال بعد ذلك كله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل:18]، وخير ما قيل في تعليل تقديم الرحمن ما قاله ابن القيم رحمه الله: " وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى هو أحسن من المعنيين الذين ذكرهما، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله سبحانه: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً } [الأحزاب: 43]، وقوله: {وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النور: 20]، ولم يجئ قط رحمن بهم ، فلعم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، وأن رحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا نكاد نحبها في كتاب. [2]

وقال الطاهر بن عاشور: "وتقديم الرحمن على الرحيم، لأن الصفة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصحة الدالة على كثرة متعلقاتها. [3]

- تقديم السميع العليم:

يقول أبو حيان: " في قوله تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 137]، مناسبة هاتين الصفتين أن كلا من الإيمان وصفه مشتمل على أقوال وأفعال، وعلى عقائد نشأتها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختم ذلك بهما، أي هو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم واعتقادكم، ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا،الدالة على ما في الباطن قدمت صفة السميع على العليم.[4]

1- الزمخشري: الكشاف، ج 1، ص 45.
2- ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد ، تحقيق سيد عمران وعامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة، 2002م، مجلد1،ص 32.
3- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 172.
4- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي: البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، 1328 هـ، ج 1، ص 411.

والمتتبع لورود هاتين الصفتين في الكتاب المجيد لا يخطئه أن يجد التذييل بهما في موقعين متقابلين: في مجال التهديد كما في قوله: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنفال: 61]، فإن اضمروا السوء في دعوتهم إلى السلم ، يكشف أمرهم ويأخذ بمكرهم ومقام التهديد يستدعي تقديم السميع، ليشعر بقربه فيهم.

والثاني في مجال التقرب إلى الله وطلب عونه كما في دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة: 127]، وقد قدمت صفة السمع لأنها التي يترتب عليها إجابة الدعاء.

- تقديم المفعول به "أنفسهم" على الفعل والفاعل:

منها قوله تعالى: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [البقرة: 57].

{سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } [الأعراف: 177].

{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [آل عمران: 117].

{لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ } [الأعراف: 197].

بدأت أغلب الآيات بنفي وقوع الظلم على هؤلاء من الله تعالى **{وما ظلمهم الله}** و**{ما ظلمناهم}**، فلما نفى سبحانه إيقاع الظلم منه بهم، قدم ذكرهم ليختصهم وحدهم بظلم أنفسهم، وذلك بهذا التقديم للمفعول به، "وفي ذلك كله تسفيه ضمني لعقولهم وتهكم واستهزاء، إذ لا يظلم العاقل نفسه وجعل فعل الفاصلة مضارعا لإفادة التجدد والاستمرار"[1].

- تقديم الفاضل على الأفضل (هارون على موسى)

ومنه تقديم هارون على موسى في موضع واحد وهو {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى } [طه:70]، في حين ورد ذكر موسى مقدما في عدة مواضع منها:

{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [الأعراف: 121-122].

1- السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، ص 100.

{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [الشعراء: 47-48].

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ } [الصافات:114].

{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ} [الصافات: 120].

وإذا قدم موسى في مواضع لأنه الأفضل فإنّ تقديم هارون لأنه ذكر أنه الأكبر سنّا والأفصح لسانا، ولان موسى هو الذي سأل الله تعالى له النبوة {وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي } [طه: 29-30].

و-المناسبة بين الأسماء الحسنى والفاصلة القرآنية:

تحركت الأسماء الحسنى في النص القرآني وفق نسق معين، ونظام محكم دقيق يتعلق بمعنى الاسم ودلالته من جهة، وعلاقته بالسياق العام الذي ورد فيه من جهة أخرى.

وحضور الأسماء الحسنى في فواصل الآيات لم يكن حضورا عابثا أو في غير مغزى، وإنما كان سبب مناسبتها للمعنى والحركة الذهنية النشطة التي ينتجها السياق، وعليه سنرى بعض الأسماء المفردة ودلالتها، وكذا الأسماء المتجاورة.

أولا- الأسماء المفردة:

✓ **المحيط:**

يشير استقراء النص القرآني إلى أن المحيط ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع اسما للمولى عز وجل هي كما يلي:

- ✓ {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ } [البقرة:19].
- ✓ {إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } [آل عمران: 120].

- ✓ {يَسْتَخْفُونَ مِنْ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً} [النساء: 108].
- ✓ {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً } [النساء: 126].
- ✓ {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } [الأنفال: 47].
- ✓ {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [هود: 92].
- ✓ {أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} [فصلت: 54].
- ✓ {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ } [البروج: 20].

حين تتبع سياقات الآيات السابقة، ورصد دلالة الاسم في كل سياق، يتبين أن (المحيط) يرد دائما في سياق الوعيد للكافرين، أو للمنافقين، أو لأهل الكتاب، ولم يرد فقط في سياق الحديث عن المؤمنين.

قال الإمام القرطبي –رحمه الله– "وهذا الاسم أكثر ما يجيء في عرض الوعيد، وحقيقته الإحاطة بكل شيء".[1]

يقول الإمام أبو حيان: "والإحاطة كناية عن كونه تعالى لا يفوتونه، كما لا يفوت المحاط المحيط به، فقيل بالعلم وقيل بالقدرة وقيل بالإهلاك".

بل مما يلفت الانتباه أيضا، أنه يرد تعقيبا أو ختما لآية أو سياق يبدأ بسلوك قام به المنافقون أو الكافرون يستوجب العقاب ويستدعي المحاسبة والتنبيه على قدرة المولى في مجازاة الذين قاموا بهذا الفعل من أجل ذلك نرى التعقيب بقوله: **{بما تعملون محيط}**أو **{بما يعملون محيط}.**

1- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث ، القاهرة، 2002م، ج19، ص 326.

ففي الآية الأولى يأتي هذا الاسم في سياق الحديث عن المنافقين الذين يفسدون في الأرض،وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون، والذين اشتروا الضلالة بالهدى،والذين يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، فالله محيط بهم إحاطة تامة.

ولنلاحظ انه حيثما يوجد فعل سوء قاموا به، أو حالة من السوء هم عليها، تختم الآية بـ **{المحيط}**، كأنه إشارة إلى أنه مطلع عليهم، ومحيط بهمم إحاطة السوار بالمعصم، وهو متمكن منهم، القادر على إنزال العقوبة بهم جزاء بما صنعوا، ولنلاحظ مطلع الآية والخاتمة التي تم الختم بها :

1- **{يجعلون أصابعهم.... حذر الموت}** ـــــ **{والله محيط بالكافرين}**

2- **{تسؤهم ... يفرحوا بها... كيدهم}** ـــــ **{إن الله بما يعملون محيط}.**

3- **{ولا يستخفون من الله .... إذ يبيتون}** ـــــ **{وكان الله بما يعملون محيطا}**

4- **{إن يدعون من دونه إلا إناثا...}** ـــــ **{وكان الله بكل شيء محيطا}**

5- **{خرجوا بطرا ... ويصدون عن سبيل الله}** ـــــ **{والله بما يعملون محيط}**

إلى بقية الآيات، فالإحاطة تشير إلى إحكام السيطرة والتمكن من الشيء سواء في القدرة والقوة أو العلم.

كما نرى أن أعمالهم السيئة وحالتهم الرديئة التي هم عليها، عبر عنها بالفعل المضارع في أكثر الآيات، ليدل على أنهم مهما اتسعوا في أعمالهم ومهما عظم تخطيطهم فإن إحاطة المولى أوسع.

ويؤنسنا فيما ذهبنا إليه، أن كثيرا من التقلبات الاشتقاقية للفعل (حاط) في القرآن الكريم، تسير في نفس السياق، سياق القدرة والإحكام، وسياق الوعيد وإنزال العقوبة،

قال تعالى:

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } [التوبة: 49].

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } [هود: 84].

وقال سبحانه: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً } [الكهف: 42].

فالإحاطة في الآيات السابقة وردت في السياق ذاته، لجهنم محيطة بالكافرين، عذاب يوم محيط، وأحيط بثمره.

- **القــدير:**

إن استقراء هذا الاسم الجليل في النص القرآني يشير إلى أنه يتحرك في خواتم الآيات مفردا في أربعين موضعا في القرآن الكريم، في تركيب مختلفة وصور متعددة، لكنه في المواطن كلها ورد "لإثبات صفة القدرة"[1] لله عز وجل، وهو في المواضع جميعها ورد بحيث لا يمكن أن يقوم مقامه اسم غيره ورد فيها كلها تتحدث عن مظاهر قدرة الله، فيما صنع في الماضي فيكون الختم بالقدير لإزالة العجب، ودفع الغرابة، لأنه قادر على كل شيء، أو فيما سيصنع في المستقبل فيكون الختم بالقدير ليذعن البشر لأوامر ربهم، ويسلموا طائعين له، لأنه على كل شيء قدير.

إن إطلاله سريعة على الآيات التالية تؤنسنا فيما ذهبنا إليه، قال تعالى:

{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 20].

{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 106].

{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: 148].

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً } [النساء: 133].

{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [هود: 4].

1- محمود أبو الفضل الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،ج 3، ص 203.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: 19].

{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً } [الأحزاب: 27].

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 165].

فالآيات السابقة جميعها تشتمل على حدث ما، ففي الآية الأولى: **{لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم}** وفي الثانية: **{يأت بخير منها أو مثلها}** وفي الثالثة: **{يأت بكم الله}** وفي الرابعة: **{يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين}** وهكذا في بقية الآيات السابقة، وكل من هذه الأحداث تحتاج إلى قدرة،من أجل ذلك نجد الآيات تختم بالقدير، إشارة إلى قدرة الله المطلقة، وليس يقوى على ذلك ويستطيعه إلا القدير سبحانه "الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يحول دون إرادته شيء، يخلق ما يشاء،ويفعل ما يريد، وهو قادر على ما يريده، غالب على أمره، لا تتعلق بإرادته قيود ولا حدود".[1]

والآيات الأخيرة تتحدث عن فعل الله في الماضي، كيف أنه نصرهم في بدر وهم أذلة، وأورث المؤمنين أرضهم وديارهم: وكيف أن المصيبة التي أصابتهم كانت من عند أنفسهم، فلا عجب في ذلك فالله قدير على كل شيء، يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله– في تفسيره " فإذا جاء النصر، تأكد الكل أن كفة المؤمنين قد رجحتن وإذا تعجب احد كيف ينتصر هذا العدد القليل غير المسلح على هذا العدد الكثير المسلح، يمكن أن يردد قول الله تعالى: **{والله على كل شيء قدير}**"[2]

ولعل من الملاحظات التي تستدعي التأمل، أن القدير كثيرا ما ورد في آيات فيها إثبات ملكية السماوات والأرض للمولى كالآيات التالية ، قال تعالى:

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[البقرة: 284].

1- سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج6، ص 31-36.

2- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ج8، ص 4709.

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: 189].

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 17].

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 40].

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: 120].

{لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحديد:2].

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك: 1].

فالآيات السابقة وهي أنموذج فقط للتدليل، يبدو واضحا فيها أن الآيات في بدايتها تشير إلى ملكية السماوات والأرض، وتختم {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } فما السر وراء هذا الاقتران؟

يقول الإمام الفخر الرازي: "ولما كان له الملك، فهو متصرف في ملكه، والتصرف مفتقر إلى القدرة، فقال واله على كل شيء قدير"[1]

أما الإمام الألوسي في تفسيره قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الملك: 1]، يقول: وقوله هو على كل شيء قدير، تكميل لذلك، لأن القرينة الأولى تدل على التصرف التام في الموجودات على مقتضى إرادته سبحانه ومشيئته من غير منازع ولا مدافع، ولو اقتصر على الأولى لأوهم أن تصرفه تعالى مقصور على تغيير أحوال الملك، كما يشاهد من تصرف الملاك المجازي، فقرنت بالثانية ليؤذن بأنه عز سلطانه قادر على التصرف، وعلى إيجاد الأعيان المتصرف فيها".[2]وهو مذهب جميل ذهب إليه الأمام الألوسي –رحمه الله– فملكيته السماوات والأرض تشير إلى تصرف المولى فيها، وقد ينصرف الذهن إلى أنه متصرف فقط فيها، والختم

1- فخر الدين الرازي:التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت ، لبنان، 1423 هـ / 2002م، ص 21.
2- الألوسي: روح المعاني، ج 5ن ص 16.

بالقدير بدفع الوهمويشير إلى أن قدرة المولى تتجاوز السماوات والأرض إلى التصرف في كل شيء والقدرة على كل شيء.

والإمام الشعراوي يساند هذا الرأي في قوله: "وقد يكون هناك الملك الذي لا قدرة له أن يحكم،فيوضح سبحانه أن الله الملك وله القدرة".[1]

وجوهر الأمر أن ملكية السماوات والأرض إيجاد لا يقوى عليه إلا القدير، فلا غرابة في هذا البناء الضخم الشامخ، فموجده قدير على كل شيء، فضلا عن أن يكون قادرا على إيجاده.

- **البصير:**

ورد (البصير) مفردا اسما للمولى في سبعة وعشرين موضعا على امتداد آي القرآن الكريم، وفي تركيبات مختلفة، وورد (البصير) مع الفاعل (يعلمون أو تعملون) على صورة الغيبة والخطاب، قال تعالى:

{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة: 96].

وقال سبحانه: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 110]، وكذا ورد (البصير) في تركيب {**والله بصير بالعباد**} في ثلاث مواضع، قال تعالى: {فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران: 20].

وكذا مع {**بكل شيء**}، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} [الملك: 19].

1- الإمام الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج4، ص 1946.

أيا ما كان الأمر فإن ورود هذا الاسم مع تلك التركيبات المختلفة، يشير إلى حد كبير إلى دقة تلك التركيبات لما لهذا الاسم من دلالات،والحقيقة أن ثمة من العلماء من حاول صرف مدلول هذا الاسم عن ظاهر اللفظ، محاولا أن يكني به عن (العليم) أو (الخبير).قال أبو السعود في تفسيره: "البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء، الخبير به، ومنه قولهم: فلان بصير بالفقه"[1].

فأبو السعود يرى أن البصي بمعنى الخبير، وكذا يرى الإمام الألوسي، حيث حمل معنى البصر على العلم. [2]

وليس بعيدا عنهما الإمام القرطبي – رحمه الله– في أنه حمل البصير على معنى الخبير،فالبصير عنده هو العالم بخفايا الأمور "وصف الله نفسه بأنه بصير على معنى أنه عالم بخفيات الأمور، والبصير في لغة العرب: العالم بالشيء الخبير به، قال الشاعر:

إن تسألوني بالنساء فإنني * بصير بأدواء النساء طبيب**[3]

وليس من بد في أن (البصير) يختلف عن العليم وكذا يختلف عن الخبير، ولو صحّ ترادف هذه الأسماء، لصحّ أن يقع الاسم في موضع أخيه، فكيف إذن وقد اختص كل اسم بما يناسبه في نسج بنائي محكم ودقيق.

فالبصير هو ذو الإبصار، الإبصار الذي يتعلق بالرؤية، ولكنها في حق المولى في التفريق بين الفعل والعمل: " العمل هو تعلق الجارحة بما أنيطت به، فاللسان جارحة عملها القول، والأذن جارحة وعملها الاستماع، والعين جارحة وعملها أن تنظر، إذن فكل جارحة من الجوارح لها حدث تنشئه لتؤدي مهمتها في الكائن الإنساني، فكل أداء مهمة من جارحة يقال عمل".[4]

ولكن العمل أيضا خاص والفعل عام، والعمل يحتاج على زمن في أدائه وليس كذلك الفعل الذي يحد بسرعة في غير بطء، يقول الإمام الزركشي –رحمه الله–: " إن العمل اخص من الفعل

1- محمد بن محمد العمادي أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا كتاب القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1، ص 246.

2- الألوسي: روح المعاني، ج 1، ص 522.

3- محمد أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج1، تحقيق: محمد بن إبراهيم الحفناوي، دار الحديث ، القاهرة، 2002م، ج1، ص 407.

4- الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج 3، ص 1849.

وكل عمل فعل وليس العكس، ولهذا جعل النحاة الفعل في مقابلة الاسم لأنه أعم، وقد اعتبر الله تعالى فقال: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ...}- [سبأ13]،حيث كان فعلهم بزمان، وقال : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [النحل 50] حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين ،وقال: {أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ }- الفيل-و {أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) فإنها إهلاكات وقعت في غير بطء".[1]

فافعل إذن يشمل العمل، وهو يشمل السلوك الظاهر وغير الظاهر فناسبه أن يختص به اسم (العليم)، ولما كان العمل هو سلوك الجوارح، فقد ناسبه اسمه تعالى (البصير).

ومما هو أعجب أن (البصير) لم يرد من الفعل الماضي قط، وإنما ورد مع الفعل المضارع،ذاك لأن الفعل المضارع يشير إلى الزمن الحاضر الذي يناسبه (البصير) الذي يبصر السلوك ويشاهده، فإذا ما صار الفعل في الماضي انقطع السلوك، فليس ثم ما يشاهد ولا ما يبصر، فلا يصح استخدام (البصير) عندها، وهذا هو النظم القرآني الفريد.

وخلاصة القول في هذا الأمر أن (البصير) لا يرد مفردا في ختم آية إلا إذا اقترن به في ختمها ما يمكن أن يشاهد ويرى ليناسب اسمه تعالى (البصير)، كالفعل (يعملون) أو (تعملون)، أو (بصير بالعباد) أو (بنا بصيرا).

- **الحسيب:**

ورد (الحسيب) اسما مفردا للمولى في ثلاثة مواضع بتركيبين مختلفين: {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً } {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً }.

والحسيب (فعيل) بمعنى اسم الفاعل، أي بمعنى محاسب، ولكن (الحسيب) ورد في اللغة على معنى الكافي، من الفعل حسبي، أي يكفيني، وليس الأمر كذلك في السياقات التي ورد فيها الاسم،كما يرى الإمام ابن جرير: "وقد زعم أهل البصرة من أهل اللغة، أن معنى الحسيب في مثل هذا الموضع: الكافي، يقال منه أحسبني الشيء يحسبني إحسابا، بمعنى كفاني من قولهم: حسبي كذا

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج4، ص 1391.

وكذا، وهذا غلط من القول وخطأ، وذلك أنه لا يقال احسبني الشيء احسب على الشيء، فهو حسيب عليه، وإنما يقال هو حسبه وحسيبه، والله يقول إن الله كان على كل شيء حسيبا".[1]

وكذا ذهب الإمام القرطبي: "كفى الله حاسبا لأعمالكم، ومجازيا بها، وفي هذا وعيد لكل جاحد حق".[2]

وبمثله رأي الإمام فخر الدين الرازي: " أي هو محاسبكم على أعمالكم، فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف".[3]

وحين يكون (الحسيب) بمعنى المحاسب الذي يحاسب العباد، على ما قدموه فإن سياق الآيات يستقيم من المعنى، ولنتأمل الآيات التي ورد فيها ، قال تعالى:

- ✓ {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً } [النساء:6].
- ✓ {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً } [النساء:86].
- ✓ {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً } [الأحزاب: 39].

وبتأمل الآيات نجد أن (الحسب) مناسب في سياقه، فالآية الأولى بدور الحديث فيها عن الأيتام، وإعطائهم أموالهم، محسوبة على تمامها لا تنقص، وهي مسألة حسابية يناسبها الختم بـ (الحسيب) الذي يحاسب جميع العباد، بما فيهم الوصي، قال الإمام الألوسي في معرض تفسيره هذه الآية: "كفى به تعالى محاسبا لكم، فلا تخافوا ما أمرتم به، ولا تجاوزوا ما حد لكم، ولا يخفى موقع المحاسب هنا، لان الوصي يحاسب على ما في يده ".[4]

1- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 235.
2- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص 45.
3- فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي، ج 5، ص 223.
4- الألوسي: روح المعاني، ج 3، ص223.

وكذا الأمر في الآية الثانية، حيث أمرنا المولى سبحانه أن نرد التحية بأحسن منها أي نزيد عليها، فلا ننقص، وهو أمر يتعلق بالزيادة والنقصان، فلا نحاسب من يلقي التحية أن نحسب تحيته كما طرحها فنرد بمثلها، بل علينا الزيادة لأن الله حسيب لكل شيء، "حسيب فعيل من الحساب، وحسنت هذه الصفة هنا، لأن معنى الآية في أن يزيد الإنسان او ينقص أو يوفي قدر ما يجيء به".[1]

وكذلك الحال في الآية الثالثة، وهي من سورة الأحزاب، حيث الخطاب موجها للنبي صلى الله عليه وسلم، ألا يلتفت إلا لله، لأنه هو الذي سيحسبهم على ما قدموا.

- **الحفـــــي:**

قال تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً } [مريم: 47].

ورد اسمه سبحانه وتعالى (الحفي) مرة واحدة في القرآن الكريم كله، وجاء ختما لآية وردت على لسان إبراهيم عليه السلام عندما استغفر لأبيه.

و(الحفي) كما ورد في كتب التفسير: "اللطيف الذي يجيب دعائي إذا دعوته"[2]، أو "المبالغ في البر والإلطاف"[3].

وأورد الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: { إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً } تعليل لما قبلها، والمعنى سأطلب لك المغفرة من الله فإنه كان بي كثير البر واللطف".[4]

والسؤال الآن لماذا لم تختم الآية بالغفور، مادام أن إبراهيم قد طلب المغفرة لأبيه؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تشير إلى شيء من الأدب الرفيع لدى إبراهيم مع ربه.

إن الفاصلة { إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً } هي جملة تعليل كما وضح الإمام الطاهر بن عاشور، إن إبراهيم عليه السلام يبين سبب الاستغفار، إنه لم يكن بسبب أبيه، لأن أباه كان مشركا، وإبراهيم عليه السلام يعلم أن المغفرة إنما تطلب في غير الشرك، لأن الله يغفر الذنوب جميعها إلا الشرك بالله.

1- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 267.
2- الطبري محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القران،المطبع الكبرى الأميرية بولاق،ط1، 1323ه ، ج 8، ص 344.
3- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 103.
4- محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة،ط2، 1964م،ج3،ص160.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً } [النساء: 48].

ولكن مبعث الاستغفار في الآية هو عظم مكانة إبراهيم عليه السلام عند ربه، وهو ما سماه ابن عاشور (مقام الخلة)، ثم هو الموعدة التي وعدها أباه، فما كان إبراهيم ليستبدل قوله: {إنه كان بي حفيا) بقواه: {إنه غفور رحيم} فيجري العباد على الشرك بالله، ويغريهم عليه، كلا وإنما أراد أن يقول: سأستغفر لك ربي يا أبي فذنبك من أكبر الذنوب وأعظمها، ولكني سأطلب لك مغفرة خاصة، وذلك لمكانتي عند ربي.

قال الإمام ابن عاشور: "وفيه إيماء إلى أنه سأل له مغفرة خاصة، وهي مغفرة اكبر الذنوب اعني الإشراك بالله – وهو سؤال اقتضاه مقام (الخلة)" [1]، يؤيد ذلك أن إبراهيم حين تأكد من عداوته لله تبرأ منه، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة:114].

ثانيا– تجاور اسمين في فواصل الآيات:

- **العزيز الحكيم:**

هذان الاسمان الجليلان لهما شأن عظيم، لكل واحد منهما قدره وجلاله، فإذا اجتمعا زاد جلالهما، وأفضيا إلى معان عظيمة، ليس ذلك من أجل أنهما تجاورا في القرآن الكريم، فيما يزيد عن **خمسة وأربعين** موضعا وردا فيه متجاورين ختما للآيات الكريمات، بل لأنهما يشتملان على معان أخرى جليلة تنضوي تحت كل منهما ن وقبل الشروع في معانيه المختلفة رأينا عرض:

- **قصة الأعرابي وآية السرقة:**

قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: 38].

1- الطاهر محمد بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، ج 10، ص 180.

هذه الآية لها قصة يوردها بعض المفسرين عند تفسير آية السرقة وهي: " أن الأصمعي قال: كنت اقرأ: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم، وبجنبي أعرابي فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله، قال ليس هذا كلام الله !فانتبهت فقرأت: والله عزيز حكيم، فقال: أصبت هذا كلام الله، فقلت أتقرأ القرآن؟ قال: لا قلت فمن أين علمت؟ قال: يا هذا عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع. [1]

قال الإمام الطبري: "والله عزيز في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه في حكمه فيهم، وقضائه عليهم"[2]

على كل فإن هذا الأعرابي أدرك بسليقته أن الختم بـ (الغفور الرحيم) لا يناسب سياق الآية.

ويحمل اسم (العزيز) عدة معاني "فالعزيز متضمن للعزة، ويجوز أن يكون صفة ذات يعني القدرة والعظمة، وأن يكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقاته والغلبة لهمن فلا يكون عزيزا إلا أن يكون قادرا وقويا وقاهرا وعظيما، ولا يكون حكيما إلا أن يكون عليما وخبيرا وبصيرا وهكذا.

قال الإمام بن عاشور: "ثم أتبع ذلك بصفتي العزيز الحكيم، لأن العزة تشمل معاني القدرة والاختبار، والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه"[3]

والمفسرون حين تعرضوا لتفسير هذين الاسمين في مواضعهما المختلفة لم يشيروا إلا قلة منهم إلى الحكمة من تجاورهما ابتداء، ولا إلى الحكمة من ورودهما في السياق ذاته، وإنما اكتفوا فقط بتفسير الاسمين ومعنييهما بشكل عام.

فالإمام الطبري مثلا يورد في تفسيره أن: " العزيز لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا ينتصر منه أحد عاقبه، أو انتقم منه، والحكيم في تدبيره ،فلا يدخله خلل"[4]، وكذا أورد الإمام الشوكاني: "العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب، الحكيم في كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته"[5].

1- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 2، ص 226.
2- الطبري محمد بن جرير: جامع البيان، ج4، ص 569.
3- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 13، ص 339.
4- الطبري: جامع البيان، ج3، 709.
5- محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، الجامع بين الرواة والدراية من علم التفسير،ج3،ص266.

وحول المعنى السابق يدور تفسير الإمام السيوطي لهذين الاسمين: "عزيز في نقمته إذا انتقم،حكيم في أمره"[1]، أو أنه "القاهر لكل مقدور، الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه".[2]

إن استقراء الآيات الكريمات التي ختمت بـ (العزيز الحكيم) يشير إلى أن ثمة نسق معين تسير عليه الآيات جميعها، سواء كان الأمر يتعلق بالآية أو السياق ذاته.

إن نظرة تأملية عميقة تكشف عن وجه الإعجاز في ورود الاسمين متجاورين ختما للآية، وذلك بإمعان النظر في الآية التي سبقتها وتلك التي تليها، أو حتى السياق العام الذي انتظمت فيه الآية.

والسؤال: متى تختم الآية بـ (العزيز الحكيم)؟ وهل ثمة ضابط معين للختم بهذين الاسمين؟ والإجابة تتبع من معرفة حدود الاسمين الذي بيناه فيما سبق.

فالعزيز هو الذي يكون قادرا على الفعل مع قوته عليه، فيتمه بحيث لا يمنعه مانع، ولا يغلبه غالب، بل يقهر كل من يخالفه وينجز فعله على وجه العزة والاستعلاء.

وأما الحكيم فحيث يكون للفعل المراد تحقيقه حكمة، قد تكون ظاهرة وقد تضفي أماراتها، وفي كل يكون حكيما إلا إذا كان عالما، خبيرا، بصيرا، فليس كل عالم حكيم، ولا كل خبير حكيم، لأن الحكيم هو الذي يعلم وجه الحكمة من الفعل، ويعلم عواقبه وعلى أي وجه يحققه، وكما يقال أن الحكيم: "هو العادل في التقدير، المحسن في التدبير، ذو الحكمة البالغة الذي يضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة".[3]

ومن خلال هذه الآيات يبدو الأمر أكثر وضوحا، قال تعالى:

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد: 1].

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الصف: 1].

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر: 1].

السيوطي: الاتقان في علوم القران، ج 1، ص 335.

2- الزمخشري:الكشاف، ج 1، ص 964.

3- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 14، ص 376.

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر: 24].

فالآيات التي اشتملت على تسبيح المولى سبحانه، فيها إشارة إلى الربوبية والألوهية، ومن اليسير ملاحظة أن إخضاع الكائنات جميعها العلوية والسفلية بالتسبيح للمولى إنما يقوى عليه إله عزيز، ولو لم يكن عزيزا لما انقادت المخلوقات له مسبّحة.

وهو حكيم لأنه ما طلب منها غير التسبيح، ولا فطرها على سواه رحمة بها، وهو حكيم لأنه هيأ هذه المخلوقات لما أمرت به، يقول الإمام "بن عاشور: "والعزيز وصف ينفي وجود الشريك في الإلهية، والحكيم الموصوف بالحكمة وهي وضع الأفعال حيث يليق بها، وهي أيضا العلم الذي لا يخطئ، وهذا الوصف يثبت أن أفعاله جارية على تهيئة المخلوقات لما به إصابة ما خلقت لأجله، فلذلك عززها الله بإرشاده بواسطة الشرائع".[1]

وهو ما أكده الإمام الفخر الدين الرازي–رحمه الله– حيث تعرض للآية بقوله: "سبّح لله ما في السماوات وما في الأرض، أي شهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات الحميدة جميع ما في السماوات والأرض، والحكيم من حكم على الشيء إذا قضى عليه وهو الذي يحكم على غيره ولا يمكن أن يحكم عليه غيره، وفي بعض السور، سبح لله، وفي البعض يسبّح، وفي البعض سبّح بصيغة الأمر، ليعلم أن تسبيح حضره الله دائم غير منقطع".[2]

أما قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 06].

فالتصوير في الأرحام أمر لا يقوم به إلا عزيز والكيفية التي يتم بها غنما هي تدبير حكيم، إذن الفعل يصوركم يتعلق بالعزيز الذي لا مثيل له، (وكيف يشاء) يتعلق بالحكيم، يقول الإمام أبو حيان: " ثم أتى بوصف العزة الدالة على عدم النظير، والحكمة الموجبة لتصوير الأشياء على الإتقان التام"[3]، ولعلّ الإمام الشعراوي –رحمه الله– فصل القول في هذه الآية وأجاد "هو الذي يصوركم في

1- المرجع السابق،ج14،ص375.
2- الفخر الرازي:التفسير الكبير. ، ج 15، ص 311.
3- محمد بن يوسف الغرناطي: البحر المحيط في التفسير، دار الفكر ، بيروت، لبنان، 1912، ج3، ص 21.

الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو، أي سيصور وهو عالم أن ما سيصوره سيكون على هذه الصورة لأنه الذي يفعل ذلك عزيز، أي لا يغلب على أمر، وكل ما يريده يحدث وكل أمر عنده لحكمة، لأن المولى حينما يقول: **{يصوركم في الأرحام}**، قد يقول أحد من الناس إن هناك صورا شاذة وصورا غير طبيعية، وهو سبحانه يقول لك: أنا حكيم، وأفعلها لحكمة، فلا تفصل الحدث عن الحكمة" [1]

تعددت الآيات التي فاصلتها (الحكيم العزيز) واغلبها عموما تخرج عن السياق الذي يتناسب مع هذين الاسمين الجليلين، إلا أنه وجدت بعض الآيات تحتاج إلى تأمل وقد عدّها السيوطي في كتابه (الإتقان) من مشكلات الفواصل.

الآية الأولى:

قال تعالى: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة: 118].

هذه الآية دار حولها جدل طويل، وكانت مدار للطعن من قبل المشككين في إعجاز القرآن،وكان وجه الطعن أن الآية ينبغي أن تختم بـ (بالغفور الرحيم)، بدلا من (العزيز الحكيم).

بقول الإمام الألوسي: "إن تعذبهم فإنهم عبادك على معنى انه لم يلحقك بتعذيبهم اعتراض،لأنك المالك المطلق لهم، ولا اعتراض على المالك المطلق، أي لم يستطع احد منهم على دفع ذلك عن نفسه"[2]

وكذا يرى الإمام الزركشي: "لأنه ى يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو عزيز وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليم لأحد في ذلك، فالحكمة فيما فعلته"[3].

الواضح أن عيسى عليه السلام لا يعرض بطلب العفو والمغفرة، وإنما يفوض الأمر للمولى،ويقر بعزته وحكمته، " ذلك لان المقام مقام تبر فلم يذكر الصفة المقتضية استمطار العفو وذكر صفة العدل، لأن الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وقيل ليس هو على مسألة الغفران،وإنما

1- الإمام الشعراوي: نفسير الشعراوي، ج 2، ص 1273.
2- الإمام الألوسي: روح المعاني، ج 7، ص 70.
3- االزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 90.

هو على معنى تسليم الأمر إلى من هو أملك لهم، ولو قيل فإنك أنت الغفور الرحيم، لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه".[1]

وهو ما أكده الألوسي –رحمه الله–: " ليس في قوله {وإن تغفر لهم} تعريض سؤال المغفرة،وإنما هو لإظهار قدرته سبحانه وحكمته، ولذا قال سبحانه العزيز الحكيم دون الغفور الرحيم"[2].

وكذا قال ابن عاشور: "وقوله فإنك أنت العزيز الحكيم، ذكر العزيز كناية عن المقدرة، وذكر الحكيم لمناسبته التفويض"[3].

وخلاصة الاحتراس أن العفو عن المستحق للعذاب العظيم، قد يكون عن عجز وضعف، لا عن استطاعة وقدرة، أو يكون عن سوء تدبير وتقدير، أو عن كليهما، فلو قال: (فإنك أنت الغفور الرحيم) لما دفع هذين الوصفين عنه، فإن الغافر الراحم قد يكون إنما فعل ذلك لضعفه أو لسوء تدبيره، فقال: {فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، ليدفع ذلك عنه وليقول أنه إن عفا وغفر فعن كمال العزة والقدرة.

الآية الثانية:

قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71].

وهذه الآية أيضا عدها الإمام السيوطي من مشكلات الفواصل[4]. ووجه الإشكال فيها أن جملة (أولئك سيرحمهم الله) توهم أن السياق سيختم بـ (الغفور الرحيم) أو (الرؤوف الرحيم)، أو غير ذلك من أسمائه التي تدل على الرحمة.

1- المرجع نفسه، ج1، ص 90
2- الألوسي: روح المعاني، ج7، ص 70.
3- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 4، ص 351.
4- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 275.

ومن يمعن النظر في الآية يجد أن لهذا الختم دقة ومتعة، لا يتحققان بغيره من الأسماء، فالله سبحانه وتعالى قد قرر أنه سيرحمهم، والسين تفيد التأكيد، قال الزمخشري: "والسين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد".[1]

فما دام أنهم قد تأكدوا من أنه سبحانه سيرحمهم، فما وجه الحكمة في إعادة تأكيد الرحمة بالختم بـ **(الغفور الرحيم)**؟، وهنا يأتي جمال الختم بـ **(العزيز الحكيم)**، في أنهم لما تأكدوا من حدوث الرحمة، واطمأنوا انه قد تقرر حدوثها، أرادوا الاطمئنان إلى أنهل ستمضي على ما أراده الله.

فالعزيز تبعث على الاطمئنان لمضائها، لأنه عزيز لا يرد قضاؤهن ولا يحول بينه وبين أن يتمها شيء، لأنه ينبغي أن توضح، حكيم في إنجاز وعده للمؤمنين، قال الإمام الفخر الرازي: " إن الله عزيز حكيم، وذلك يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب، العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة، والحكيم هو المدبر أمر عباده على ما يقتضيه العدل والصواب"[2].

فأي ختم بغير هذين الاسمين الجميلين، يمكن أن يؤذي تلك المعاني السابقة ن ويحفز الذهن إلى تلك الحركة التأملية النشطة.

الآية الثالثة:

قال تعالى: {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الممتحنة: 5].

وهي تتشابه مع سابقتها، في أن السياق كان يوهم أن الختم سيكون بـ **(الغفور الرحيم)**، فإن الختم يكون بـــ **(العزيز الحكيم)**.

والحقيقة أن الختم (الغفور الرحيم) في الآية السابقة ينذر بفساد المعنى، ذاك أن جوهر الآية هو مطلبهم ألا يكونوا فتنة للكافرين، ومعنى (لا تجعلنا فتنة) أي: لا تظهر علينا، فيظنوا أنهم على حقّ، أو لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندكن فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا"[3].

1- الزمخشري: الكشاف، ج2، ص 280.
2- الفخر الدين الرازي:التفسير الكبير ، ج 8، ص 135.
3- الشوكاني: فتح القدير، ج 5، ص 299.

فإذا كان هذا مطلبهم، فلا يناسبه قطعا إلا العزيز الغالب، الذي لا يمانع والذي يحمي أولياءه ويعزهم، فإن استجاب لهم فذاك، وإن لم يسجي لهم وادخر لهم دعائهم، فإنما ذاك يكون بحكمة أرادها، وإن ملحما جميلا يمكن أن بلمحة من استخدامهم في دعائهم (الحكيم)، وهو أن إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين تبرؤوا في الآية السابقة من قومهم، ومما يعبدون من دون الله، وبدا بينهم العداوة لقومهم ما لم يؤمنوا بالله وحده، وإن من تمام الأدب مع الله أن يستخدموا في دعائهم (الحكيم)، قال الإمام ابن عاشور: " إنك أنت العزيز الحكيم، تعليل للدعوات كلها، فإن التوكل والإنابة والمصير تناسب صفة العزيز، إذ مثله يعامل بمثل ذلك، وطلب أن لا يجعلهم فتنة باختلاف معانيه يناسب صفة الحكيم"[1].

- العزيز العليم:

وهما اسمان جليلان تجاورا في ستة مواضع، قال تعالى:{فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [الأنعام: 96].

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: 38].

{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [فصلت: 12].

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: 9].

ومن اليسر هنا أن نلاحظ في الآيات السابقة أن الختم كان في سياق آيات تتحدث عن مظاهر الكون، من خلق للإصباح، وجريان الشمس وتزيين السماء بالمصابيح، وهذه كلها لا يقوى عليها إلا عزيز لا يغالب، قاهر للأشياء فلا يمانع، ثم النظام الذي احتوته، والقوانين التي تسير وفقها وناموسها الإلهي لا يقوى عليه غير عليم، كقوله: { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } في عدة مواضع في القرآن،يذكر ذلك عقيب ذكره الأجرام السماوية، وما تضمنه من خلق الإصباح، وجعل الليل

1- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص 4387.

سكنا،وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه، وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه، وليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله، ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية"[1].

- العزيز (الغفار – الغفور):

ورد (العزيز) متجاورا مرة مع (الغفار) في ثلاثة مواضع، وأخرى مع (الغفور) في موضعين ولا شك أن التجاور السابق يخضع للنسق العام الذي تحدثنا عنه فيما سبق، فـ (العزيز) اسم يدل على القوة والقدرة والغلبة والقهر، بما قد يتوهم معه متوهم ما لا يليق من معاني القسوة، فيأتي (الغفار والغفور) ليدفعا هذا الوهم ويشيران إلى أن هذا الإله العظيم على عزته وغلبته وقهره الظالمين إلا أنه كثير المغفرة لعباده.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تجاور الاسمين يشير فيما يشير إليه، إلى مخاطبة نوعين من البشر بما يليق بكل منهما الظالمون الذين يناسبهم (العزيز) وما فيه من معاني الغلبة والقهر والانتقام، والنوع الآخر هو المؤمنون الذين يناسبهم (الغفار، الغفور) وما فيه من معاني الرحمة والمغفرة.

قال الإمام ابن عاشور –رحمه الله–: "ووصف العزيز تمهيد للوصف بالغفار، أي الغفار عن عزة ومقدرة لا عن عجز وملق"[2]،قال تعالى:

{رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} [ص:66].

{خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ } [الزمر: 5].

{تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ } [غافر: 42].

ولكن لماذا جاء الختم مرة بـ (العزيز الغفار) وأخرى بـ (العزيز الغفور) ؟

1- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فارس النعساني الحلبي، دار الفكر ، بيروت، 1398 هـ / 1978م، ص 200.

2- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 12، ص 255.

واضح أن (الغفار) أدل على كثرة المغفرة وتتابعها، حيث يغفر مرة ومرة ومرة، فكلما أذنب العبد واستغفر وجد غفارا يغفر، وفي الآيتين الأوليين جاء (الغفار) مسبوقا بـــ (الواحد القهار) بانتظام ومن المناسب جدا أن يختم بالعزيز الغفار، لأن الآية التي قبلها لما ختمت بـــ (الواحد القهار) الذي يستدعي معاني الخوف والرهبة، ناسب أن يقابله بما يساويه من معاني المغفرة، وهما قمتان متقابلتان متساويتان، ناهيك عن جمال النظم في التساوي بين وزن الاسمين، فكلاهما على وزن "فعال"، التي يناسب الحد فيها الديمومة، ديمومة القهر وديمومة المغفرة.

قال الإمام الفخر الرازي: "إلا أن كونه قهارا وإن دل على ثبات الوحدانية، إلا أنه يوجب الخوف الشديد، فأردفه الله تعالى بذكر صفات تدل على الرحمة والفضل"[1].

وفي الآية الثالثة حوار بين مؤمن آل فرعون وقومه، وفي محاورته لهم يستخدم كل ما من شأنه أن يجلبهم للهداية، فـ(العزيز) يبين لهم أن هناك إلها قاهرا يقهر فرعون ومن معه، فييئسهم من إتباع فرعون، والغفار يشجعهم على سرعة التوبة.

فخاطبهم باسم أدل على المغفرة من أخيه تشجيعا لهم، ورغبة منه في هدايتهم، "حتى لا ييأسوا من عفوه بعد أن أساءوا إليه"[2].

وأما ورود العزيز مع الغفور، فقد ورد في آيتين، قال تعالى:

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } [الملك: 2].

{ وَمِنْ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: 28].

فالآية الأول جاء الاسمان مقترنان في السياق لمناسبة جليلة، وهي أنه سبحانه لما ذكر أنه خلق الموت وخلق الحياة، وهما أمران لا يقوى على إيجادهما إلا عزيز، فلما قدم الموت ناسب أن

1- الفخر الرازي:التفسير الكبير ، ج 3، ص 226.
2- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج12، ص 445.

يقدم العزيز، لأن الموت فيه قهر وغلبة، والعزيز يناسبه في المعنى، وحين ذكر قوله تعالى: { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } ناسبه الغفور.

" والمعنى أنه خلق الموت والحياة ليكون منكم أحياء يعملون الصالحات والسيئات، ثم أمواتا يخلصون إلى يوم الجزاء فيحزون على أعمالهم بما يناسبها"[1].

فإذا كان الغفور يدل على الكثرة والتنوع، كثرة غفران الذنوب وتنوع الذنوب المغفورة، فهو إذن هنا مناسب للسياق، فقوله: { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } تشير إلى كثرة الذنوب وتنوعها، وكذلك في الآية الثانية، حيث يتناسب ذكر (الغفور) مع قوله: ومن الناس والدواب والأنعام كذلك، أي مغفرة لذنوب كثيرة متنوعة تنوع الناس والدواب والأنعام.

- **العزيز الوهاب:**

ورد هذان الاسمان متجاورين مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } [ص: 9].

وحتى تتضح مناسبة الختم هنا يلزم تتبع السياق، فصناديد مكة كانوا قد خرجوا من عند أبي طالب قائلين: أأنزل عليه الذكر من بيننا، قال تعالى: {أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} [ص: 8]، إنهم لم يرفضوا الإيمان بالقرآن غلا أنهم كانوا يرون أن النبي عليه الصلاة والسلام، ليس آهلا لهذا الشرف العظيم، فالنبوة أمر عظيم ، يجب أن تتنزل على أعظم البشر، فهم قالوا في سورة أخرى في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: 31]، فهم صادقون فيما قالوا بيد أنهم كاذبون في ادعائهم العظمة والرفعة التي لا تكون إلا في المال.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يدانيه احد من البشر، وهو الفقير اليتيم المحروم، وهنا يأتي رد المولى عليهم، أنهم لا يملكون خزائن الرحمة، فيختارون من شاءوا نبيا، والختم هنا بـ(العزيز الوهاب) يندرج في إطار النسق الذي تحدثنا عنه في مطلع حديثنا عن (العزيز الحكيم)، قال الإمام الفخر

1- المرجع نفسه، ج12، ص 198.

الرازي: "إن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزا، أي كامل القدرة، وهابا أي عظيم الجود، وذلك هو الله سبحانه وتعالى"[1].

فالعزيز إذن واضح وجه الحكمة من الختم به، فما باله اقترن مع (الوهاب)؟

إن الوهاب هو من يعطي من غير استحقاق، فعطاؤه منه وتفضل، و(الوهاب) كثير العطايا دائمها، والنبوة إنما هي هبة قبل كل شيء، هبة من المولى للنبي صلى الله عليه وسلم، وهبة منه للبشر، وأعظم بها من هبة، ولكن لماذا (الوهاب) وليس الواهب،... هنا تبرز الدقة في اختيار الألفاظ ومناسبتها للتعبير عن عظيم المعاني، فكان (الواهب) يشير إلى أن النبوة تشتمل على عطايا جمة، وهبات كثيرة وفي هذا السياق يقول الإمام الألوسي: "وفي ذلك إدماج أن النبوة ليست عطاء واحد بالحقيقة، بل يتضمن عطايا جمة تفوت الحصر"[2].

ثم إن ذكر لفظ (خزائن) الذي جاء جمعا، يستدعي لفظ يناسبه بدل الكثرة، "والمبالغة في (الوهاب) من طريق الكمية تناسب قوله تعالى:**{خزائن}** وتدل على حرمان لهم عظيم"[3]. يقول الإمام ابن عاشور: "وأجرى على الرب صفة العزيز لإبطال تدخلهم في تصرفاته، وصفة الوهاب لإبطال جعلهم الحرمان من الخير تابعا لرغباتهم، دون موادة الله تعالى"[4].

تعددت أسماء الله الحسنى وليس المقام كافيا لحصرها جميعا، وما يمكن قوله أن كل اسم كان له دلالة ينفرد بها عن أخيه في النص القرآني، وحيث وقع في ختم الآية"فاصلة الاية" كانت مناسبته للسياق واضحة جلية، وأنتج وحضوره في مكانه أو بتجاوره مع الاسم آخر جملة من الإشارات الدلالية والطاقات الإيحائية حبكت النص القرآني حبكا محكما.

1- الإمام الفخر الرازي: التفسير الكبير ، ج 13، ص 182.
2- الإمام الألوسي: روح لمعاني، ج 13، ص 248.
3- المرجع نفسه، ص 248.
4- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 12، ص 196.

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –وبعد:

بعد هذه المحطات العلمية والفصول اللغوية التي وقفنا عندها على ثنائية السبك والحبك في الفاصلة القرآنية وفق دراسة لسانية نصية وبعد انتهاء البحث بتوفيق من الله الحنّان المنان ،تبيّن للباحث عدة نتائج يمكن ذكرها في النقاط التالية:

1–لا مانع من الاستفادة من الأفكار اللغوية الحديثة وتطبيقها في دراسة القرآن الكريم طالما لا تتعارض مع أصول ديننا وقواعد فهمنا للقران الكريم ،بل إن دراسة ذلك من خلال القرآن الكريم قد يكون واجبا إذا ما ساعد على إبراز وجه جديد من وجوه الإعجاز.

2–أكد البحث أنّ تسمية الفواصل بهذا الاسم مأخوذ من القرآن نفسه لقوله تعالى:"**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**"–فصلت3–، فهذا الاسم تختص به آخر كلمة في الاية القرآنية وأنه لا يجوز استعمال الفاصلة في الشعر كما يمتنع استعمال القافية في القرآن.

3–على الرغم مما يراه بعض العلماء من أن الفاصلة سميت بذلك لأنه ينفصل عندها كلامان :نهاية الاية، وبداية الاية التي تليها فقد انتهت هذه الدراسة إلى أن الفاصلة القرآنية كانت عنصرا أساسيا في بناء النص القرآني وتماسكه ،وأنه ليس المقصود الفصل النطقي بين الآيتين ،أو الوقف اللفظي على فاصلة الاية، أما الاستمرارية في ظاهر النص وتواصل أجزائه فموجود ومتحقق ،وذلك من خلال كثير من ظواهر (السبك) وظواهر (الحبك) التي تجلت في الفواصل القرآنية.

4––أن مصطلح "السبك" كان حاضرا بلفظه ومعناه في تراثنا العربي القديم، وبشكل ملفت للنظر بل إن ظواهر : (التكرار، الربط، الإحالة، الحذف ، الإحلال والاستبدال)،وهي ظواهر (السبك) التي درست ،قد شغلت حيزا كبيرا من التفكير اللغوي العربي بشكل عام ومن جهد النحويين وتحليلا تهم بشكل خاص.

5-أن فكرة الربط بين شبكة المفاهيم والعلاقات الممثلة في عالم النص ، وهو مايعبر عنه مصطلح :"الحبك" ، لم تكن غائبة على الإطلاق عن تراثنا العربي ،ومن ثم انتهينا إلى إدراك القدماء الكثير من العلاقات الدلالية الحابكة للنص عموما من جهة ،وفي الفاصلة القرآنية من جهة ثانية، فالحبك إذن هو مجموع العلاقات الخفية التي تحقق التماسك الدلالي ،وهذا ما أدى بالباحث إلى اعتماد ظواهر تساعد في كشف هذا الترابط من خلال السياق والتغريض والمناسبة وبيان علاقتها بالفاصلة القرآنية.

6-لقد أسهمت الفاصلة القرآنية في التماسك الشكلي (السبك) للنص القرآني من خلال عدة ظواهر كان أبرزها:

7-**الحذف** حيث رأينا القران في فواصله يحذف بعض الألفاظ خصوصا المفعول به تاركا لذهن القارئ تصور عدة من المفاعيل الممكنة في ذلك المكان .

8-**الإبدال** فقد استعملت العرب صيغا مكان صيغ أحلتها محلها ،واستغنت بصيغ عن أخرى ،وهكذا جاء في القران لكن في بيان عال ودقة بالغة في اختيار ذلك من خلال ظاهرة الإبدال في الفاصلة وبذلك تحققت ظاهرة من ظواهر التماسك النصي.

9-**الإحالة** إذ تعمل الإحالة على ربط أجزاء النص ببعضه البعض ،وتجعله متسقا والوسيلة الأكثر حضورا في النص القرآني وفي الفاصلة الإحالة بالضمائر فهي تجعل النص منسجم المعاني متسق المباني.

10- تؤدي **الإحالة** وظيفتين الأولى تتمثل في السبك النصي وهذه تحصل بالإحالة النصية سواء أكانت قبلية أم بعدية ،أما الوظيفة الثانية هي ربط النص بالسياق الذي قيل فيه وهذه تحصل بالإحالة المقامية.

11- التضام قد أثبتت دراسة التضام من خلال الفاصلة القرآنية وجها من وجوه الإعجاز القرآني في انتقاء ألفاظه وحسن ترتيبها في نسق لغوي بديع فقد ابتكر القران الكريم كثيرا من

المصاحبات اللغوية الفريدة والتي صبغت بالصبغة الإسلامية بالإضافة إلى تنوع صور التضام فورد في صورة الصفة والموصوف والمضاف والمضاف إليه ،والعطف والمعطوف.

12- **التكرار** إذ يعد وسيلة من وسائل السبك النصي ،إذ يربط أجزاء النص بتكرار الفاصلة بلفظها ومعناها في النص القرآني وفي الفاصلة خاصة ،وهو أسلوب بلاغي راق ،لم يأت عفويا،بل يأتي عن قصدية تعمد إلى توظيفه لخلق نص مترابط ومؤثر ،كما يسهم في تحقيق جمالية صوتية.

13- إن **للصوت** أثرا كبيرا في تحقيق السبك على المستوى النصي فعملية نسج الأصوات وتنظيمها في أبنية النص ،تسهم في وحدة النص واستمراريته ويبرز ذلك من خلال الفاصلة القرآنية بتشكيلات صوتية متنوعة أغنت النصوص بجمالية نلمسها عند القراءة ،وهذه الإيقاعات تثير في نفس المتلقي مشاعرا وانفعالات تعطيه وقعا خاصا من خلال التنغيم المحقق وفق أنساق متعددة حيث لاحظنا تناسب الأصوات الرخوة مثلا مع المعاني الموصوفة بالضعف واللين والهوان وتلوّن الإيقاع بداية بالصوت المتكرر،التساوي، التوازن ،والتوازي ،ليقدم لنا في النهاية لحنا موسيقيا عذبا.

14- أثناء دراسة الفواصل صوتيا رأينا أن القران يستعمل للفاصلة حروفا ذوات وقع نغمي هي "النون والميم"وهما الغالبتان على فواصله ،أو حروفا تتمتع بنسبة وضوح عالية مؤثرا إياها على غيرها مما لا يتضح في السمع حين الوقف.

15- أما عن "**الحبك**" والدور الذي حققته الفاصلة في الربط الدلالي رصدنا النتائج التالية:

16- إبراز البحث كيف يجمع الأسلوب القرآني في فواصله بين القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى ،فكل فاصلة جاءت متناسبة مع الاية التي سبقتها وذلك من خلال عدة ظواهر نذكر منها:

17- **التغريض** الذي بين لنا العلاقة بين عنوان السورة والفاصلة ،فوجدنا نوعا من العلاقة الخفية تمثلت في المفارقة بين العنوان والفاصلة ،وعلاقة جلية واضحة من خلال المطابقة بين العنوان والفاصلة.

18- **السياق** الذي تنوع في النص القرآني من الاية إلى المقطع ثم السورة وكانت سورة **(مريم)** أنموذجا تجلى فيه تنوع الفاصلة بحسب التنوع في السياق فلكل مقطع فاصلته حسب سياق الموضوع الذي وضعت فيه ،أما عن علاقة الفاصلة بالآية أو ما سمي بالإتلاف فقد حصر في أربعة هي :التمكين و التوشيح والإيغال والتصدير.

19- **وفي المناسبة** حيث تم اختيار الفاصلة رعاية وخدمة للمعنى وتمثل ذلك باختلاف الفواصل لاختلاف المتحدث عنه ،واختلاف الفواصل مع اتحاد موضوعها وتقاربه، والمناسبة باتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوعات.

20- ومع **المناسبة** حظيت الفواصل القرآنية بأحد أهم أركان علم المعاني وهو التقديم والتأخير ،وقد أنتج هذا التقديم من جماليات التشكيل الصوتي لفواصل الآيات بما يتناسب مع جلال المعاني وعظمتها من جهة ومراعاة رؤوس الآي من جهة .

21- تحركت **أسماء الله** الحسنى في الفاصلة القرآنية وفق نسق معين ،ونظام محمكم دقيق يتعلق بمعنى الاسم ودلالته من جهة وعلاقته بالسياق العام الذي ورد فيه من جهة أخرى، فضلا عن أنه لكل اسم شريف من أسمائه الحسنى معنى جليلا إلا أن تجاور اسمين معًا في السياق القراني يضفي عليا حسنا وإطلاقا جلالا يليقان بالمولى سبحانه وتعالى.

وأخيرا أود أن أقول إنّ هذا البحث المتواضع ماهو إلا جهد المقل ولا أدعي فيه كمالا فالنقص سمة البشر أما الكمال فلله تعالى وحده ،وما كان فيه فضل أو حسنة فمن

الله وحده لاشريك له ،وإني لأرجو الله تعالى أن يجعل هذا العمل زادا لي يوم أن ألقاه وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يجزي الله تعالى أساتذتي الكرام وكل من أعانني بالنصح والإرشاد خير الجزاء فهو ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة :سيد أحمد نعيمة.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*القران الكريم.

-**الإبراهيمي** خولة طالب:مبادئ في اللسانيات،دار القصبة للنشر،الجزائر،(دط)،2000م.

-**إبراهيم** مصطفى وأحمد حسن الزيات:المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية ط4، 2004م.

-**أحمد** محمد قدور:مبادئ في اللسانيات ،دار الفكر ،دمشق،ط3، 2003م.

- **أحمد** مؤمن:اللسانيات النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2005م.

-**أحمد** محمد عبد الراضي:نحو النص بين الأصالة والحداثة،مكتبة الثقافة الدينية القاهرة،ط1، 1429هـ،2008م.

-**أحمد** بن علي توفيق ويوسف جميل الزغبي:المعجم الوافي في النحو العربي،دار الجيل،لبنان، دط ، دت.

-**أحمد** مختار عمر:علم الدلالة،عالم الكتب، القاهرة،ط2، 1998م.

- أحمد**أبو زيد**:التناسب البياني في القران،دراسة في النظم المعنوي والصوتي،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،سلسلة رسائل أطروحات ،رقم 19.،(دت).

-**الأزهري**،أبو منصور محمد بن أحمد:تهذيب اللغة ،إشراف محمد عوض مرعب،تعليق عمر سلامي ،عبد الكريم حامد،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان،ط1، 1421هـ،2001 م.

-**الأزهر** الزناد:نسيج النص ،بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي،ط1، 1993م.

-**الاستربادي** محمد بن الحسن الرضي:شرح الرضي على الكافية،تح ،يوسف حسن عمر ،مؤسسة الطباعة للنشر ،طهران ،ط2،(دت).

-**إسماعيل** عز الدين:الأسس الجمالية في النقد الأدبي،دار الفكر العربي،القاهرة ، ط2،1960م.

-**الإسكافي** الخطيب :درة التنزيل وغرة التأويل،دار الآفاق الجديدة ،بيروت،1981م

-**الأصفهاني** الراغب: المفردات في غريب القران،تح،محمد سيد كيلاني،دار المعرفة ،بيروت (دط)،(دت).

-**أصبان** إبراهيم:السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة،الإحياء 1428هـ،2007م.

-**الأعشى** الأكبر: الديوان ،شرح عبد الرحمان المصطاوي ،دار المعرفة،بيروت ،ط1، 2005م.

- **الأندلسي أبو حيان** ، محمد بن يوسف بن علي:البحر المحيط،مطبعة السعادة،مصر ،تح محمد بن إبراهيم الحفناوي،1328هـ.

- **أنيس** إبراهيم وأخرون:المعجم الوسيط،دار المعارف،مصر،ط2، 1392هـ،1972م.

-**أنيس** إبراهيم:

-الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلو المصرية،ط5، 1984م.

- موسيقى الشعر، المكتبة الأنجلو المصرية ،1965م.

- **الألوسي** محمود أبو الفضل:روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،ضبط علي عبد الباري عطية،دار الفكر، بيروت،1978م.

-**ابن الأثير** أبو الفتح ضياء الدين نصر الله:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،تح،محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ،1358هـ،1939م.

-**ابن الأنباري** أبو البركات:البيان في غريب إعراب القران،تح طه عبد الحميد طه،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1400هـ، 1980م

-**بوقرة** نعمان:

– اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة،عالم الكتب الحديث،عمان،ط1، 2009م.

-المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب ،دراسة معجمية،عالم الكتب الحديث،ط2، 2010م.

-**بودرع** عبد الرحمان :أثر السياق في فهم النص القرآني،الإحياء ،1428هـ،2007م.

-**بن كراد** سعيد:مدخل إلى السيميائية السردية،منشورات الاختلاف ، الجزائر،ط1، 1994م.

-**البحيري** سعيد حسن:علم اللغة النص المفاهيم والاتجاهات،مكتبة لبنان ناشرون،ط1، 1997م.

-**البحتري**:الديوان،تح وشرح حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف مصر ،ط2.(دت).

-**البقاعي** برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر:نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،تح:عبد الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية ،بيروت،1415هـ،1995م.

-**البيضاوي** ناصر الدين أبو الخير:تفسير البيضاوي،دار الفكر ،(دط)،(دت).

-**الباقلاني** القاضي أبو بكر:إعجاز القران ،تحقيق السيد أحمد صقر،دار المعارف مصر،ط5، 1997م

-**التبريزي** محمد بن عبد الله:مشكاة المصابيح ،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الإسلامي،بيروت،ط3، 1405هـ،1985م.

-**الترمذي** أبو موسى: سنن الترمذي (الجامع الكبير)،تح،بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،ط1، 1996م.

-**تمام** حسان :

-اللغة العربية معناها ومبناها ،عالم الكتب ،القاهرة ،ط1427،5هـ،2006م.

-الخلاصة النحوية،عالم الكتب،(دط) ،2000 م.

-البيان في روائع القران ،دراسة لغوية وأسلوبية النص القرآني،(دط)،1413هـ، 1993م.

-**الثعالبي** عبد الملك بن محمد:فقه اللغة وسر العربية،دار مكتبة الحياة،بيروت،(دت).

-**الجاحظ** أبو عثمان عمرو بن بحر:البيان والتبيين،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى بغداد،ط2، 1380هـ،1960م.

-**الجرجاني** عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد:

-دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمود محمد شاكر ،مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط5، 1424هـ،2004م.

-أسرار البلاغة في علم البيان،تحقيق،د عبد المنعم الخفاجي ، القاهرة ،دط ،دت.

-**الجرجاني** السيد الشريف: التعريفات،تقديم أحمد مطلوب،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،العراق،1986م.

- **جمعان** بن عبد الكريم:إشكالية النص،المداخلة أنموذجا،المركز الثقافي العربي ،بيروت،ط1، 2009م.

-**جمال** عبد المجيد:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2006م.

- **الجندي** علي:صور البديع –فن الأسجاع–،دار الفكر العربي بالقاهرة ،1370هـ،1951م.

-**ابن جني**،أبو الفتح عثمان:

-الخصائص،تح محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العام،بغداد،ط4، 1990م.

-سر صناعة الإعراب،تح محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي عامر،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2000م.

-**ابن الجزري** محمد بن محمد الدمشقي:النشر في القراءات العشر،تصحيح علي محمد الضباع،المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة الطبعة الأولى.دت.

-**الحاتمي** أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر:حلية المحاضرة في صناعة الشعر،تح، جعفر الكتاني،دار الرشد ،سلسلة كتب التراث،وزارة الثقافة والإعلام،الجمهورية العراقية،1979م.

- **الحسناوي** محمد:الفاصلة في القران ،دار عمار للنشر،عمان ،1421هـ،2000م.

-**حسام** أحمد فرج:نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري،مكتبة الآداب القاهرة،ط1، 1428هـ،2008م.

-**حميدة** مصطفى:أساليب العطف في القران الكريم،الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،ط1، 1999م

-**الخفاجي** محمد:النسق القرآني-دراسة أسلوبية – رسالة دكتوراه- جامعة صنعا، كلية الآداب ،1423هـ،2003م.

-**خطابي** محمد :لسانيات النص-مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب، ط2، 2006م.

-**خضر** السيد:فواصل الآيات القرآنية ،دراسة بلاغية دلالية ،مكتبة الآداب،ط2، 1430هـ،2009م.

-**خليل** أحمد خليل:معجم المصطلحات اللغوية،دار الفكر اللبناني ،بيروت،ط1، 1995م.

-**خليل** إبراهيم:في اللسانيات ونحو النص ،دار المسيرة ،عمان،الأردن،ط1، 1426هـ،2007م.

-**الخوالدة** فتحي رزق الله: تحليل الخطاب الشعري،ثنائية الاتساق والانسجام،أزمنة للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،ط2 ،2006م.

-**الدبل** محمد سعد:النظم القرآني في سورة الرعد،دار النصر ،مصر 1981م.

-**الرافعي** مصطفى صادق:إعجاز القران والبلاغة النبوية،دار المنار للطبع والنشر ،ط1، 1417هـ، 1997م.

-**الراغب** الأصفهاني :معجم مفردات ألفاظ القران،تح ،إبراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،لبنان، ط1، 1418هـ،1997م.

-**الرماني**،الخطابي ، الجرجاني:ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني،تحقيق،محمد زغلول سلام وآخرون،مصر 1376هـ.

-**الرازي** فخر الدين: التفسير الكبير،دار الفكر ،بيروت ،لبنان،1423هـ، 2002م.

-**الزبيدي** محمد مرتضى:تاج العروس بين جواهر القاموس، تح،مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت،2002م.

-**الزركشي** بدر الدين:البرهان في علوم القران،تحقيق أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،عيسى النابلي الحلبي،ط1، 1959م.

-**الزمخشري** محمود بن عمر:أساس البلاغة،تحقيق،محمد باسل عيون السود ،منشورات ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1، 1419هـ،1998م.

-**الزناد** أزهر:نسيج النص ،بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ،المركز الثقافي العربي ،ط1، 1993م.

-**زيان** جميلة:مفهوم الأمر في القران الكريم، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي ،دار ابن حزم ،لبنان ،ط1، 2010م.

- **ابن الزبير** أبوجعفر:ملاك التأويل،تح،محمود كامل أحمد،دار النهضة العربية،بيروت ،1985م.

-**أبو زيد** نصر حامد :مفهوم النص ،دراسة في علوم القران،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط2، 2000م.

-**سيبويه** أبو البشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تح ،عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط3، 1408ه،1988م.

-**السيوطي** جلال الدين:الإتقان في علوم القران ،المكتبة الوقفية ،بيروت ،(دط)،1973م.

-**السعران** محمود:علم اللغة،دار النهضة العربية،بيروت ،(دط)، (دت).

-**السيد** محمد كاظم الحكيم: المدخل إلى علم الأصول ،دار الفقه للطباعة والنشر،ط1 ،إيران ،1421ه.

-**ابن السراج**،محمد بن سهل:الأصول في النحو ،تحقيق عبد الحسين القتلي،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط3، 1417ه،1992م.

-**الشافعي** محمد بن إدريس :الرسالة، تح، عبد اللطيف الهميم،وماهر ياسين، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1، 1426ه، 2005م.

-**الشعراوي** محمد متولي:تفسير الشعراوي، أخبار اليوم،القاهرة ،مصر،(دت).

-**شرشار** عبد القادر:تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2006م

-**الشنقيطي** محمد أمين:أضواء البيان،دار الكتب العلمية بيروت،ط3، 1427هـ،2006م.

-**شهاب** الدين أحمد بن محمد الهائم المصري:التبيان في تفسير غريب القران ،تح فتحي أنور الدابولي ،دار الصحابة للتراث بطنطا ،القاهرة،ط1992،1م.

-**الشاوش** محمد:أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ،تأسيس نحو النص ،جامعة منوبة تونس،ط1، 1421هـ،2001م.

-**الشوكاني** محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ،ط2، 1964م.

-**الشيخ عبدالرزاق** علي موسى:المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز،مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،1990م.

-**الصبيحي** محمد الأخضر:مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه،منشورات الاختلاف ،الدار العربية للعلوم ،بيروت ،لبنان،ط1، 2008م.

- **الصابوني** محمد علي:مختصر تفسير ابن كثير،دار الجيل ، القاهرة ،ط1، 2002م.

-**الصالح** صبحي:دراسات في فقه اللغة،طبعة جامعة دمشق،1379، 1960م.

-**صافي** محمود:الجدول في إعراب القران وصرفه وبيانه،دار الرشيد، دمشق، ط3، 1416هـ، 1995م.

-**صلاح** الدين صلاح حسين:الدلالة والنحو،مكتبة الآداب، القاهرة ،ط1، 2005م.

-**الطبري** أبو جعفر:جامع البيان في تأويل آي القران،تح،محمد أحمد شاكر،مؤسسة الرسالة،ط1، 1420هـ، 2001م.

-**طرفة** بن العبد:ديوان ،اعتنى به عبد الرحمان المصطاوي،دار المعرفة ،لبنان،ط1، 2003م.

-**ابن طباطبا** محمد بن أحمد العلوي:عيار الشعر:تحق.طه الحاجزي ود.محمود زغلول سلام،المكتبة التجارية بالقاهرة،1902م.

-**عباس** حسن:النحو الوافي ،دار المعارف،ط5،(دط).

-**عبد الرحمان** عائشة: ألإعجازي البياني للقران، دار المعارف،مصر ،ط1، 1973م.

- **عفيفي** أحمد:

-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،ط1، 2001 م.

-الإحالة في نحو النص،دراسة في الدلالة والوظيفة،كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،2005.

-**العسكري** أبو هلال:كتاب الصناعتين،تح،علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت،ط1،(دت).

- العمادي **أبو السعود** محمد بن محمد:إرشاد العقل السليم إلى مزايا كتاب القران الكريم،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،(دت).

- عمر **أبو خرصة**:نحو النص،نقد النظرية وبناء أخرى،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1، 1425هـ،2004م.

-**عاصي** ميشال:مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ،مؤسسة نوفل،ط2، 1981م

-**العلوي** يحي بن حمزة:الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح،عبد الحميد الهنداوي،المكتبة العصرية،بيروت،ط1، 1424هـ،2002م.

-**علي** عزت: الإتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ،شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط1، 1996م.

-**علي** اليمني دردير:أسرار الترادف في القران ،دار ابن حنظل ،1405ه،1985م.

-**عودة** خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران الكريم،مكتبة المنار الزرقاء،ط1، 1405ه،1985م.

-**ابن عطية الأندلسي**:المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تح عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية،بيروت ،ط1، 1422ه،2001م.

-**ابن عصفور**،علي بن مؤمن:المقرب،تح أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري،ط1، 1392ه،1972م.

-**ابن عثيمين** محمد صالح:تفسير القران الكريم ،الفاتحة –البقرة،دار ابن الجوزي،الدمام،ط1، 1423ه.

-**الغرناطي** محمد بن يوسف:البحر المحيط فيالتفسير،دارالفكر،بيروت،لبنان،1912م.

-**الغزالي** محمد:ظلام في الغرب،دار الشامية ،ط1،بيروت،1999م.

-**الغلاييني** مصطفى: جامع الدروس العربية ،تح:علي سليمان شبارة،مؤسسة الرسالة ناشرون،بيروت ،ط1، 1431ه، 2010م.

-**فتحي** أحمد عامر:المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ،منشأة المعارف الإسكندرية،1976م

- **فضل** صلاح:بلاغة الخطاب وعلم النص،عالم المعرفة ،الكويت،1423ه،1992م.

- **فضل حسن العباس:إعجاز القران الكريم،فهرس المكتبة الوطنية ،عمان،1991م.**

-**الفراهيدي** الخليل بن أحمد: العين ،تح، مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي،دار الرشد للنشر العراق1984.

-**الفقي** صبحي ابراهيم:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية في السور المكية،دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1، 1421هـ، 2000م.

-**ابن فارس** أبو الحسن أحمد:مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة،بيروت،1399هـ،1979م.

-**القطان** مناع:مباحث في علوم القران ،مكتبة وهبة،القاهرة،ط7، 1940م.

-**ابن قتيبة** أبو محمد عبد الله بن مسلم:الشعر والشعراء،طبعة محققة ومفهرسة،دار الثقافة،بيروت،لبنان،ط3، 1969م.

- **قطب** سيد :

-في ظلال القران، دار الشروق، القاهرة، بيروت ،ط1، 1401هـ،1981م.

-مشاهد يوم القيامة في القران، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1427هـ،2007م.

-**قطوس** بسام:سيمياء العنوان ،وزار الثقافة، عمان الأردن ،ط1، 2001م.

- **القلقشندى** أبو العباس :

-صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بمصر،1383ه،1963م.

- قياس ليندة :لسانيات النص النظرية والتطبيق،مقامات الهمذاني،مكتبة الآداب القاهرة ،ط1، 2009م.

-**ابن القيم** الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب:

-بدائع الفوائد،تح سيد عمران وعامر صلاح،دار الحديث، القاهرة،2002م.

-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل،تح محمد بدر الدين أبوفارس التعساني الحلبي،دار الفكر،بيروت،1398هـ،1978م.

-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان،ط2 ،1421هـ،2001م.

-**القرطبي** محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القران،تح،محمد بن إبراهيم الحفناوي،دار الحديث ،القاهرة، 2002م.

-**الكرماني** محمود حمزة: أسرار التكرار في القران الكريم،تح،عبد القادر أحمد عطا،دار الإعتصام، القاهرة،ط3، 1978م.

-**ابن كثير** عماد الدين أبو الفداء إسماعيل:تفسير القران العظيم،دار البيان العربي ،المكتبة الوقفية،(دط)،(دت).

-**اللبدي** محمد سمير : معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1، 1405هـ،1985م.

- **ابن منظور**،أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم:لسان العرب،حققه وعلق عليه عامر أحمد حيدر،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ط2، 1430هـ،2009م.

-**محمود** السيد حسن:من روائع الإعجاز في القصص القراني ،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،مصر،2003م.

-**محمد** العبد:

-إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط1، 1989م.

-اللغة والإبداع الأدبي:دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط1، 1989م.

-**محمد** حسن عبد العزيز:المصاحبة في التعبير اللغوي،دار الفكر العربي ،القاهرة،1410هـ،1990م.

-**محمود** فهمي حجازي:مدخل إلى علم اللغة ،دار قباء ،القاهرة،1998م.

-**المثنى** عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية،دار وائل للنشر ،عمان ،الأردن،ط1، 1429هـ،2008م.

-**المسدي** عبد السلام:مباحث تأسيسية في اللسانيات،دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط1 ،2010م.

-**مصلوح** سعد: العربية من نحو الجملة إلى نحو النص،بحث ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت،إعداد،د.وديعة طه النجم ود.عبده بدوي،1990.

-**مفتاح** محمد:

-تحليل الخطاب الشعري،استراتيجية التناص،الدار البيضاء، المغرب،ط2، 1986م.

- مجهول البيان،دار توبقال، المغرب،ط1، 1990م.

-التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1999م

-**مكي** بن أبي طالب:الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها،تحقيق محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،ط4، 1987م.

-**نبيل منصر**: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة،دار توبقال ،الدار البيضاء ،ط1، 2007م.

-**نحلة** أحمد محمود:

-مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ، 1988م.

- لغة القران الكريم في جزء عم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

-**النجار** نادية رمضان :علم اللغة النص والأسلوب بين النظرية والتطبيق،مؤسسة حورس الدولية الإسكندرية،دط، 2003م.

-**الهاشمي** السيد أحمد :ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ،مؤسسة الكتب الثقافية ،ط2،لبنان،1945م.

-**الولي** محمد:السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة ،الإحياء ،1428هـ، 2007م.

-**يوسف** حسني عبد الجليل:علم كتابة اللغة العربية والإملاء ،دار السلام ،مصر،ط1، 1422هـ،2006م.

المجلات:

- مجلة الفكر العربي المعاصر: منذر عياشي ،النص ممارسته وتجلياته، العدد96، 1992.

- مجلة فكر ونقد:محمد عابد الجابري ، في قضايا الدين والفكر،ماي1998م.المغرب.

- مجلة المعرفة:محمد إسماعيل بصل، التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق،العدد370، 1994م.

-مجلة علوم اللغة:نادية رمضان النجار،التضام والتعاقب في الفكر والنحو،دار غريب للنشر،القاهرة،مج3،العدد4، 1420هـ،2000م.

-مجلة قراءات البحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية:مصطفاوي جلال،الدرس النحوي من الجملة إلى النص .العدد2،ديسمبر،2011م.

-بحث منشور في فصول (مجلة)تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب: سعد مصلوح ،نحو أجرومية النص العربي،دراسة في القصيدة جاهلية، المجلد 10،العدد1، 1999م.

- بحث منشور في فصول(مجلة) تصدر عن الهيأة المصرية للكتاب: محمد العبد،حبك النص،العدد59، 2002م.

***الـكتـــب المـتـرجـمـة:**

-ج،ب،براونوج،يول:تحليل الخطاب ،تر،محمد لطفي الزليطي ومنير التركي،مطابع جامعة الملك سعود الرياض،دط،1417هـ، 1997م.

-جورج سانتيانا: الإحساس بالجمال،تر،مصطفى بدوي،المكتبة لأنجلو المصرية،(دت).

-روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء،ترجمة تمام حسان علم الكتب ،القاهرة ،ط2، 1428هـ، 2008م.

-رولان بارث: لذة النص، تر.فواد صفا وحسين سبحان،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ، المغرب،ط2، 2001م.

-فون فان دايك:علم النص ،مدخل متداخل الاختصاصات،ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري،دار القاهرة،مصر ،ط2، 2005م.

-فان دايك: النص والسياق،استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ،ترجمة عبد القادر قنيني ،إفريقيا الشرق بيروت ،لبنان،2000م.

- **فولفانج هانيه وديتر فيهيفجر:**مدخل إلى علم اللغة النصي،تر،صالح فاتح الشايب ،مطابع جامعة الملك سعود،الرياض، (دط)، 1999م.

-مارغوث هاينمان وفولفانغ هاينمان:أسس لسانيات النص،ترجمة موفق جواد المصلح،دار المأمون للترجمة والنشر ،بغداد، دط،2006م.

-كريستين ادميسك:لسانيات النص ،عرض تأسيسي،ترجمة سعيد بحيري،مكتبة زهراء الشرق القاهرة ،ط1 ،2009م.

الرسائل الجامعية:

-**بعيطيش** يحي:نحو نظرية وظيفية في النحو العربي،أطروحة دكتوراه دولة ،جامعة قسنطينة،2003.

- **بلحوت** شريف:الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب .Cohesion in English هاليداي ورقية حسن،رسالة ماجستير ،كلية الآداب واللغات ،جامعة الجزائر 2005م.

-**الخفاجي** محمد:النسق القرآني-دراسة أسلوبية – رسالة دكتوراه- جامعة صنعا، كلية الاداب ،1423هـ،2003م.

-**الشتوي** فهد:دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام،رسالة ماجستير،كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة،1426هـ، 2005.

-**الطلحي** ردة الله:دلالة السياق،رسالة دكتوراه في اللغة العربية،جامعة أم القرى –مكة المكرمة- 1423هـ،2002م.

- **العف** محمد :المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها-رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القران،1430هـ،2009م.

المراجع الأجنبية:

-Cohesion in English : M.A.F .halliday and R.hassan.

David Crystal , The Cambridge encyclopedia of language

-Joseph courte,Introduction a la semiotique narrative et discourive,Hachette,paris,1976.

-SowinskiBerhard :Textlinguistik .verlage.WKohlhammer.stuygart.berlin-kolen Mainz.1983.

-Lemandowski.Thedor:Linguistiks woerterbuchs.h

الفهـــرس

مقدمـــة: ..... أ
المدخل: مفاهيـم معرفيــة 2
1- النص بين الدراسات اللغوية العربية والغربية: 2
أ- العربية: 2
ب- الغربية: 7
2- اللسانيات النّصية: 10
أ- مفهــومهـــا: 10
ب- نشأتهـــا وتطـورهـــا: 12
الفصل الأول: الفاصلة القرآنية 21
م1- مفهومها: 21
أ – لغـــــة : 21
ب-اصطلاحـــا: 21
م2- الفرق بين الفاصلة والقافية والسجع: 23
3- أركانها وأهميتها: 25
أ- أركانـها: 25
ب- أهميتها: 26
4- طـرق معرفتهـــا: 28
أ- التـوقيفـــي: 28
ب- القيـاســـي: 29
5- أنـواعهـــا: 31
أ-باعتبار الوقف والإطلاق..... 31
ب- باعتبار حرف الروي..... 31
ج- باعتبارالوزن 32
د- بحسب طول الفقرة..... 32
ه-بحسب القرينة..... 33

الفصل الثاني : السبك وظواهره في الفاصلة القرآنية 34
توطئة: 35
1- مفهوم السبك: 40
أ- لغة: 40
ب- اصطلاحا : 40
2- أنواعه: 44
أ-السبك النحوي وظواهره: 45
1- ظاهرة الإحالة: 46
أ- مفهومها: 46
ب- أنواعها 47
ج- أنواعها وعلاقتها بالفاصلة: 52
1- الإحالة الضميرية: 52
2- الإحالة الإشارية: 54
3- الإحالة الموصولية: 56
4- الإحالة المقارنة: 56
2- ظاهرة الحذف: 58
أ- مفهومها: 58
ب – أنماطها: 59
ج-الحذف في الفاصلة: 62
1- حذف الحرف: 62
2- حذف الكلمة: 64
أ- حذف الفاعل: 64
ب- حذف المفعول: 65
ج- حذف متعلق "أفعل" التفضيل: 66
د- حذف تمييز العدد: 67

3- ظـاهـرة العطف: 67
أ- مفهومهـــا: 67
1- لغــة: 67
2- اصطلاحــا: 68
ب- حـروفهـــا: 70
ج- أثرها في سبك الفاصلة: 70
1- السبك بالواو: 70
2- السبك بـ "الفاء": 72
3- السبك بـــ "ثم": 74
4– ظاهرة الإبدال (الإحلال) :. 75
أ- مفهـومهـــا: 75
ب- أنمـاطهـا وأثرها في الفاصلة : 77
1- إحلال صيغة فاعل محل صيغة مفعول: 77
2 - إحلال صيغة مفعول محل فاعل: 78
3- إحلال المفرد محل المثنى:..... 79
4- إحـلال المثنـى محـل المفـرد:..... 79
5- إحلال الجمع محل المثنى: 80
6- إحلال المفرد محل الجمع: 80
7- إحلال صيغة العاقل محل صيغة لغير العاقل: 81
8- إحـلال المؤنث محـل المذكـر: 82
9- إحـلال المذكـر محـل المؤنث: 82
ب-السبك المعجمي وظواهره: 83
1- ظاهرة التكرار: 83
أ- مفهومها: 83
ب- أنـواع التكـرار:..... 84
ج- أثر التكرار في سبك الفاصلة القرآنية: 85
1- تكرار حركة الفاصلة: 85

2- تكرار حرف الرويّ في الفاصلة: 88
3- تكرار الكلمة (الألفاظ):..... 90
4- تكرار الجمل: 91
2-ظاهرة التضام:.....95
أ-مفهومها.....95
1-لغة.....96
2-اصطلاحا:.....96
ب-علاقات وأشكال التضام:.....97
1-علاقات التضام.....97
2-أشكال التضام وصوره.....98
ج-ظاهرة التضام في الفاصلة القرانية.....98
1-التضام بين المعطوف والمعطوف عليه:.....98
أ-العكوس (التضاد).....100
ب-المتكاملات.....101
2-التضام بين الصفة والموصوف.....104
3-التضام بين المضاف والمضاف إليه.....110
ج- السبك الصوتي وظواهره: 114
- توطئة.....114
-1مفهوم التنغيم.....115
2-النسق الصوتي للفواصل:.....116
أ-النسق التفخيمي.....116.
ب-نسق الغنة.....118
ج-نسق الجهر.....118
د-نسق الهمس.....119
2- الإيقاع الفواصل: ..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
أ- الصوت المتكرر:..... 120
ب- التغيّر: 122

ج- التساوي: 126
د- التوازي:..... 127
ه-التوازن..... 129
و- الوقف: 130
الفصل الثالث: معيار الحبك وظواهر في الفاصلة القرآنية..... 132
توطئــة:..... 132
1- مفهـوم الحبـك:..... 132
أ- لغــة:..... 133
ب- اصطلاحا: 134
ج- الحبك عند العرب..... 138
د- الحبك عند الغرب: 141
1- أبعاد الحبك عند فان دايك: 142
2 - مبادئ الحبك عند ج.ب.براون وج. يول: 144
2- ظواهر الحبك في الفاصلة القرآنية:..... 146
أ-التغريض.....146
1-مفهومه.....146
2-علاقة عنوان السورة بالفاصلة:.....147
أ-المفارقة بين العنوان والفاصلة..... 147
ب-المطابقة بين العنوان والفاصلة.....151
ب- السياق:.....146
1- مفهـومـــه: 153
2- أنواعها في القرآن الكريم: 156
3- علاقة الفاصلة بالسياق القرآني (سورة مريم أنموذجا):..... 158
4- علاقة الفاصلة بقرينتها (الآية):..... 167
ج- ظــاهــرة المنــاسبــة:..... 171
1- تعريـفهـــا: 172
2- أهـميـتهـــا:..... 174

3- علاقتهـا بالفاصلـة القرآنيـة:..... 176
أ- المناسبة بتحديد الفاصلة القرآنية: 176
ب- المناسبة باختلاف الفواصل لاختلاف المتحدث عنه: 178
ج-المناسبة باختلاف الفواصل مع اتحاد موضوعها أو تقاربه: 184
د- المناسبة باتفاق الفواصل مع اختلاف الموضوعات: 186
ه- المناسبة بالتقديم والتأخير رعاية للفاصلة:..... 189
و-المناسبة بين أسماء الله الحسنى والفاصلة القرآنية:..... 194
الخاتمة..... 218
قائمة المصادر والمراجع: 222

الملخص

الحمد لله ،و الصلاة على نبيه و بعد:

تنسب هذه الدراسة إلى اتجاه متنام عند الباحثين المحدثين ، يقوم على المزاوجة بين المعطيات اللسانية الحديثة والمنجزات التراثية العربية الأصيلة ،فكان الاختيار من المعطيات اللسانية الحديثة (لسانيات النص) التي صارت علما قارا في أوروبا أول الأمر في منتصف الستينات ثم انتقلت إلى مناطق أخرى من العالم، تحمل توجها قويا نحو الاعتراف بها منهجا جديدا لدراسة النصوص مقابل لسانيات الجملة ،ناظرة للنص بأنه يحمل وسائل تماسكه ،لأن النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا وسيلة يتحقق بها النص.

وقد كانت مدونة البحث النص القرآني فهو أوثق نص في اللغة العربية ،وهو أعرف من أن يعرّف ، والسعة المعرفية التي يزخر بها القران الكريم وصعوبة دراسته كلا واحدا، فرضتا على الباحث اختيار "الفاصلة القرآنية" أنموذجا لتكون مجالا تطبيقيا للسبك والحبك كمعيارين نصيين.

والباحث في دراسته للنص القرآني لا يحاول أن يثبت أنه نص أم لا ،فهذا محسوم سلفا، بل يحاول الكشف عن ظواهر السبك والحبك النصيين في الفاصلة القرآنية ، وكيف أدّت إلى تماسك النص الشكلي والتماسك الدلالي ، مما أفاد في البعد الإعجازي اللغوي للقرآن ، وأبقت له أثره عند متلقيه رغم اختلافهم على مر الزمن .

أما الرسالة فقد قسمها الباحث إلى ثلاثة فصول يتقدمها مدخل وتتأخر عنها خاتمة.

ضمّ المدخل مصطلحات وروافد معرفية تمحورت حول "النص واللسانيات النصية" ،أما الفصل الأوّل فضمّ المنحى النظري متناولا الفاصلة القرآنية، مفهومها ، والفرق بينها وبين القافية والسجع ، أركانها وطرق معرفتها بين التوقيفي والقياسي .

والفصل الثاني والثالث كانا للمنحى التطبيقي ، فدرس الثاني السبك بأنواعه بداية بالسبك النحوي وظواهره في الفاصلة القرآنية من إحالة ،وحذف ، وعطف ، وإبدال ، ثم السبك المعجمي وكان تجليه في ظاهرة التكراروالتضام، ثم السبك الصوتي في نسق وإيقاع الفاصلة ، وفصل ثالث ضمّ معيار الحبك وظواهره في الفاصلة من خلال علاقتها بالمناسبة والسياق والتغريض، ليختم البحث بخاتمة ضمّت حوصلة للنتائج المتوصل إليها .

وفي الأخير أسأل الله النفع من وراء هذا البحث والثواب إنه لا يضيّع أجر من أحسن عملا.

Summary :

Thanks allah and peace be upon his prophet "Mohamed",then.

This study tackkes modern researchers and the combination between modern linguistics and the Arab original heritage achievements and mainly"text linguistics" which has become a science in Europe in the mid 19th century after it moved to other parts of the world.as it was agreed on it as being a new path towards studing texts rather than sentences ,since the text gathers rescources which structure it as being a mechanicap units where sentences form only a small units which structure it.

Our study was about the koranic text since it is the the most reliable text in the Arabic language and it is known than to be introduced .the richness of "the holly Koran" language makes its study difficult which obliges the rrsearcher to choose rhythm the koranic verses end with .

This study is made in the hope of shectting light on the coherence and cohesion as text`s criteria.

The researcher is not searching whether the koranic text is a text or not but rather to discover rulers of cohesion and coherence and how they achieve to structure .

This reliable source which rises a question mark and forms a field of study to researchers within time.

This work is deviceded into 3 chapters starting with an introduction and ending with a conclusion.

The first step contains concept and language resources about text and "text linguistics".the 1st chapter deals with the ending rhythm of koranic verses and the second are more practicale .they deal with coherence and the third ones and cohesion indetails.

This work ends with a conclusion which better summarizes the result of our research .

At the end , I ask from allah benefit, usefulness, and serviceablility to this work since allah never forgets those who well do.

Résumé :

Merci à Allah et que la paix soit sur son prophète «Mohamed», alors.

Cette étude aborde les chercheurs modernes et la combinaison entre la linguistique moderne et les réalisations du patrimoine original arabe et principalement la `` linguistique du texte " qui est devenue une science en Europe au milieu du XIXe siècle après son déménagement dans d'autres parties du monde. il s'agit d'une nouvelle voie vers l'étude des textes plutôt que des phrases, puisque le texte rassemble des ressources qui le structurent comme des unités mécanicap où les phrases ne forment que de petites unités qui le structurent.

Notre étude portait sur le texte coranique car c'est le texte le plus fiable de la langue arabe et il est connu pour être introduit. les vers se terminent par.

Cette étude est faite dans l'espoir d'éclairer la cohérence et la cohésion comme critères du texte.

Le chercheur ne cherche pas si le texte coranique est un texte ou non mais plutôt pour découvrir des règles de cohésion et de cohérence et comment ils parviennent à se structurer.

Cette source fiable qui soulève un point d'interrogation et forme un champ d'étude pour les chercheurs dans le temps.

Ce travail est divisé en 3 chapitres commençant par une introduction et se terminant par une conclusion.

La première étape contient des ressources conceptuelles et linguistiques sur le texte et la «linguistique du texte». Le premier chapitre traite du rythme de fin des versets coraniques et le second est plus pratique. Ils traitent de la cohérence et le troisième et la cohésion plus en détail.

Ce travail se termine par une conclusion qui résume mieux le résultat de nos recherches.

À la fin, je demande à Allah le bénéfice, l'utilité et la facilité de service pour ce travail, car Allah n'oublie jamais ceux qui le font bien.